

رواية

ريشة في قولا

مسرود الج منير

٢٠٢٠


للنشر والتوزيع



للنشر والتوزيع

دار سما للنشر والتوزيع
جمهورية مصر العربية

١٥ ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة

تليفون: ٢٤٥١٧٢٠٠ + ٢٠٢ - ٠١٢٧١٩٩١٠٠ + ٢

email: samanasher@yahoo.com

Web-site: publishing@sama-publishing.com

ريشة في هوا

مروان منير

الطبعة الأولى: يوليو

1441 هـ - 2020 م

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشؤون الفنية

دار الكتب المصرية

منير ، مروان

ريشة في هوا

القاهرة: سما للنشر والتوزيع، 2020

440 ص: 13.7×17.5 سم - (ريشة في هوا)

أ. العنوان

رقم الإيداع: 2020 /

تدمك -978-977-781-

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لدار «سما» للنشر

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا

الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير

أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

التنفيذ الفني



درج

للاستشارات وخدمات النشر

ali@daraj-eg.com

ريشته
فني هولا
سرڊاڻ مينير

إهداء

اهدي هذا العمل الي روح ابي وامي سائلا الله
عزك وجل أن يغفر لهما ويرحمهما ويجمعني بهما في
الجنة.

اهدي هذه الرواية الي زوجتي، د / نشوي الشاذلي
والي اولادي. رمزي و امير واشكرهم علي كل ما
قدموه لي من دعم وتحملهم لانسغالي عنهم بعض
الوقت.

ما إن إنتهى الإمام من التسليم في الركعة الثانية من صلاة الجمعة معلناً إنتهاء الصلاة حتى إنطلق مسرعاً خارج المسجد منطلقاً فرحاً فاتحاً فمه ليملاً رتتية من الهواء المنعش المقابل له مع إزدیاد سرعة خطواته فيصطدم الهواء بوجهه ليداعب عيناه الصغيرتان بلطف ويغلقهما قليلاً حتى يتسنى له رؤية الطريق الممتد بطوله

لا يمعن النظر في شيء غير إلى الطريق أمامه.... الطريق الموصل إلى البحر... إلى شاطئ نهر النيل حيث إعتاد أهل البلدة أن يطلقون عليه شاطئ البحر.

يسير فى سعادة حاملاً في يده قطعة من نبات البوص مُفرغة من الداخل وبها بعض الثقوب وهذه العصا الصغيرة مكونة من إحدى عشر عقلة ...

وصل " طاهر " ذو الأعوام العشرة إلى حافة النهر.... إنعطف
يمينًا ناحية صخرة ضخمة.... صخرته المعهودة... ومكانه
المفضل الذي يشعر معه بالراحة والحميمية حين يجلس عليها
وكانها وُضعت وإستقرت خصيصًا في هذا المكان كي يجلس "
طاهر" الصغير عليها....

يطيل النظر إلى نهر النيل..... مصدر الحياة له ولأهل بلده
الصغيرة.... بلدة يعرف أناسها بعضهم بعضًا تمام المعرفة....
يسود بينهم الحب والكرم وعادة ما يرتبط الكثيرين منهم بروابط
قرايه ونسب.

ظل " طاهر " حائرًا ببصره ناحية اليمين واليسار منتظرًا مرور
مركب تشق موج النهر الهادئ.... حيث يبدأ طاهر بالعد...."
واحد " ثم يطلق صافرة من قطعة البوص التي في يده فتصدر
صفييرًا وكأنه ناي.... وتمر مركب اخرى فيزيد طاهر العد...
"إثنان" ثم يطلق صافرتين من الناي ويمسك بالعقلة الثانية
من الناي المكون من إحدى عشر عقلة....

هذه العادة إكتسبها " طاهر " منذ عامين تقريباً وتحديداً منذ وفاة أبويه حيث كان في الثامنة من عمره .

مرت مركب ثالثة فوضع طاهر إصبعه الصغير على العقلة الثالثة واضعاً فتحة الناي في فمه الصغير بشكل مائل قليلاً ونفخ في هدوء مطلقاً من الناي صوت صغير عذب .. رقيق .. صوت متواصل غير متقطع .

بعدها مرت مركب بيضاء بخطوط طولية زرقاء من الأسفل وبها رجل وامرأه، المرأة تمسك بالمجدافين والرجل واقف بتوازن غريب وثبات .. محنياً ظهره .. غير عابئ ولا مكترث بتمايل المركب ولا بضربات الموج من الناحيتين جاذباً الشباك من المياه بكل قوة وثبات .

توقف " طاهر " عن العد ولم يضع إصبعه على العقلة الرابعة .. بل فرت من عينيه دمعة .. ثم دمعة اخرى .. وثالثة ..

يزداد هطول أنهار الدمع من عينيه بينما هو شاخصاً ببصره تجاه تلك المركب البيضاء .. لم يتمالك نفسه حين خرجت من

صدره أنات ... شاعرًا بأنفاسه تختنق داخل صدره وأن حلقة لا يتسع لدخول هواء كافي إلى رئتيه..

وضع " طاهر " الناي جانبًا.. فوق الصخرة وأخفى عينيه بكلتا يديه الصغيرتين بعد أن أغلق جفناه على مقلتان سوداوان .. فتح عينيه مرة أخرى ناظرًا أمامه فإذا بالمركب البيضاء لا زالت أمامه.. مرت الدقائق بطيئة ثقيلة قبل أن يطلق لقدماه العنان ليركض بأقصى سرعة ممسكًا الناي بيده.. ودقات قلبه تتسارع وكأنها تسابقه في تحدٍ واضح .. من يركض أسرع ..

إلى أن وصل بيت عمه .. وقد إمتلئت عيناه بالدموع حيث لم يتوقف عن البكاء طوال الطريق.

كان عمه يجلس في " المزيرة " المكان الذي يجلس فيه الرجال خارج الدار .. حين يستقبل رب الدار الجيران والأصدقاء من الرجال ..

فإذا " بطاهر " الصغير ينطلق كالسهم إلى داخل البيت وأنفاسه تلاحق بعضها البعض .. بحثًا عن الخالة " فاطمة " زوجة عمه

حيث وجدها جالسة تحيك وترقع بعض الملابس فإنقض
مرتمياً ومختبئاً في صدرها وقد علا صوت نحيبه وبكاؤه..

ربتت الخالة "فاطمة" على وجهه وكف طاهر بعد أن مسحت
رأسه بكلتا يديه بعد أن وضعت ما كان في يدها جانباً وبصوت
حنون مليء بالدفء والعطف.. بدأت بالغناء.. بصوت ملائكي
مثل كروان مغرد.. "طاهر طاهر.. صانع ماهر.. فارس هادر..
للأعداء قاهر.. طاهر طاهر.. صانع ماهر"

بدأت أنفاس طاهر في الانتظام.. شعرت به فاطمة وقد هدأ
وعاد لطبيعته فسألته.. يا لالا يا حبيب خالة فاطمة.. إحكيلي..
ما بك؟ إيه اللي حصل؟.. لما تركض بسرعة هكذا؟.. لقد
أفزعتني عليك ألا تعلم مدى حبي لك وإني أراك واحداً من
أولادي مثل أسماء وبكري ولبية وعبد الهادي ورشيد..

رفع طاهر رأسه من فوق صدرها وبكلتا يديه وبحركة سريعة
أزال آثار فيضان الدمع الذي ملأ مقلتيه السوداتان الصغيرتان..
وبدأ وهم ليحكى بصوت هزيل ضعيف يملأه الخوف حيث
عاد جسده ينتفض من جديد..

لقد رأيت.. رأيت .. مركب بيضاء صغيرة وبدخلها ..
بدخلها .. بدخلها ..

لكنه توقف عن الكلام وعينه مشتتان على طبق وبجواره
عقد.. أطال النظر في الطبق وفي العقد بجواره وهو واضعاً
رأسه على أرجل الخالة فاطمة الجالسة على كليم على الأرض.
نظرت تجاه ما ينظر إليه طاهر.. الذي بادرها بالسؤال ما هذا
الطبق؟ وما هذا العقد؟

هل تصنعين عقداً لأسماء أم للبيبة؟

ضحكت فاطمة ضحكة صافية تغسل بها هموم قد احتلت
جزءاً لا بأس به من قلبها ..

الله يجازيك يا طاهر.. أضحكنتي

لم تكمل ما حدث لك.. أكمل لي أولاً ثم أجيبك أنا عن
سؤالك .. فقال طاهر .. لا يا خالة .. وغلاوتي عندك.. أخبريني
ما هذه الأشياء وسوف أكمل لك أنا ما حدث لي.

حسناً .. يا طاهر.. رغم إني مليئة بالقلق والخوف عليك ..
فأنت لا تستطيع معرفة مقدار محبتك في قلبي ..

هذا ما تراه يا ولدي ليس عقدًا لأسماء أو للبيبة .. ولا شيء
يُلبس من الأساس .. إنما يؤكل ..

طاهر: يؤكل؟! .. كيف هذا يا خالة .. لقد إزداد فضولي
فاطمة: إنه نوع من الخضروات نقوم بتجفيفه وأنت تحبه
بشدة ودائمًا ما تطلبه في الغداء .. هل عرفت ما هذا..؟

أمسك طاهر بقطعة في يده الصغيرة يستشعر ملمسها .. ثم
قربها إلى أنفه المدببة .. وأخذ شهيقًا .. وفجأة لمعت عيناه
وإنتفض قائلاً: نعم يا خالة إنها .. بامية ..

فاطمة: صحيح .. كم أنت ذكي وقوي الملاحظة يا صغيري ..
رغم أنها جافة وقد تبدل لونها ورائحتها لكنك إستطعت أن
تدرك أنها البامية .. ونحن نطلق عليها بامية ويكا .. ويصير طعمها
لذيذ للغاية عند طهيها ..

طاهر: لكن لماذا أرى إبرة وبعض الخيوط ..
فاطمة: نحن نقوم بلضم كل حبة بامية في هذا الخيط فتصير
مثل العقد ثم نقوم بتعليقها على مسمار فى الحائط ونتركها

لتجف أكثر ونأخذ منها عند الحاجة أو عندما تشتاق النفوس
لأكل البامية حيث يكون الوقت ليس موسم زراعتها..

كان طاهر مستمتعاً بحديث الخالة فاطمة وتحديدًا عن الطعام
فطالما كان يسألها عن كل صنفٍ يأكله وخاصة الذي يعجبه ..
وطالما طلب إليها أن يصحبها داخل حجرة الطهي ليراقب ما
تفعل وأنه يستطيع مساعدتها.. لكنها كانت دائمة الرفض ..

أخاف عليك يا ولدي من حرارة النار ووجود السكاكين،
والآن يا صغيري.. لقد أجبك لك عن كل أسئلتك.. حان دورك
الآن لتزيل علامات الإستفهام التي تملأ رأسي والهم الذي
سكن قلبي .. ماذا كان بك.. ما سبب خوفك وهلعك..؟

قام " طاهر " من مكانه واقفًا.. وأخذ يد الخالة فاطمة وجذبها
وطلب منها أن تصحبه إلى الخارج ليحكي لها ما حدث له..
إستوقفته فاطمة قائلة إنتظر لبرهة حتى أحضر غطاء رأسي ..
أنت تعلم يا طاهر يا ولدي .. لا أستطيع الخروج كاشفة رأسي
هكذا على العامة أو ضيوف عمك جعفر

سارا سوياً و" طاهر" ممسكاً يد الخالة فاطمة والذكريات لا تدع له مجالاً حتى لسمع ما تقوله الخالة فاطمة .. ذكريات ليست من زمن بعيد حيث كان يسير في نفس هذا الطريق بصحبة أبيه وأمه .. ممسكاً بيد أمه صافية وأبيه يسير أمامهما متقدماً بعدة خطوات وعلى كتفه اليمين معلقاً سلة مصنوعة من الخوص المرن .. وعلى كتفه الأخرى الشبكة الكبيرة الثقيلة .. والتي يتدلى منها قطع من الرصاص الدائري .. الثقل الذي يعطى إستقراراً للشبكة وسط المياه المتحركة في النهر ..

مع إقتراب طاهر لحافة النهر بصحبة الخالة فاطمة وجدت بعض قطرات الدمع الساخن طريقها لتتدفق من داخل مقلته الصغيرتان في هبوط على وجنتين ناعمتين ممتلئتين .. زاد تدفق الدمع مع بطيء خطوات " طاهر" إلى أن توقف تماماً رافضاً الإنصياع لحركة يد الخالة فاطمة وهي تجره ليوصل السير .. نظرت فاطمة وهي متقدمة خطوة عن " طاهر" لترى عيناه ممتلئة بالدمع ووجهه لامع من خيوط قطرات الدمع اللؤلؤية المتلاحقة الساقطة من فوق إلى أسفل كهبوط الشلال ..

ضربت بيدها على صدرها.. مالك يا ولدي !!؟
أشار طاهر وهو لم يتمالك نفسه من رفع صوته بالبكاء عاليًا
أشار بإصبعه تجاه مركب صغيرة بيضاء اللون بخطوط زرقاء
وهي التي شاهدها منذ فترة وكانت سبب خوفه..
وفوقها.. رجل واقف يحفظ توازنه على مقدمة المركب
ببراعة شديدة وإمرأة تمسك بالمجدافين بسهولة وكأنها تمسك
بريشتين..

قائلًا: انظري.. إنه أبي وأمي.. ألم تخبريني أنهما الآن عند
ربنا.. وأنا شاهدت الحادث عندما اصطدمت بهما تلك المركب
الكبيرة.. الفندق العائم وأدت إلى غرق المركب وتحطيمها
وموت أبي وأمي..

فاطمة: وهي تنظر وتطيل النظر في تلك المركب.. نعم.. ما
أشبه اليوم بالبارحة.. إنها مركب شبيهة للغاية من مركب أبوك
نفس الألوان تقريبًا.. وعلى متنها رجل صياد وإمرأة تجدف
وتحرك المركب.. معك كل الحق يا طاهر.. لكن يا ولدي أنهما
ليسا أباك ولا أمك رحمهما الله... أنه مجرد تشابه..

تعالى يا ولدي.. وضمته فاطمة إلى صدرها وقد إزدادت
محبتة في قلبها أضعافاً على ما كانت عليه..

وهنا سمع الإثنان أصوات أطفال تركض تجاههما..

أمي .. أمي .. طاهر..

إنهم أولاد عم طاهر.. أبناء الخالة فاطمة.. أسماء وليبية
ورشيد وعبد الهادي وبكري..

وما أن اقتربت أسماء .. حتى لاحظت بكاء طاهر.. بدأ
الإنزعاج والقلق يبدوان على وجهها الصغير.. وشعرها الأسود
ذو الضفائر اللامعة يلامس كتفيها..

سألت مراراً.. ما يبكيك يا طاهر؟.. ماذا هناك يا أمي؟..

مرت برهة قبل أن يستطيع طاهر الكلام.. ولكن دموع أسماء
سبقت كلامهما لتهبط بسرعة شديدة وتقترب منهما وترتمي في
حضن أمها فاطمة لتشارك طاهر الصغير ذاك الحضن الدافئ..
وسط دهشة بقية الأطفال والذهول الذي أحاط اسئلتهم..
ماذا حدث لكل هذا؟..

لم ينس طاهر حادثة موت أبيه وأمه ولا الفندق العائم الذي كان تسبب في فقدته أعلى ما في حياته .. أمه صفية وأباه مسعود .. كم أكره تلك المراكب الضخمة وتحديداً المراكب العائمة أو الفنادق العائمة فوقها أناس ببشرة بيضاء وشعر أشقر .. يستمتعون بالشمس ويسبحون داخل المسيح الصغير ويستمتعون بأشهى المأكولات وألذ الشراب وفي الخارج وأسفل المركب .. مات أبي وماتت أمي ظلماً ..

وكان المراكب تعيد إنفاذ قانون ما تحت البحار إلى ما فوق سطح البحر ففي داخل المياه وتحت سطح البحر، القانون النافذ هو البقاء للأقوى .. حيث يأكل السمك الكبير أسراباً من السمك الصغير .. وكذلك فوق المياه .. نفس القانون ولكنها بإرادة وتدخل بشري فالمراكب الكبيرة تصطدم وتغرق المراكب الصغيرة .. فتقتل أصحابها وتيتم أولادهم .. وتركهم في العراء بلا عائل أو مصدر رزق.

في أقصى شمال الكرة الأرضية وفي إحدى ضواحي عاصمة السويد استكهولم وفي مقاطعة قريبة من العاصمة كانت «كارين» ذات الثمانية أعوام تلهو خارج البيت الريفي القديم المصنوع من الخشب الذي يزداد قوة وصلابة بمرور الزمن وهطول الأمطار والثلوج والتي لا تتوقف إلا فترات قليلة من العام..

كانت «كارين» تتلمس يديها الصغيرة.. تلمس أوراق النباتات التي تخرج من التربة الطينية.. وتقترب بأنفها الرقيقة وتشم رائحتها محاولة التعرف عليها وملاحظة الفروق في اللون والملمس والرائحة بين كل نبات خرج من التربة..

تلتفت الصغيرة كارين ناظرة ناحية باب المنزل الخشب القديم.. إنها أمها «ماتيلدا» تقف أمام الباب تطلبها للحضور لتناول طعام الغداء معها..

جلست «كارين» على الطاولة الصغيرة في مقعد مقابل للأم «ماتيلدا» التي أسرعت بالإمساك بيد «كارين» قبل أن تمسك بقطعة الخبز التي أمامها وتضعها في فمها..

ألن تغسلي يدك الممتلئة بالطين والأتربة؟

كارين: يا أمي إنها طينة الأرض .. إنها الطبيعة .. والطبيعة لا
تؤذي الإنسان الذي يعيش على الأرض ..

ماتيلدا: توفقي عن هذا الجدل العقيم .. هيا اذهبي لغسل
يديك .. وعندما تعودى لا تجلسى على الكرسي المقابل لي ..
إنه مقعد أبك، اجلسى على المقعد المجاور لي ..

توقفت كارين قبل غسل يديها .. مرردة باستنكار ..

مقعد أبي .. وأين هو أبي .. أين هذا الأب .. أنا لم أره طيلة
حياتى .. مجرد بضع صور قديمة .. أجلس في مقعده كي
أستشعر وجوده معنا .. لماذا أنا بلا أب؟ كل أصحابي بالمدرسة
لديهم أب وأم .. أما أنا فأعرف من المتعة نصفها .. ليست المتعة
كاملة .. متعة العيش وسط الأبوين .. أنا ابنة أمي .. ابتك فقط،
لماذا لا يكون اسمي إذا كارين ماتيلدا بدلاً من كارين يوهانسن ..
لم تتمالك ماتيلدا سماع وتذوق طعم الحزن في كل حرف
تنطقه كارين ..

كفى يا بنتي.. قلبي لا يحتمل المزيد.. ربما يعود أباك إلينا
في أحد هذه الأيام أو إحدى تلك الليالي الباردة كي يساعدنا في
إشعال المدفئة

أطلقت كارين ضحكة سخرية وهمت متجهة إلى حوض
غسيل اليدين.

نهضت ماتيلدا متجهة ناحية الباب بعد أن سمعت طرقاً
وتلاه صوتاً جهورياً.. عرفته على الفور إنه.. جارهم فيكتور..
الذي تحدث بصوت مرتفع.. يبدو لي أنك لا تردن تذوق هذا
الطاجن الساخن الذي صنعه بنفسى من أسماك السلمون مع
الفلفل الحار..

أجتمع ثلاثتهم على مائدة الطعام الصغيرة.. فيكتور لا يتوقف
عن الكلام وإلقاء النكات.. بينما الصغيرة كارين ترقبه وترقب
عيناه اللامعتان كلما ينظر إلى ماتيلدا وكأنه يفصح عن حبه لها
في كل حرف ينطقه..

ولكن كارين كانت تدرك جيداً وبعد مناقشة طويلة بينهما منذ عدة أيام مضت أن قلب ماتيلدا لم ولن يدق لأحد سوى يوهانسن وهذا ما أثار العجب في عقل وقلب كارين كيف لها أن تحمل كل هذا الوفاء والإخلاص لرجل.. تركها قبل أن تضع مولودتها.. تركها وهي في شهور حملها الأخيرة.. ليذهب لعمله على متن إحدى السفن العملاقة.. أي عمل هذا يجعله يترك أسرته.. زوجة على مشارف وضع أول مولود لهما.. أول فرحة..

ذهب على إحدى سفن الصيد العملاقة.. التي تجوب المحيطات بحثاً عن أسراب أسماك التونة.. فيقوم العاملون عليها باصطياد الألاف منها ثم طهيها وتعليبها وتجهيزها لتحتل لها مكاناً على أرفف متاجر البقالة في جميع أنحاء العالم..

وهل هذا عذر له أن يغادر بلا عودة.. وهذه المسكينة ما زالت ممسكة بخيط من أمل ربما ينقطع في أي لحظة ومع ذلك أنا أيضاً أتمنى أن يدخل علينا.. أريد ان أراه.. ارتمى في أحضانه أشعر بدفته واشتم رائحة حتى ولو كانت معبأة برائحة أسماك

التونة فبرغم كل ما أظهره من غضب وقسوة عليه وعلى أفعاله ..
الا اننى أحبه .. وأحدثه بينى وبين نفسى كثيراً .. حتى أنى
أحياناً أحدث النباتات التى فى الحديقة عنه .. فكل نبته تعرف
أبى ووتعرف أحزان وآمال أمى .. فالرب قد أرسل لنا الجار
العزير العم فيكتور ليكون لنا أحياناً عوضاً عن غياب الأب ..
توقف فيكتور عن الكلام فجأة .. وألفت إلى كارين محدثاً
ياها :

لماذا انت صامته يا صغيرتى الجميلة .. هل تفكرين فى أحد
الاولاد من زملائك فى المدرسة .. هل تعجبين بأحدهم ..
ضحكاً بشدة ..

كارين: لا. لا ليس هذا .. هذا لن يحدث أبداً .. لا اعجاب
ولا شىء من هذا القبيل

فيكتور: ولكن هذا أمر طبيعى .. وعندما تكبرين .. بالتأكيد
سوف تعيشين قصه حب سعيدة وتتمنى العيش مع حبيبك
ماتيلدا: فيكتور .. كارين ما زالت صغيرة على كل هذا ..

كارين: ربما أنت محق يا عم فيكتور لكننى قرأت فى أحد الكتب فى مكتبه المدرسة بعضاً من عادات الشعوب والحضارات القديمة وأنا أعجب بها كثيراً وأتبنى بعض أفكارهم .. فهم مثلاً يؤمنون أن الفتاه يجب أن تتحلى بالحياء والخجل ولا تفصح عن مشاعرها تجاه أى رجل إلا عند اقتراب الزواج منه ..

فيكتور: حضارات أى حضارات هذه ..

كارين: أنها من الشرق .. الحضارة الاغريقية التى خرج منها الفلاسفة وكذلك الحضارة الفرعونية التى أقيمت على ضفاف نهر النيل ..

فيكتور: حسناً . حسناً يبدو أننى بثقافتى المتواضعة لن استطيع أن أجاريك فى هذا الامر .. وضحك ثانية

وبعد ان غادر فيكتور منزلهم عائداً إلى بيته .. ذهبت ماتيلدا إلى خزينة الملابس الخاصة بكارين وبحثت بها قليلاً وأخرجت بعض الملابس الشتوية الثقيلة .. قائلة اريدك يا صغيرتى ان ترتدى ملابس ثقيلة وخاصة عند لعبك بالخارج .. فبرودة

الطقس تزداد كل يوم .. وقريباً سوف تشاهدين أسراب الطيور المهاجرة ..

كارين: طيور مهاجرة .. أى طيور..؟

ماتيلدا: أنها طيور تشبه البط والأوز .. تترك البلاد الباردة عندما يحل الشتاء القارس .. متجهه جنوباً حيث البلاد الدافئة فتستقر بها عدة أشهر .. ثم تعود ثانياً إلى هنا وهذا يحدث كل عام ..

كارين: أمر عجيب للغاية .. وكيف لها أن تعرف طريق الذهاب لتلك البلاد الدافئة وكيف لها أن تعرف طريق العودة .. ثم أضافت مازحة .. لا بد انها تضع علامات فوق السحاب كي لا تضل طريقها ..

نامت كارين ليلتها بجوار المدفأة وهي تفكر فى تلك الطيور المهاجرة وتمنت أن تراها وهي تطير فى أسراب .

وكان السماء سمعت لدعائها وقررت ان تحقق للصغيرة أمنيتها برؤيه تلك الطيور المهاجرة ..

ففى صباح اليوم التالى توجهت كارين إلى خارج المنزل
لمتابعة نمو النباتات والحديث إليها واشتتتام رائحتها كعاداتها
فى كل يوم واذا بها تسمع أصوات كالأبواق .. نظرت إلى أعلى
.. فإذا بسرب كبير من الطيور يطير فى شكل مثلث .. طائر من
الأمام يشكل شكل المثلث وبقية الطيور تطير وراءه فى تناغم
غريب ومسافات واحدة بينها..

طيور بلون رمادى ولكن أسفل جناحيها ملون بلون أحمر..
اختفت الطيور بعيداً وإذا بكارين تشاهد شىء باللون الأحمر
يطير فى الهواء .. ليسقط بين قدميها

انها ريشة .. حمراء .. ربما قد سقطت من احدى الطيور من
خلف الجناح الملون باللون الأحمر بينما بقية الجسم باللون أو
الريش الرمادى..

التقطت كارين الريشة الرمادى بين يديها وشعرت كان الطيور
تحادثها أو ربما تشكرها على الاهتمام بها وإطالة النظر إليها إلى
أن غابت عن الانظار بعيداً..

أخذت كارين الريشة الحمراء وهى فرحة للغاية ودخلت إلى داخل المنزل وجلست على اريكة صغيرة لتتأمل الريشة .. ثم فتحت صندوقاً خشبياً قديماً .. وأخرجت دفترًا تكتب فيه بعض خواطرها .. ووضعت الريشة بين أوراق ذلك الدفتر ..

لم تكن تعلم كارين الصغيرة أن تلك الطيور سوف تستقر فى نهاية رحلتها فى بلاد أحد الحضارات التى طالما أعجبت بها وبأهلها..

انها سوف تستقر فى بلاد أسوان الدافئة .. بلاد حضارة الفراعنة الأجداد .. بلاد الدفء والجمال والأهل الطيب ..
قضى - طاهر - أوقاتاً طويلة فى مراقبة الخالة فاطمة أثناء اعدادها وطهوها للطعام .. وهو لا يكف عن اطلاق وابل من الأسئلة عن كل تفاصيل ما تفعله ..

فى إعداد الخضروات واللحم والأرز وطريقة عمل عيش الشمس ..

فكان يقضى أسعد أوقاته بوقوفه خلف الخالة فاطمة في
حجرة الطعام للمراقبة وإلقاء الاسئلة.. ولكن كعادة السعادة ..
فهي لاتدوم طويلاً

فكان على الجانب الآخر نخرات من سوس الغيرة قد وجدت
طريقها إلى قلب لبيبة وانضم اليها في ذلك الأمر أخيها بكرى..
وكان هذا على النقيض من ما كان في قلب أسماء تجاه
-طاهر-

فكانا لبيبة وبكرى يدبران المكائد لطاهر وكان هذا ما يؤرقه
ويفسد عليهمته وسعادته التي يلقاها بين صنوف الطعام
باختلاف الوانها ورائحتها وبالطبع طعمها..

فكان بعد كل مقلب سخيف كما كان يسميه من لبيبه وبكرى
.. يركض مسرعاً ناحية حافة النهر ويجلس على صخرته
المعهودة والتي كان يجد عندها كل ألفه وأمان وحماية لدرجة
أنه كان يتخذ منها ساتراً ويختبئ خلفها كي لا يجده بكرى عندما
يركض خلفه ليكمل مسلسل مضايقاته..

فكانت الخالة فاطمة تعوضه غياب الأم والصخرة تمثل له
الأب القوى الصلب الذى يوفر له الحماية والأمان ..

وبينما هو جالس خلف الشجرة مختبأً فى أحد أيام الشتاء
الدافئة فى جنوب مصر.. فى أسوان الجميلة ..

سمع أصوات طيور .. فرفع رأسه لأعلى .. فشاهد أجمل
منظر ممكن أن تراه عينه شكل هندسى بديع لسرب من الطيور
الرمادية اللون .. تسير . أو تطير خلف قائدها .. فى تناغم غريب
وبينما ينظر إلى أعلى .. تهادت ريشة حمراء من أعلى .. وحركها
الهواء إلى أن استقرت أمامه وهو جالس خلف الصخرة الكبيرة
ريشة حمراء اللون فنظر إلى أعلى ثانية .. من أين أتت تلك
الريشة فالطيور لونها رمادى .. دقق النظر ثانية فإذا به يشاهد لون
أحمر خلف أجنحة الطيور الرمادية

دق قلبه الصغير فرحاً بهذه الريشه وكأنها هدية له من السماء
وأن هذه الطيور هى ساعى البريد الذى يوزع الرسائل ..

لكن من يمكن أن يكون الراسل !!؟!

هم ليقف ليعود بالريشة إلى منزل عمه .. لكن خاف من بكرى
وخشى أن يأخذها منه أو يحطمها .. حيث هكذا كان دوماً يفعل
مع كل ما يحبه طاهر هو أن يدمره أو يكسره .. - خطرت في
رأسه فكرة بسيطة للغاية استخدم اصابعه واطافره الصغيرة وقام
بحفر حفرة صغيرة بجوار الصخرة ووضع فيها الريشة ثم وضع
عليها التراب ثانية ..

كانت الصخرة او الأب الثاني له .. هي الملاذ والمكان الذي
يستشعر معه الامان فى الحفاظ على حاجياته الخاصة جداً
والشخصية ..

وكان دائماً يشعر أن بكرى اذا حاول العبث بجوار الصخرة
.. أو الحفر فى الأرض .. فلسوف تنقض عليه الصخرة الكبيرة
وتتدحرج فوق جسده وتهشمه ..

عندها فقط زال عنه الخوف وابتسم .. واسترد فرحته بتلك
الريشة .. ولكن لماذا هو فرح هكذا .. انها مجرد ريشة سقطت
من طير يطير فى السماء ..

لم يكن يعلم أن تلك الطيور الطائرة فى سرب منظم قطعت آلاف الأميال .. آتية من بلد بعيد فى شمال الكرة الأرضية عابرة الجبال والوديان والانهار والبحار والمحيطات لتصل وتحط رحالها فى جزيرة النباتات وسط نهر النيل فى أسوان ..

عاد "طاهر" أدراجه متجهاً إلى البيت وعقله لا يتوقف عن التفكير فى سرب الطيور الذى مر فوق رأسه .. فوق الصخرة وترك له هديه وتذكراً .. الريشة الحمراء .. ما أجملها وما أن اقترب من فناء المنزل .. حتى استقبلته أسماء قائلة والأبتسامة الرقيقة تعلو وجهها .. لقد صنعت لك شيئاً .. انتظر مكانك ولا تتحرك سوف احضر اليك حالا .. انتظر " طاهر " وأنفه تشم رائحة شهية .. حاول تخمين ما هذه الرائحة الشهية .. أنها تشبه البصل المحمر أو الثوم المحمر ..

وبعد لحظة اشتم ايضا رائحة خل قوية .. زاد فضوله ليعلم ماذا تطهى الخالة فاطمة .. وهم بالدخول إلى داخل الدار لاستكشاف ما يحدث فى حجرة الطعام .. لكن أسماء حضرت قبل دخوله قائلة: " اغمض عينيك "

أغمض " طاهر " عينيه .. فإذا بها تقدم له علبة صغيرة
مستطيلة مصنوعة من زعف النخيل الجاف .. ولها غطاء وقفل
يغلق باحكام ..

ابتسم طاهر فرحاً .. " أهذه لى ؟! " "
أسماء: " نعم .. صنعتها لك خصيصاً .. لتضع بها أقلامك
الدراسية "

طاهر: وكيف فعلت هذا .. وهل تعلمت مهارات صناعة
الزعف اليابس

أسماء: " نعم جدتى علمتنى كيف أصنعها وسوف أتعلم
أشياء أخرى فأنا الآن أصنع سلة للخبز لأمى .. لتضع بها الخبز
بدلاً من تلك السلة البالية التى تستعملها الآن ..

هيا خذها يا " طاهر " وضع بها أقلامها
مد يده الصغيرة وأخذها العلبة ولم يرى فى العلبة أى شئ
أحق أن يوضع بها ويقع داخلها .. سوى الريشة الحمراء ..
وكان السماء قبدا أرسلت اليد أسماء لتعطيه الحافظة المناسبة
للريشة لحمايتها من التلف ..

شكرها " طاهر " واستأذنها للذهاب .. سار فى اتجاه
الصخرة على ضفاف النهر .. يفكر فى الريشة الحمراء .. لكن
مازال الفضول يقتله ليعلم ماذا كانت الخالة فاطمة تطهو .. أهو
بصل محمر أم ثوم أم تصنع خلاً ..؟!!!

وصل إلى مكان الريشة المدفونة فى الرمال خلف الصخرة ..
واستخدم يديه الصغيرتان وأظافره مرة أخرى .. وأخرج الريشة
ونفظها من الرمال العالقة وأخذ ينفخ فيها برفق إلى أن زالت
عنها الرمال العالقة بشعيرات الريشة الحمراء الرقيقة .. وكان
يتمنى أن يكون حجم العلبة كافياً ويستطيع أن يضع فيها الريشة ..
لم يصدق نفسه عندما وضع الريشة داخل العلبة وكانت
متطابقة للمقاس من الداخل وكأن العلبة صنعت خصيصاً لهذه
الريشة .. وكأن أسماء تعلم أنه بحاجة لحافظة قوية لحفظ الريشة
الرقيقة ..

لم يستطع أن يتمالك نفسه من الأبتسام المصحوب بالسعادة
والفرحة البريئة .. الفرحة التى تحدث لأقل الأسباب .. أقل
الأشياء تفرحه ..

بيد حانيه .. ايقظت ماتيلدا كارين الصغيرة وهي تربت فوق
كتفيها وظهرها في رقة وحنان.. ودائماً ما تحب وتستمع كارين
بلمسات أمها الحانية.. فهي المصدر الوحيد لها لامدادها بكل
احتياجاتها العاطفية..

ماتيلدا: هيا يا صغيرتي الجميلة .. استفيقي .. الشمس وضوء
الشمس الخافت يناديكى .. ويطلب اللقاء .. فهل تقبلى فى
مقابلة الشمس وهي تبدأ فى السطوع..

كارين: وهي مبتسمة صباح الخير يا أمى .. ومن أكون أنا
كى تطلب الشمس لقائى .. لكن كيف عرفتى أننى أشعر أحياناً
أن الشمس ملكى وحدى وخاصة عندما قرأت وعرفت أهمية
الشمس للنبات.. وأنت تعلمين أن النباتات هى حياتى ومحط
أهتمامى..

لكن اخبرينى .. عن جد القول .. لماذا توقظينى .. فالיום اجازة
من المدرسة؟

ماتيلدا: نعم .. اليوم الأحد .. هل نسيتي .. انه ميعاد انتظار
أباك.. نذهب أولاً إلى قداس يوم الاحد فى الكنيسة .. تقام
الصلوات .. نبارك الرب .. وندعوه أن يعود إلينا يوهنسن ونوقد
له شمعه .. كما نفعل كل أحد وبعدها نتوجه إلى المرفأ ..
مرفأ الصيد ننتظر مراكب الصيد العائدة .. لعله يكون على متن
احداهن ..

كارين: ثانيه يا أمى .. ألا تكفى عن هذا .. أكثر من ثمانى
سنوات وأنت تقومين بالفعل نفسه .. بلا فائدة ..
أتدريين أنه يذكرك كما تذكريه .. أتدريين هل فكر فى أيام
حملك وهل وضعت أم لا .. وهل المولود ذكر أم أنثى .. وما
اسم هذا المولود .. ابنه أو ابنته ..

ماتيلدا: نعم هو يعلم اسم المولود .. لقد تحدثنا فى هذا أيام
شهور حملى .. واخبرنى انه ان كان ذكراً .. فهو يحب اسم كارل
وان كانت انثى .. تكون كارين

وها ات كارين الجميلة بعينان زرقاوان وشعر أشقر ناعم
طويل وشفتان ورديتان وابتسامة ساحرة وصوت ملائكى ..

كارين: حسناً يا امي فلنذهب .. أفعل كل ذلك من أجلك لأرى السعادة والترقب في عينك عند الانتظار.. لكن اكره نظرة خيبة الأمل والحسرة والحزن الذي يرسم على وجهك ونحن في طريق العودة .. بعد ان تعلمي أن كل سفن الصيد قد عادت وهو ليس واحداً من عشرات الصيادين والبحارة الهابطين من فوق تلك السفن.. ولكن لى شرط واحد .. أن نجلس في المقهى المقابل للمرفأ .. لنحتسى القهوة الساخنة أو الكاكاو الساخن مع اللبن..

ماتيلدا: وهى فرحة .. حسناً لك ما تطلبين .. هيا استعدى وارتدى ملابس ثقيلة .. فالجو والرياح شديدة على شاطئ البحر ..

طلبت ماتيلدا من كارين بعد مغادرة فيكتور، الإستعداد للذهاب معها لإنتظار قدوم أباهما يوهانسن .. ربما يظهر وسط الهابطين من مراكب الصيد هذه المرة.

أجابتها كارين وهي تكمل إرتداء ملابسها: موافقة.. ولكن لي شرط واحد.. أن نجلس في المقهى المقابل للمرفأ.. لنحتسي القهوة الساخنة أو الكاكاو الساخن مع اللبن..
ماتيلدا: وهي فرحة.. حسنًا لك ما تطلين.. هيا استعدي وارتدي ملابس ثقيلة.. فالجو والرياح شديدة على شاطئ البحر..

عاد " طاهر" إلى البيت ولم يعلق في عقله أو يحتل جزء من تفكيره إلا أمران أولهما: الريشة الحمراء والتي يرى فيها طاهر أنها ربما تكون فيها سر الكون، وثانيهما: الرائحة التي خرجت من حجرة من طعام الخالة فاطمة، توجه فورًا إلى حجرة الطعام فاصطدم بالخالة فاطمة وهي تعد طاولة الطعام سألها على الفور.. هل كنت تطهين طعامًا يحتوى على بصل محمر أو ثوم محمر.. تسمرت الخالة فاطمة في مكانها فاتحة فاهها.. ونظرات الدهشة تعلو وجهها.. كيف عرفت.. أنا لم أرك منذ الصباح..
انت فعلاً موهوب يا طاهر، وضع فيك الله حاسة شم وتذوق

لم أرهما عند أي طفل مثلك .. أنا فعلاً طهوت عدسًا أصفرًا ..
وأقوم بعمل تقليية من الثوم والسمن والخل .. وبعد أن أفرغ
الطعام في الأطباق أضع فوقه بصلاً محمرًا بني اللون

كانت هذه هي بداية اكتشاف " طاهر " لنفسه وبمعاونة الخالة
فاطمة وتشجيعها صار يصاحبها ويتحصل منها على معلومات
كثيرة عن الطهي وأنواع الخضروات واللحوم والأسماك
والطيور .. عشرات الأسئلة يلقيها عليها وهو يساعدها في
الإعداد للطعام .. والخبز أحياناً ..

وكانت فاطمة تشعر أن طاهر سوف يكون له شأن كبير ربما
يفوق شأن عم عبد القدوس وهو رجل نوبي طاعن في السن
يسكن قريباً منهم .. جميع أهل البلدة يعرفونه أكثر من معرفتهم
بالمحافظ نفسه .. حيث كان عبد القدوس هو الطاهي الخاص
بالمملك فاروق .. وعاد إلى بلدته الصغيرة بعد قيام ثورة يوليو
١٩٥٢ ومغادرة الملك لقصر رأس التين بالاسكندرية على
يخت المحروسة .. يومها طلب عبد القدوس مصاحبة الملك
والسفر معه على اليخت .. لإعداد الطعام له ولأسرته وخاصة

أنه كان بينهم الأمير أحمد بن الملك فاروق أو سمو الأمير ..
ولكن اللجنة الممثلة لمجلس قيادة الثورة آنذاك رفضوا طلبه ..
ومنذ عودته .. يجتمع مع أهل البلدة اسبوعياً بعد صلاة العشاء
من كل يوم جمعة ليستمعوا لحكاياته ونوادره أبان العمل في
القصر .. وكيف كان الملك .. وكيف كان ذوقه في الطعام .. وأهم
الأصناف التي كان يطلبها وأنواع الحلوى المختلفة .. كانت عينا
عبد القدوس تلمع بشدة حين يذكر أي إطراء سمعه من الملك
أو أحد أفراد الأسرة الحاكمة .. لأي صنف قام بطهيه .. وأحيانا
لمعة مصحوبة بغصة تزداد لتتحول إلى قطرة دمع صغيرة تملأ
عين العجوز .. الشيف العجوز ..

كان يحتفظ بصور كثيرة، كان بعضها معلقاً على جدران
المنزل الصغير وهو يرتدي قميص الطهاه الأبيض ورأسه مغطى
بالقبعة الواسعة الطويلة .. ويرتدي قفازات في يده أحياناً وأمامه
ديك رومي أو نصف خروف وهو مبتسماً فخوراً بإنتمائه على
ذلك الخروف أو الديك الرومي وقام بطهيه ووضع داخله حشوة
لذيذة المذاق .. وفوقه التوابل التي تعزز الطعم وتبرز النكهة ..

وفي أحد الأيام.. ذهبت الخالة فاطمة كعادتها للسوق لشراء حاجاتها من الطعام.. من الخضروات واللحم وخلافه.. وإذا بها تجد عم عبد القدوس يشتري ويتتقي بعض حبات الطماطم.. ألفت فاطمة عليه السلام في احترام وأدب شديد.. وسألته عن صحته وأحواله..

ذكر لها أن الصحة ليست كما ذي قبل وأنه دائماً متعب ولا يقوى على الحركة كثيراً ويجد صعوبة في الخروج لشراء حاجياته أو لخدمة نفسه داخل المنزل.. فطفقت إلى ذهنها فكرة.. ثم سألته.. ولما لا تجد أحدهم لمساعدتك والقيام على خدمتك؟

ضحك عم عبد القدوس.. وقال كيف لي يا بنيتي.. أنا فقير وليس لدي المال الذي أدفعه لخادم أو خادمة.. فأنا أعيش بالكاد.. عاجلته فاطمة بالحل.. أنا أعرف من سيساعدك.. دون مقابل مادي ولكن معنوي..

عبد القدوس: دون مقابل مادي ولكن معنوي.. كيف هذا أنا لا أفهم.. أعذريني.. لا أفهم ربما كبر سني وضعف عقلي..

فاطمة: عفواً يا عم عبد القدوس.. أنا أقصد أنه سوف يقوم بمساعدتك قدر استطاعته وعلينا أن تعلمه الطهي على أصوله وأن تجعل منه طاهي شاطر مثلك..

عبد القدوس: ضحك.. ومن هذا المجنون الذي يريد أن يتعلم هذه المهنة.. ألا ترين حالي.. بعد كل هذه السنوات في الطهي وخدمة أهم رجل في المملكة المصرية.. الملك شخصياً.. بعدها إنتهى بي الحال كما ترين.. لا أملك إلا الذكريات ومجموعة من الصور..

فاطمة: أنه ابن أخ زوجي.. "طاهر" ذو العشرة أعوام أنت تعلم ماذا حدث لأبواه.. إنه ابن مسعود رحمه الله وشفقة.. رحمة الله عليها.. هو يهوى الطهي ولديه شغف كبير بالتعلم والعمل بيديه.. فربما يكون عوناً لك وأنت تكون المعلم والناصح له.. بدأ طاهر منحى مختلف وتحول جديداً في حياته حيث كان يعود من المدرسة إلى منزل عم عبد القدوس فيقوم بتنظيف المنزل ومساعدة عم عبد القدوس قليلاً ثم الذهاب لشراء الأغراض من السوق.. ثم البدء في طهي الطعام.. فكان عبد

القدوس يجلس على كرسي في المطبخ ويعطي توجيهاته وتعليماته لطاهر بدءً من كيفية شراء السلع وإنتقاء الخضروات والفروق بينها إلى كيفية غسلها بشكل سليم وصحي.. إلى تقطيعها وطرق تخزينها إلى طهيها.. وعلمه أنواع أدوات المائدة.. أنواع السكاكين.. فكل سكينه لها شكل مختلف تستخدم لغرض معين.. وكيفية حمل السكينه والتقطيع ببطئ مذكراً إياه أن سرعة التقطيع سوف تأتي مع كثرة الممارسة والخبرة.. ثم تطرق إلى أنواع البقول اليابسة وكل ما يتعلق بطهيها ونقعها في الماء في الليلة السابقة.. وأشياء أخرى كثيرة تعلمها طاهر فترة إقامته لدى عم عبد القدوس.. وفي الليل قبل النوم.. كان يقوم طاهر بفتح حقيبته المدرسية لعمل الواجبات واستذكار دروسه..

كان طاهر سعيداً بالعمل لدى عم عبد القدوس ولكن من كان أكثر سعادة وامتنان هو عبد القدوس نفسه.. فقد أدخل طاهر عليه البهجة والسرور وأزال شعور الوحدة القاتل.. حيث وجد فيه عوضاً عن ابنه مجاهد الذي استشهد في عدوان ١٩٦٧

والذي بكاه عبد القدوس طويلاً إلى أن ضعف بصره وفقد أكثر من نور عينيه..

وضع الله محبة طاهر في قلب عبد القدوس الذي شعر بحب طاهر في قلبه كحبه لمجاهد.. الشهيد مجاهد

لم يكن عبد القدوس يملك في بيته أي شيء ذو قيمة إلا أدوات الطهي الملكية والتي عاد بها بعد أن ترك العمل في القصر.. أخذ معه مجموعة السكاكين والتي محفور على مقبض كل منها حرف () كناية عن فاروق وكان دائماً ما يقول لطاهر وهو شديد التأثر..

إذا مت.. خذ هذه الأدوات لك.. فلن تجد لها مثيلاً.. فهي ثروة حقيقية لمن يعرف قيمتها..

مرت أيام وشهور إلى أن أكمل طاهر عامه الأول مع عم عبد القدوس وصارت علاقتهما أقرب للأب بولده ومن ناحية أخرى الشيف للطاهي الصغير، تعلم طاهر خلالها صنوفاً أكثر من ألوان الطعام المختلفة من المطبخ الشرقي والمطبخ الغربي وكذلك

بعض صنوف الحلوى الشهية وكذلك المقبلات والمربات
والعصائر.

ولكن ما كان صعبًا على طاهر أن يتقنه هو عمل المخبوزات
والمعجنات وأسرار عمل الخمائر.. فتارة يخبز خبزًا يكون يابسًا
وتارة أخرى يكون غير متماسك.. شعر معها طاهر أنه مازال يحبو
في عالم الطهي.. وفي وسط إنشغالات طاهر بقضاء الوقت مع
أبيه الروحي العم عبد القدوس لم يهمل في دراسته وكان دائمًا
من المتفوقين.. وبين الحين والحين يأخذه الحنين والشوق
إلى ريشته الحمراء النادرة.. والتي يرى فيها دائمًا إنها مرسله له
من الملائكة وأنها تحوي فك طلاسم أسرار الكون الغير معلنة
والخافية على الجميع.. التي يجهلها أكثر الخلق لدرجة أنه ذات
مرة أخذ معه دواء الحبر الأسود وبعض الأوراق البيضاء وذهب
إلى مخبأه المعهود.. إلى صخرته الطيبة الحانية الحامية.. بعد
أن جلس فوقها بعض الوقت وأختبأ خلفها أغلب الوقت.. حفر
مكان العلبه الخوص القابع بداخلها ريشته الحمراء الساحرة.

أخرج الريشة.. ظل يتأملها وأطال التأمل فيها وكأنه يقدم لها
اعتذارًا عن طول غيابه وقلة زيارته لها.. ثم طلب منها أن تطلعه
على أسرار هذا الكون.. أخرجها ووضعها بجوار دواء الحبر
بعد أن فتح غطاءها.. ووضع بجانبها ورقة بيضاء انتظر لتتحرك
الريشة وتدخل إلى داخل قارورة الحبر الصغير وتنغمس فيها
قليلاً ثم تتجه إلى الورقة وتكتب له تعويذه أو فك شفرة أسرار
الكون والمصريين القدماء.. وسر براعتهم في علوم الهندسة
والفلك والكيمياء والزراعة وفنون القتال..

طال انتظار طاهر إلى أن داعبت الرياح الخفيفة عيناه..
فاستسلمت جفونه مدعنه.. مطيعة لنداء الطبيعة.. وانتظمت
أنفاسه وراح في سبات عميق..

أستيقظ بعد فترة لم يعرف مدتها إلا خالق الكون..
تلفت حوله في قلق وزعر.. محاولاً تذكر ما كان يحدث
وكيف غلبه النوم تذكر الريشة.. الحبر.. الكتابة.. نعم الأسرار..
فك الشفرة.. طلاس وأسرار الكون..

نظر إلى الورقة.. وجدها خالية من أي كتابي اللهم بعض
الأتربة التي ذرتها الرياح فوقها.. وقارورة الحبر مرفوعة
الغطاء.. والريشة.. أين الريشة الحمراء.. نظر.. لم يجدها..
أصابه خوف وهلع شديد وشعر برغبة جارفة في البكاء.. هل
سرقته هل أتى من أخذها.. أم أن الريشة هربت منه وملت من
خزعبلاته وخرافاته إنها لها قدرة خاصة وأن الملائكة أرسلتها
إليه عبر الطيور المهاجرة.. شعر برغبة شديدة في البكاء وفي
أن يرطم رأسه في الصخرة.. يعاقب ذاته على إهماله في حق
الريشة.. بعد أن أصابه الغرور وكأنه يفهم ماهية الأشياء..

دار دورة حول الصخرة وعيناه تبحث في كل مكان إلى أن
رآها.. نعم إنها هي.. ريشتي.. لا بد أن الرياح حركتها بعيداً..
ردت له روحه التي فارقت لعدة دقائق مرت عليه كالساعات
أو كالأيام وربما السنين، حملها برقة ورفق بين يديه وبادر إلى
تقبيلها.. لكن خشى أن يصيبها بأذى.. اعتذر لها والدموع تجري
على وجنتيه.. لن أفعل ذلك ثانية.. لن أهمل.. ولن أسيء فهمك
ولن أطلب منك ما لا تطيقين عليه.. أنا أسف.. هلا سامحتيني..

وأحكم عليها غطاء العلبة الصغيرة ثم وضعها في الحفرة مرة ثانية وهال عليها الرمال.. حاول النهوض ولكن شعر أن قدماه لا تستطيعا حمله.. سار ببطء إلى أن وصل إلى عم عبد القدوس وانهمك في تحضير طعام العشاء.. والجلوس بالقرب منه للاستماع إلى ذكرياته وحكاياته عن شبابه والعمل في السرايا قصر الملك المصري.. ملك مصر والسودان.. وكيف كان كل شيء منظمًا وتوقيت ثابت لا يتقدم دقيقة ولا يتأخر.. فكل شيء يُوضع ويُجهز بميعاد وتوقيت ثابت.. والنظافة وتطهير وتعقيم الأدوات المستخدمة في الطهي وتقديم الطعام وخاصة الأكواب والكوؤس والملاعق وخلاف ادوات المائدة.. والأهم من ذلك أنه كان يوقع على جميع العاملين وخاصة الطهاة.. الكشف الطبي الدوري وعمل لهم التحاليل اللازمة للتأكد من خلوهم من أي أمراض ولا انهم حاملين أي فيروسات من الممكن أن تنتقل لأحد أفراد أسرة الملك..

طال انتظار ماتيلدا وهي تقف مرتجفه من البرد والقشعريرة
تملاً كل خليه من جسدها النحيل.. تقف في أقرب نقطة يظهر
منها البحارة والصيادون.. ومن خلفها كارين تلتف بوشاح
صوف حول وجهها ورقبتها.. والهواء البارد يداعب شعرها
الأشقر الناعم الطويل.. وبعد مرور بعض الوقت.. انتفضت
ماتيلدا بعد أن قفزت في الهواء مهللة فرحة.. ونظرت خلفها
حيث تقف كارين.. إنه هو.. هو.. يقف هناك.. يوهانسن.. أباك
يا كارين..

انطلقت ماتيلدا وركضت بكل قوة وسرعة.. تجاه رجل..
يبدو من ظهره يوهانسن.. وصلت ماتيلدا وخلفها كارين..
ارتمت ماتيلدا على ظهره قائلة.. في حنان تلاشت معه كل
لحظة برودة أو سقيع في الجو..

يوهانسن.. انزعج الرجل ونظر خلفه إلى تلك المرأة التي
تحتضنه من ظهره وخلفها تقف فتاه صغيرة.. لم يكن هو.. لم
يكن يوهانسن.. لقد اختلط عليها الامر.. ظنته زوجها وحبيبها

ومن كثرة الشوق واللوعة لم تتفهم جيداً بل تركت العنان
لشوقها ومشاعرها وفكت كل قيود الحياء لتلعن حبها وانتظارها
لسنوات لحب العمر.. الزوج والحييب.. والأب.. ربما تفعل
هذا لاجل الصغيرة كارين.. التي لم تر هذا الرجل قط.. لم
تقع عينها على اباها.. لم يلمسها ولم تلمسه.. لم تشعر بحنانه
ورعايته و حمايته.. لم تجلس على رجله.. لم يحملها ويركض
بها فوق كتفه.. لم تنطق كلمة بابا..

شعرت ماتيلدا بحرج شديد.. تمت لو اختفت من هذا
المشهد المؤلم لها ولكارين.. اعتذرت بكلمات مقضبة..
وسارت وبجوارها كارين.. ولم تشعر إلا والدموع تنساب بقوة
وعنف كالشلال الهادر فوق وجنتيها.. ليزداد القهر وتضاف
آهات جديدة فوق آلامها.. لم تستفيق إلا ويد تربت على
ظهرها.. ظنت أنه الرجل الذي اخطئته بزوجها يوهانسن، فإذا
به فيكتور..

سقطت بعدها ماتيلدا على الأرض في حالة إغماء.. قلبها
الضعيف وكبرياؤها لم يتحملا ما مرت به وما تعرضت له.. هل

يعلم يوهانسن أين ما كان وتحت أي ظرف بعيد.. أن هناك أمرآه رقيقة.. وبنت صغيرة مازالت في بداية العقد الثاني من عمرها.. يعانون بسببه ويتألمون كل يوم.. ولا حديث إلا عنه ولا تفكير إلا فيه جهراً وسراً.. بعد كل هذه السنوات أي إخلاص ووفاء وصدق وقلب دافئ تتمتع به ماتيلدا وتحاول زرع كل هذا في قلب الصغيرة كارين

وجه فيكتور الدعوة لماتيلدا وكارين للذهاب للمقهى المقابل للمرفأ لتناول طعام الإفطار والقهوة الساخنة..

وطالما كانت كارين تتمنى وتنتظر هذه اللحظة أن تتناول إفطارها مع مشروب الشيكولاتة باللبن الساخن.. في المقهى.. لكن لم تتوقع مشاركة فيكتور لهذا الحدث الجلل لها ولأمها.. لم تكن تشعر بالإرتياح إليه.. تشعر إنه به شيء ما لا يدعو للشعور بالراحة وإنه دائماً ما تكون تلك الأحداث التي يكون فيها يوهانسن في أسوأ صورة.. الزوج والأب الذي تخلى عن زوجته وابنته الصغيرة.. فيظهر فيكتور ليحل محله ويلعب دوره وكأنه يعوضهما عن غياب يوهانسن.. لكن هيهات.. فبالرغم

من غضبي الشديد من أبي .. نعم أبي .. شئت أم أبيت أنه أبي ..
صحيح أنني لم أنطق تلك الكلمة منذ مولدي .. لكن مازال ولا
يزال أبي ..

لن يستطيع هذا الرجل الضخم المنتفخ بصوته الأجش
ونظراته التي ظاهرها الحنان وباطنها ذئب جائع .. لن يستطيع أن
يحل محل يوهانس .. أبي لدي أو لدي أمي .. لكنه من هؤلاء
النوع من الناس الذي يصعب أن تتخلص منه بسهولة فهو جار
لنا .. يسكن في البيت المقابل لنا ودائم النظر عبر النافذه فهو
على علم بما يحدث داخل بيتنا كأنه يعيش معنا .. لا .. لن أقبل
دعوته رغم شوقي وشغفي بالذهاب للمقهى ..

لدي أمر آخر في رأسي .. أريد أن أبذل معه محاولة .. لعلها
تنجح

طلبت كارين بعد أن استأذنت فيكتور أنها تريد أن تحادث
أمها ماتيلدا على إنفراد .. أنزوت بأمها وبصوت خافت قالت:
أمي لقد غيرت رأبي .. لم أعد أرغب في الذهاب إلى المقهى

أريد أن أعود إلى الكنيسة مرة أخرى وبعدها أتوجه عائدة إلى المنزل..

ماتيلدا: أحسنتي القول يا صغيرتي.. أنا أيضاً لا أرغب في الذهاب إلى المقهى.. أنا متعبة للغاية وحالتي النفسية ليست على ما يرام.. أريد أن أختلي بنفسي، لكن فيكتور.. إنه يساعدنا كثيراً ومن الصعب علي أن أرد دعوته.. سوف أذهب لتناول القهوة فقط وبعدها أعود للمنزل لأراك هناك..

بجانب أنى أشعر ببعض الآلام في ظهري من أثر ارتطام جسدى على الأرض حين غشي علي ولم أشعر بتلك الآلام إلا بعد أن استفتقت..

استأذنت كارين وأخذت طريقها إلى الكنيسة، كنيسة سانتا كلارك.. تلك الكنيسة العتيقة.. والتي تم بناؤها في أواخر القرن السادس عشر وهي تحفة معمارية من الخارج ومن الداخل.. ودائماً ما كانت كارين تفقد تركيزها أثناء أداء الصلوات.. نظراً لكم الزخرفة المعمارية واللوحات والرسومات الرائعة على الجدران وسقف الكنيسة.. ولكن في أثناء زيارتها قبل ساعتين

وقبل الذهاب إلى المرفأ بصحبة ماتيلدا لاحظت وجود حديقة في خلفية مبنى الكنيسة.. ولمحت بعض أنواع النباتات.. شعرت بروحها تتجه نحو اكتشاف تلك النباتات لكن لا الوقت ولا الظروف كانت سانحة للدخول للحديقة لاكتشافها.. لم تكن لتملك الشجاعة الكافية للإقدام على ذلك..

والآن هي تدخل إلى الكنيسة ولكن هل من الأفضل أن تدخل إلى الكنيسة من الداخل وتستأذن وتطلب مشاهدة الحديقة الخلفية.. ربما يرفضوا طلبها.. قطعاً سوف يرفضون.. تراجعت إلى الوراء وابتعدت عن الباب قليلاً وتلفتت حولها وسارت بحذاء جدران الكنيسة الجانبية متجهة إلى حيث شاهدت الحديقة وإذا بها أمام فناء أخضر بديع.. رائع الجمال وكأنها الجنة.. نباتات على الأرض ونباتات معلقة وأخرى متسلقة..

رائحة مزيج من نباتات عطرية رائعة ولاحظت وجود بعض أحواض زراعية بها ورود صفراء وأرجوانيه.. وأحواض أخرى بها زهور بيضاء ومحاطة بالفل والياسمين.. سارت بين

الأحواض ببطء على ممر ضيق.. على أرضيه طينية وبها بعض الأحجار التي تضع عليها أقدامها..
اتجهت نحو نبات معلق.. هي تعرفه جيداً.. فهو يصدر رائحة عطرية مذهلة تأخذ من يقترب منها إلى عالم آخر.. ومدت يدها لتفرك ورقة ذلك النبات وبعدها تشم أصابعها.. وإذا بيد تربت على كتفها الأيمن.. نظرت خلفها بحركة سريعة وعيناها الصغيرتان تمتلئان رعباً.

توجه " طاهر " في صباح يوم الجمعة إلى عم عبد القدوس للإطمئنان عليه وتحضير طعام الإفطار له.. كانت عادة عم عبد القدوس ترك باب منزله موصداً دون أن يغلقه من الداخل بأي أقفال أو ترابيس.

طرق " طاهر " على الباب.. دون إجابة من عم عبد القدوس زاد طريقه على الباب.. انتابه بعدها الشعور بالقلق.. دفع الباب قليلاً.. ووقف وسط الردهة التي تنتهي بحجرة نوم عم عبد

القدوس وإذابه يسمع أيناً.. صوت عبد القدوس يتأوه.. الصوت صادر من الحمام.. إذا بعبد القدوس ملقى على الأرض ودماء كثيرة متجمعة حول رأسه، حيث كانت رأسه تنزف بشدة..

أصيب طاهر بالهلع ولم يدر ما يفعل.. فإنه مازال صغيراً.. ابن الحادية عشر.. لكن شعر أنه كهل عجوز في تلك اللحظة.. سحب فوطة ووضعها على الجرح الذي تخرج منه الدماء وضغط على الجرح بكل قوة وحاول ربط الفوطة واستمر لدقائق إلى أن توقفت الدماء.. حمل عم عبد القدوس ولحسن حظه كان الرجل نحيلاً.. خفيف الوزن.. خرج به إلى خارج الدار وأشار إلى سيارة نقل خفيف كانت تمر من أمامه.. وضع فيها عبد القدوس وتوجه إلى أقرب وحدة صحية..

قام الطبيب النوبطجي.. بعمل الإسعافات اللازمة واستطاع أن يوقف النزيف وإعطاء محاليل مع بعض العقاقير لعم عبد القدوس.. لكن مازالت هناك مشكلة خطيرة ربما تؤدي بحياته الرجل.. حيث إنه نزف كثيراً ويحتاج إلى نقل دم على وجه

السرعة.. لم يتردد لحظة في أن يعرض طاهر نفسه باسطة ذراعه
وكشف أكمام ذراعيه.. قائلاً أنا جاهز..

أجابه الطبيب.. أنه لا بد من عمل تحليل سريع له لمعرفة
فصيلة دمه وهل تتناسق مع المريض.. وبعد عمل التحاليل..
انتظر طاهر لدقائق والتفكير يقتله.. ماذا لو لم تتطابق فصيلة
دمه مع أبيه الروحي عم عبد القدوس ماذا سوف يفعل سوف
يركض بأقصى سرعة إلى بيت عمه جعفر ويصطحبهم جميعاً..
لربما يكون فصيلة دم أحدهم مطابقة لعم عبد القدوس.. خرج
الطبيب مبتسماً والبشاشة تعلو وجهه.. قائلاً.. فصيلة دمك ||
سالب.. أي أنك تستطيع أن تعطي أي مريض.. استعداد..

وبالفعل.. نام طاهر فوق ترولي بجوار عم عبد القدوس
الغائب عن الوعي بجسده النحيل ممدداً على الترولي الآخر..
وربط بينهم انبوباً رقيقاً.. يتدفق منه الدم.. في إتجاه واحد من
ذراع طاهر إلى ذراع عبد القدوس سائل الحياة يجري ويسير

بقوة ليمنح الحياة للاب الروحي.. من " طاهر " الذي لا يتحمل
فراق الرجل العجوز.. طباخ الملك..

تسمرت كارين في مكانها.. مع قشعريرة مصحوبة ببرودة
سرت في أنحاء جسدها الصغير.. نظرت بعد أن أدارت رأسها
للخلف.. وقعت عينيها على وجه فتاة عشرينية في ملابس
الراهبات.. وتعلو وجهها ابتسامة رقيقة من شفاه وردية وأسنان
بيضاء لامعة.. أزال تلك الإبتسامة الرهبة من جسد وعقل
كارين ومعها خفت دقات قلبها المتسارعة والتي وصلت إلى
رقم قياسي.. في عدد ضربات القلب..

دار حوار هادئ لطيف بين الراهبة إيزابيلا وكارين.. دعت
إيزابيلا الراهبة كارين للدخول إلى الكنيسة للحديث حيث الجو
دافئ في الداخل عرضت عليها أن تعد لها مشروباً ساخناً ويستأنفا
الحديث وما أن علمت كارين أن المشروب الدافئ المتوفر لدى
إيزابيلا هو الكاكاو الساخن باللبن لم تتمالك نفسها من القفز

في الهواء فرحة.. وشعرت أن القدر حرّمها من إحتساء ذاك المشروب في المقهى مع أمها لتجده في انتظارها هنا.. وأين؟ في الكنيسة ومع من؟ مع راهبة لطيفة ودودة.. إيزابيلا.

طال الحديث بينهما وقد غطى دفيء مشاعر إستقبال إيزابيلا على دفيء المكان.. عرفت معه إيزابيلا شغف الصغيرة كارين بالنباتات وهذا هو سبب دخولها للحديقة الخلفية.. اصطحبت إيزابيلا كارين في جولة في الحديقة وهن تحملان أكواب الكاكاو الساخن.. قامت بشرح وافي عن كل ما يتعلق بالنباتات وأخبرتها أنها هي المسؤولة والمخولة من قبل الكنيسة للإعتناء بالحديقة وبالطبع لم تكن لها دراية كافية بالنباتات وأنواعها أو طرق زراعتها.. فإستعانت بإدارة أحد المشاتل القريبة وكان الإتفاق أن يأتي أحدهم من المشتل مرتين في الأسبوع وأن يقوم بتدريب إيزابيلا ولكن مع مرور الوقت صار يظهر مرة واحدة في الأسبوع مما زاد حمل العمل على إيزابيلا.

هنا تدخلت كارين بفكرة طرأت على رأسها.. أفصحت لإيزابيلا عن عشقها للنباتات والحياة البرية وأنها تستطيع أن

تعوض غياب عامل المشتل وتأتى بعد المدرسة للعناية بالحديقة والإهتمام بها حسب جدول متفق عليه، اعجبت إيزابيلا بالفكرة ثم قالت بشيء من الجدية أن الأمر ليس بيدها فلا بد أن تعرض الأمر على الكاردينال لتأخذ موافقته ومباركته..

اتخذت بعدها كارين طريقها عائدة إلى المنزل والإبتسامة تعلقو شفاتها ولا زال طعم الكاكاو الساخن في فمها.. اتفقت مع إيزابيلا أن تأتي في الغد لتعرف ما قرر به الكاردينال فقد كان قلبها مطمئناً والشعور بالراحة يملأ قلبها تجاه إيزابيلا عكس ما كانت تشعر به حينما رأت فيكتور في المرفأ..

دخل الطبيب حجرة عبد القدوس الذي بدأ يستفيق من رقاد.. وبجوار سريريه كرسي ينام عليه طاهر الذي كان يغط في نوم عميق أثر سهرة بجوار عم عبد القدوس طوال الليل.
نظر عبد القدوس إلى الطبيب وتلفت حوله محاولاً أن يتذكر ما حدث له وما أتى به إلى المستشفى.. وبدأ يتذكر أنه دخل

إلى الحمام كي يستحم كعادته في صباح يوم الجمعة ثم يتوجه
ببطء لصلاة الجمعة.. ولكن القدر لم يمهلته حيث انزلت قدمه
بأرضيه الحمام وارتطمت رأسه بحوض الغسيل قبل أن يسقط
وسط بركة من دمائه مغشياً عليه.. وبعد حديث قصير مع الطبيب
علم أن حياته كانت في خطر شديد وأنه كان قريباً من مفارقة
الدنيا.. لولا عناية الله التي أرسلت له طاهر ذو الحادية عشر
عاماً.. ليحمله إلى المستشفى ويعتني به وبقدرة من الله حانية..
ولأن مازال في العمر بقية ولم يكن بصحته إلا الصبي الصغير
الذي قتله الخوف والهلع على حياة معلمه وأبيه الروحي..
ليستطيع طاهر أن يمنحه ويتقاسم معه من دمائه كي يبقى الاثنان
على قيد الحياة.. إلا أن دماء طاهر تجري في عروقي.. هذا ما
تمتم به عبد القدوس بصوت خافت وسط قطرات من الدمع
هبطت من مقلتيه ولم يستطع منعها من الهطول.. استيقظ طاهر
من نومه ليجد أمامه عبد القدوس يبكي ويضحك في آن واحد
وهو باسماً ذراعيه وفاتحاً صدره طالباً احتضان منقذه طاهر..
تعانقا وما زال عبد القدوس يقول.. دمائك تجري في عروقي..

علم الطيب بقصة طاهر اليتيم.. وما جرى له مع عم عبد القدوس وحبه للطهو وعمل صنوف الطعام المختلفة.. وإذا به يعرض وظيفة على طاهر.

طاهر: أنا ما زلت صغيراً.. أنا في الحادية عشرة.. هل أستطيع تحمل مسؤولية لأي عمل؟

الطيب: بالتأكيد.. فقد تعلمنا من سير الأولين في التاريخ أن بعضهم كان يقود جيشاً وهو في التاسعة من عمره

عبد القدوس: إني أخاف على طاهر.. ماذا عساه أن يعمل..

الطيب: سوف أشرح لكما.. أتتما تعلمان أن أسوان مدينة تعتمد في الأساس على دخلها من السياحة وأخي يمتلك بنسيوناً في أطراف المدينة في موقع جيد.. وهذا البنسيون به عدة غرف ويسكن بداخله حوالي عشرة من النزلاء..

الطاهي المسئول عن إعداد الطعام هناك كثير المشاكل.. غير ملتزم وأيضاً أخي يشتكي من أمانته ولذا فقد قام بطرده بالأمس وهو الآن في أمس الحاجة لتعيين طاهياً جديداً بدلاً منه.. لذا

فكرت في طاهر بعد أن علمت أنه يتقن الكثير من أصناف الطعام الذي تعلمها منك يا عم عبد القدوس .

تبادلا طاهر وعبد القدوس النظرات كان طاهر سعيداً بخوض التجربة لكن كان ينتظر موافقة ومباركة أبيه الروحي عبد القدوس ابتسم عبد القدوس وأوماً برأسه قائلاً: لا تخف يا ولدي الله معك وأنا في ظهرك بكل المعلومات اللازمة عن إعداد أشهى المأكولات.. من الآن سوف نعمل بجهد ونحول الهواية إلى حرفة ومهنة.. أحضر كشكولاً كبيراً وعدة أقلام لتكتب كل ما أملكه عليك من صنوف الطعام وأسرار عملها... بدأ الزوار المحبين لعم عبد القدوس في الحضور للزيارة والإطمئنان على الشيف العجوز..

وكم كانت الخالة فاطمة فخورة بطاهر وبشجاعته وشهامته وحسن تصرفه ولولا رجاحة عقله لربما مات عبد القدوس وهو ملقى في أرضية الحمام وكذلك كانت فرحتها بتبرعه بدماءه دون تردد.. كان طاهر يسمع للخالة فاطمة.. بأذنه.. لكن عقله ووجدانه كان مشغولاً وحييساً لفكرة واحدة ألا وهي..

كيف سيخوض تجربة الطهي لعشرة أفراد في البنسيون.. وماذا سيقولون عنه وكيف سيعاملونه عندما يعلمون أنه مازال صبيًا صغيرًا في الحادية عشر من عمره.. وقرر أنه إذا نجح في العمل فليسوف يقسم راتبه مع عم عبد القدوس والنصف الخاص به سوف يأخذ بعضه ويعطي بعضه للخالة فاطمة..

عادت كارين.. ودخلت إلى بيتها الخشبي الصغير فرحة سعيدة وكأنها فراشة تطير بين الأزهار، لتجد أمها ماتيلدا جالسة على أريكة صغيرة وحولها عدد كبير من الصور التي تجمعها بزوجها يوهانس، التقطت كارين إحدى هذه الصور وأطالت النظر إليها وحدثت الصورة قائلة.. أين أنت.. يا.. يا.. يا أبي ثم حاولت أن تداعب أمها لتخرجها من أحزانها، كيف تخلصتي من هذا الفيكتور.. فإنه صعب التخلص منه للغاية.. ماتيلدا: لا شيء صعب فقط أستأذنته في العودة حيث أشعر ببعض الآلام.. لكنه حاول أن يقترح أن نقضى اليوم سوياً في

منزله أو نخرج للتنزه.. لكنني رفضت.. وها أنا الآن معكي يا
أميرتى الصغيرة.. والآن حان دورك أخبريني أين كنت.. لقد
ظننت أنني سوف أعود لأجدك في المنزل بانتظاري.

كارين: حسنًا يا أمي لقد عوضني الله بالمشروب المفضل
لدي وفي مكان أفضل من المقهى

ثم قصت عليها ما حدث لها في الكنيسة وحديثها وإيزابيلا
الراهبة والعرض الذي تلقته للعمل والتعلم في نباتات حديقة
الكنيسة.. فتحت كارين الصندوق الخشبي الذي تحتفظ
بداخله بأغراضها الشخصية والمحبة إلى قلبها.. أخرجت
دفتر مذكراتها.. فتحته.. لتجد بداخله الريشة الحمراء، ابتسمت
كارين وهي تعتذر للريشة قائلة سامحيني لقد انشغلت عنك
الفترة الماضية لكن دعيني قبل أن أكتب كلمة في مذكراتي أن
أقص عليك ما قد مررت به في الفترة الماضية لأنني اتخذت
قرارًا أن تكون أنتِ أيتها الريشة الحمراء النادرة صديقتي المقربة
أحكي لك كل أسراري لكن عليك أن تعديني ألا تبوحى أو
تفضي عن أسراري لأي إنسان وأطلقت كارين ضحكة خافتة..

وبدأت تقصص على الريشة ما مرت به الاسبوع المنصرم
وأفصحت لها أنها بالرغم من الغضب واللامبالاة التي تظهرها
تجاه أباه يوهانسن.. إلا أنها تكن له حبًا عميقًا، وتتمنى أن يظهر
في حياتها.. ليعوضها عن ما فات ويكون لها ظهرًا وسندًا..
وربما وجوده يبعد فيكتور عن حياتها وأمها.. حيث تشعر تجاهه
بشيء داخلي لا يدعو للراحة.. لا بد أن وراءه سر ما..

ثم قصت لها ما حدث في حديقة الكنيسة الخلفية ولقاؤها
وإيزابيلا.. وكم تشعر تجاهها بالراحة.. ثم طلبت من الريشة
أن تشاركها الدعاء للرب أن يجعل الكاردينال ديمتري أسقف
الكنيسة.. يوافق على عمل كارين في الحديقة.. تحت إشراف
إيزابيلا صديقتها الجديدة حيث لم تكن تتخيل كارين أن تكون
لها صديقة راهبة..

طلب عم عبد القدوس مصاحبة " طاهر " في لقائه الأول بصاحب البنسيون أ/ علوي، شقيق د/ عدلي الذي أشرف على علاجه بالمستشفى حيث أراد عبد القدوس أن يرفع " طاهر " لأعلى مكانة ممكنة وأن يرعاه بخبرته وأبوته.. بعد أن سرى دم طاهر في عروق عبد القدوس..

داخل البنسيون المكون من عشر حجرات حيث كما شرح لهما أ/ علوي أن البنسيون كان في الأساس شقتان متجاورتان.. اشتراهما والده وفتحهما بعد إزالة الحوائط العالقة بينهما.. وتم عمل بعض التعديلات وإضافة أكثر من حمام لراحة النزلاء وكذلك تخصيص حجرة صغيرة بجوار المطبخ لتكون خزينًا لأدوات المطبخ وأيضًا لكافة الأطعمة وبداخله فريزر كبير لحفظ كل المتجمدات من اللحوم والدواجن والخضروات.. وخلافه.. وهذه الحجرة التي يُطلق عليها الخزين بها أرفف كثيرة ونافذة مطلة على منور العمارة.. وهذه النافذة دائمًا مغلقة ويعلوها شفاط للتهوية..

كانت الجلسة الثلاثية التي جمعت أ/ علوي بعم عبد القدوس والشيف الجديد طاهر يشوبها الود والكلام المنمق اللطيف.. شرح أ/ علوي كيف زاد الخلاف بينه وبين الشيف السابق شيف زكريا وإنه كان دائم الأعذار والتأخير عن الحضور في ميعاده وكان مهملاً في أمور النظافة والتعقيم وكان النزلاء يشكون من رداءة الطعام وعدم التنوع بالإضافة إلى أنه وصلت إلى مسامعه مؤخراً أن زكريا.. يسهر كل ليلة في أحد الحانات والتي يحتسي بها الخمر حتى الثمالة ثم لا يقوى على الاستيقاظ في الصباح للعمل.. وكذلك كثرة طلبه للمال..

حدد أ/ علوي مسؤوليات الشيف طاهر.. التي تنحصر في المطبخ وحجرة الخزين فقط.. فهو يقوم بإعداد الطعام ووضعه في الأطباق ثم تأتي الخادمة الخاصة بالنسيون تحيه والتي يناديها الجميع بـ توحة لوضع الأطباق على المائدة..

وهناك يومان في الاسبوع يصطحب فيها أ/ علوي طاهر بسيارته إلى السوق لشراء مستلزمات النسيون من الأطعمة المختلفة ثم وضعها بشكل جيد في حجرة الخزين..

عاد كل من عبد القدوس وطاهر إلى البيت.. وبعدها شرع عبد القدوس في تلقين طاهر أصول المهنة بدءاً من النظام في العمل ووضع الأشياء في أماكنها والإهتمام بالنظافة والتعقيم.. والأهم من ذلك هي روح المرح والإبتسامه التي لا تفارقه.. وأخبره أن الطهي ليس فقط وضع مكونات الطعام ومزجهم ولكن نظام وتنظيم، يجب أن ينظم أفكاره.. حيث يبدأ من الأولى ثم الأولى وكتب له قائمة طويلة من الأطعمة والتي تعلمها طاهر.. كي تكون هي قائمة الطعام التي يستند إليها ثم راجع معه طريقة صنع كل صنف وكذلك الحلوى والمقبلات.. ثم شرح له كيف يكون تنظيف الثلاجة والفریزر وكيفية تقسيم الطعام المجمد بداخله وأن كل شيء لا بد وأن يكون مغلفاً بأكياس بلاستيكية تغليفاً جيداً ويوضع عليه لاصقة ورقية يكتب عليها اسم الصنف وتاريخ التخزين.

وشرح له أموراً أخرى كثيرة قد تعلمها إبان عمله في قصر الملك فاروق سابقاً.. أشياء يجهلها الكثير من الطهاة.. تجعله مميزاً بين أقرانه..

كان طاهر سعيداً بالتجربة لكنه كان بداخله خوف شديد..
ولد داخله رغبة قوية في عمل شيئين هامين، الأول: الذهاب
إلى الخالة فاطمة للإرتماء والإختباء في حضنها والسلام على
عم جعفر وأولاد عمه، الثاني: أن يذهب إلى ريشته الحمراء
ويحكي لها على كل ما دار وحدث له؛ فهي صديقتها وكاتمة
اسراره..

بأذرع مفتوحة وابتسامة عريضة وعينان تكسوهما الدموع
مع لمعة الفرح استقبلت الخالة فاطمة طاهر الذي ارتمى في
أحضانها مغمض العينان وترك لنفسه العنان للشعور بالراحة
والأمان وغسل كل التعب الذي زال عنها لحظة ضم وغلق
ذراعي فاطمة حول جسده النحيل.. جلسا وتحدثا طويلاً في
وجود أسماء التي كانت تفرح لرؤية طاهر وابتعاد بكري ولبيبة
اللذان كانا يشعران دائماً بالغيرة والحقد على طاهر أما عبد
الهادي ورشيد فكانا دائماً ملازمان لأبيهما جعفر.. عم طاهر
حيث كان يعتمد عليهما كثيراً في تصريف أعماله وزراعة الأرض
التي يمتلكها ويبيع المحصول.. كان يزرع الخضروات والفاكهة

حيث قسم أرضه إلى أحواض وخصص لكل حوض نوع معين من الخضروات والفاكهة وفي أطراف الأرض توجد حظيرة مبنية من بعض الأحجار والبوص وجذوع أشجار النخيل بها بقرتان وجاموسة وثور.. وبعض الخراف.. وفي الجانب الآخر من الأرض تدور ساقية كبيرة الحجم مصنوعة من الخشب والتي تنقل المياه من المصرف الرئيسي ليروي أرض جعفر.. الذي ازدادت بشرته سمرة ويده في التشقق من كثرة بقاءه طيله النهار في الأرض وفي المغرب والمساء يجلس على الأريكة الخشبية في المزيرة ليستقبل ضيوفه ومن يمر من أمام منزله ليدعوه لشرب الشاي معه.. وبجواره دائماً يجلس عبد الهادي ورشيد.. والذي كان يمهدده جعفر لحمل المسؤولية من بعده في تصريف أمور الزراعة.. وكان على العكس يرى في بكرى أنه لا يعتمد عليه ودائم الشكوى والحدق على كل من ينجح أو يبرع في شيء..

ما أن انفض الصباح وظهرت بعضاً من أشعة الشمس في كبد السماء.. حتى استأذنت كارين أمها وارتدت أفضل ما لديها وتوجهت إلى الكنيسة للقاء إيزابيلا الراهبة والتي سوف تعطيها رد الكاردينال ديمتري على طلبها في المساعدة والعمل في الحديقة والإعتناء بالنباتات..

وما إن قاربت على الوصول للحديقة.. لمحت إيزابيلا وهي ترتدي قفازاً خاص بالزراعة ونقص بعض النباتات وتررعها في الأرض وتضع فوقها الطينة السوداء ألقى كارين التحية بإبتسامة رقيقة.. استدارت إيزابيلا.. وعلى وجهها ابتسامة باهتة بعد أن رأت كارين وطلبت منها أن تنتظر لحظات حتى تفرغ مما تفعل..

جلسا سوياً وأبدت إيزابيلا أسفها بعد أن أبلغتها أن الكاردينال ديمتري رفض وأعتذر عن تلبية طلب كارين حيث قال أنها ما زالت صغيرة وليس لديها خبرة ويخاف عليها من المجهود الشاق في هذا النوع من العمل.. أطرقت كارين برأسها ناظرة إلى الأرض بين قدميها.. ولم تستطع تمالك دموعها من الهطول..

بكت وهي تفصح عن خيبة أمل كبيرة تشعر بها الآن.. فقد ظنت أن طلبها بسيط وسوف يقابل بالترحيب خاصة أنها لن تتقاضى أي مقابل نظير هذا العمل.. زاد بكاءها ويدا إيزابيلا ترتبان على ظهرها وفجأة توقفت كارين عن البكاء ونظرت بعمق بعيناها الممتلئتان بالدموع.. أريد أن أقابل الكاردينال ديمتري هل لي أن أقابله الآن.. أنا حزينة ولا بد أن أفهم ما سبب رفضه.. دخلت إيزابيلا إلى داخل الكنيسة.. وبإبتسامة مغايرة عن تلك ذي قبل أشارت لكارين بالقدوم واصطحبتها إلى حجرة الكاردينال ديمتري الذي وافق على لقائها.. امتدت الجلسة بينهما في حضور إيزابيلا التي حاولت تزكية كارين لدى الكاردينال والذي بدوره أخبر كارين أن العمل في الحديقة شاق ويحتاج إلى يدان قويتان وهو يخاف عليها أن تؤذى أو يجلب لها مكروه ثم سألها.. من أنت يا كارين؟.. من هما أبواك؟.. وأين تسكنين؟.. أخبرته أنها ابنة ماتيلدا ويوهانسن.. وأخبرته أين تسكن.. فجأة لمعت عينا الكاردينال واتسعت بشدة ورفع حاجباه لأعلى.. قائلاً:.. آه.. آه.. إذن أنت ابنة ماتيلدا الموظفة بمكتب البريد..

نعم.. أعرفها.. هل مازال أباكِ غائبًا؟
كارين: نعم.. إذن ماذا.. هل قررت؟
الكاردينال: حسنًا سوف أعطيكِ فرصة ونختبر قدراتك..
إلزمي مصاحبة إيزابيلا وهي سوف تطلعك على سير العمل في
الحديقة.. سوف أصلي من أجلك ومن أجل عودة أباكِ.

بدأ طاهر يومه الأول في البنسيون وأخبر عم عبد القدوس
على معاونته في أول أيامه.. وكان له نعم العون حيث أعاد
ترتيب كل شيء في المطبخ.. وانضمت لهما توحة حيث قامت
بتنظيف كل خزانات المطبخ بعد أن أفرغ طاهر جميع محتوياتها
وأعادها مرة أخرى ولكن بنظام وترتيب مختلف تمامًا مما كانت
عليه بناء على توجيهات وأوامر عم عبد القدوس
صار كل شيء مرتبًا ومنظمًا وجميلًا.. وعلق طاهر ورقة
على احد الحوائط ليدون عليها كل احتياجاته والنواقص من
المؤن.. كي يشتريها في المرة القادمة والتي سوف يذهب فيها

مع أ/ علوي إلى السوق، وبعدها بدأ طاهر في طهو الطعام تحت إشراف عم عبد القدوس.. ووضع خطة الأسبوع كاملة.. ماذا يطهو كل يوم وبدأ في إعداد كم من الصلصات وكمية من الثوم المفروم والبصل المفروم وتقسيمهما في أكياس كي تكفي الأسبوع كاملاً.. وكانت توجيهات عبد القدوس قد صنعت الفارق وصنعت من طاهر شيئاً مميزاً نظيفاً مرتباً مع أول أيام عمله، مما أضحى الدهشة والإنبهار على وجه أ/ علوي حين ظهر ليطمئن على طاهر وقد ظن أنه سوف يكون في حالة إرتباك ولا يدري ماذا يفعل ولكن على العكس وجد كل شيء نظيفاً مرتباً والأمور تسير في هدوء.. والنزلاء يمتدحون الطعام وسعداء به للغاية.. لم يكن يجول في مخيلته أن هذا الشيف الصغير سوف يستطيع حمل المسؤولية وإتقان عمله بهذه الدقة.



عادت كارين إلى المنزل سعيدة وفرحة بعد أن استطاعت إقناع الكاردينال ديمتري بقدراتها وموافقته لها على العمل.. أو هذا ما ظنته الصغيرة ولكن الأمر كان يحمل منحى آخر..

وما إن دخلت البيت فرحة سمعت صوت أجش.. تعرفه جيداً إنه فيكتور يجلس مع ماتيلدا يتبادلان الحديث الذي فهمت منه أنه يحاول إقناعها ببيع بيتها الصغير الخشبي والانتقال إلى إحدى الشقق في بناية ضخمة.. ولا تحمل هم الإعتناء بالحديقة ولا مياه الأمطار الغزيرة ولا تنظيف الممر الأمامي والجانبين حين هطول الثلوج بكثافة.. وقاربت ماتيلدا على الموافقة بعد أن كانت متمسكة بالمكوث في المنزل الذي شهد قصة حبها ويوهانسن وأيضاً ميلاد كارين.. لكنها أمام عاصفة من الإقناع والإلحاح من هذا الذي يدعي معرفته بكل شيء.. وافقت على مضض إلى أن تدخلت كارين في الحديث صارخة بصوت مرتفع.. لا.. لا.. لا يا أمي.. لن نترك بيتنا.. لن نبيعه.. أنا أحبه وأحب حديقته وأحب النباتات.. لن نسكن في شقة في عمارة

ضخمة من كتل من الأسمنت والخرسانة.. لا.. لا يا أمي.. لا تنصتي له.. هو لا يفهم.. لا يدرك مشاعرنا ولا ذكرياتنا.. ليس لأحد التدخل في حياتنا.. وأدارت ظهرها ودخلت حجرتها واجهشت في البكاء بعد أن وضعت الريشة الحمراء بين يديها.. ولم تشعر بقدمها وما يقودانها إلى الخارج.. لتتفقد أوراق النباتات الخضراء اليافعة لتعتذر لكل ورقة نبات وتؤكد لها أنها لن تتخلي عنها ولن تتركها وترحل..

وفي اليوم التالي بدأت كارين عملها بعد عودتها من المدرسة في حديقة الكنيسة وقامت إيزابيلا بشرح كل ما يتعلق بأسماء النباتات وأنواعها وطرق العناية بها وأخبرتها أن هذه الكنيسة قديمة للغاية.. فقد كانت في السابق تحيا على الاكتفاء الذاتي في كل شيء تقريباً حيث كانت الراهبات يقمن بزراعة الحديقة من كل المحاصيل التي يحتاجونها.. من الخضروات والفاكهة والحبوب.. وكذلك كن يقمن بعمل الخبز وتحضير شراب النبيذ بعد عصر العنب الأبيض والاحمر.. وغزل الصوف وصناعة

الملابس.. كل هذا بجانب إقامة الصلوات والقداس الإِسبوعي في يوم الأحد مع دق أجراس الكنيسة في مواعيدها، وكان أيضًا القساوسة يستخدمون الكثير من الأعشاب التي تزرع في هذه الحديقة في علاج أفراد الشعب من الأمراض المختلفة.. والتي عادة ما كانت تزيد تلك الأعداد مع برودة الطقس.

كانت كارين تدون في دفتر خاص أسماء النباتات مع وصف لها في الشكل وما تؤديه من وظيفة وعرفت أن لكل نبات دور يؤديه.. فمنه مثلاً ما يستخدم لتسكين الآلام وآخر يوضع على الحروق وثالث يستخدم كمخدر أثناء العمليات الجراحية البسيطة وآخر حين وقت الولادة للنساء..

وتعرفت على أنواع الفطر (عيش الغراب) أيضًا؛ حيث له أنواع كثيرة ويمكن تجفيفه والإحتفاظ به لفترة طويلة وإن البعض منه سام ولا يصلح للأكل.

وعند نهاية اليوم.. همت كارين بالإنصراف.. بحثت عن إيزابيلا لتستأذنها في الإنصراف فوجدتها تقف بجوار الحديقة تحادث رجلاً في مطلع العشرين من عمره.. حاولت الإقترب

ولكنها شعرت بالخجل .. لمحتها إيزابيلا وطلبت منها أن تأتي إليها .. وقدمتها للرجل .. ثم قدمت الرجل لها قائلة .. هذا لبوريس أخي .. لقد تخرج حديثاً من مدرسة الصحافة ويعمل صحفياً تحت التمرين في إحدى الصحف الشهيرة هنا ..

شعرت كارين بالإرتياح لبوريس بعد مصافحته .. ثم استأذنتهما بالإنصراف مع وعد باللقاء في الغد ..

سارت إلى بيتها وهي سعيدة ولكن قبل ذلك عرجت إلى المكتبة واستعارت كتاباً عن النباتات في الحضارات السابقة .. وتوجهت إلى بيتها لتجد ذلك الفيكتور يعيد حديثه مرة أخرى على ماتيلدا أمها ويخبرها أنه لديه أخبار طيبة هذه المرة؛ حيث وجد مشترى لبيته وبيتها بسعر مغري للغاية، استشاطت كارين غضباً وولجت إلى حجرتها وكأن القدر يريد أن يمحو كل سعادة بداخلها .. لتجد من يفسدها عليها .. وليس هناك من فاعل لإفساد سعادتها سوى ذلك الرجل الضخم الواضع أنفه في حياتها وأمها المسكينة ..

من خلال نافذة حجرتها الصغيرة.. وقفت الصغيرة كارين تنظر وتراقب النباتات في الحديقة وإذا بها تحدث النباتات وتوجه لها كلاماً فيه من الطمأنينة الكثير.. لا تقلقوا يا زرع الجميل.. لن أتخلى عنكم ولن أدع أمي تبيع بيتنا الصغير الجميل الذي شهد أجمل ذكريات طفولتي وشهد مولدكم في الحديقة الصغيرة.. وسوف أظل أعنتني وأهتم بكم رغماً عن أنف فيكتور أو كل من يريد شراء بيتنا.. ولماذا هذا البيت.. البيوت المعروضة للبيع في بلدتنا كثر.. فليذهب هذا الثري ويشترى أي منزل آخر.. ثم ما هي مصلحة فيكتور في التحدث مع أمي عن بيع البيت بثمن كبير ربما سيستفيد من وراء تلك البيعة.. لا بد له من إستفادة ما أو مصلحة.. هو يظن أنه يسدي لنا خدمة لمساعدتنا في الحصول على مبلغ كبير مقابل بيع المنزل.. لكنه لا يعلم أنه يذبحني ويلغي كل ذكرياتي وطفولتي وكل أحلامي.. أنه بالفعل لا يعلم أن عقد بيع البيت لا يمثل لي إلا شهادة وفاة.. عقد للخروج من دنياي الجميلة.. حجرتي.. أثاثي.. حديقتي..

نباتاتي ثم ريشتي.. نعم ريشتي الحمراء النادرة.. لقد أرسلتها
السماء لتهبط علي في هذا البيت، في حديقته.

أبدى نزلاء البنسيون سعادة كبيرة بمستوى نظافة الطعام الذي
طهاه طاهر تحت إشراف وتوجيه عم عبد القدوس وبينما ترفع
توحة الأطباق الفارغة من فوق سفرة الطعام كان طاهر سعيداً
بسماع الإطراء من بعض النزلاء وأنهم يشعرون بفارق كبير بينه
وبين الطاهي السابق زكريا.

أنهت توحة جمع الأطباق وحملتهم وهي تسير بطريقة
موسيقية منتظمة وكأنها تسير على دقات طبل أو دق على أوتار
العود.. نعم هي كذلك.. منذ ريعان شبابها وكانت كل أحلامها
أن تعمل كراقصة وتحقق شهرة واسعة مثل الراقصات الآتى
يعرفهن الجميع وبالفعل بعد أن فشلت في الإستمرار في
المدرسة.. قررت تركها بعد أن ألحت على أمها وتقدمت للعمل
في إحدى الملاهي الليلية وبالطبع لم تكن لديها أي خبرة في

فنون وأصول الرقص الشرقي.. كانت تحتاج إلى مدرب ولم يكن لديها المال اللازم لنفقات تعلم الرقص.. فقد عملت مساعدة ولييسة للراقصة الأولى في الملهى.. وبعد بضعة أيام.. ذهبت أمها لزيارتها في الملهى الليلي.. وقدم لها البعض النصح بأن تأخذ ابنتها من هذا المكان إذا كانت تحرص على مستقبلها.. فهي في مستنقع ولن تسلم منه تلك الفتاه الصغيرة.. ومن بعدها ألحقتها أمها للعمل كخادمة في هذا البنسيون..

مر الأسبوع الأول على طاهر وقد ازدادت خبراته وإتقانه للعمل مع اتباع نصائح عم عبد القدوس الدائمة له.. وكذلك اهتمامه بالترتيب والنظافة.. وإذا به يجد أ/ علوي صاحب البنسيون يحدثه أن يستعد في الغد للذهاب معه للتسوق لشراء ما يلزم المطبخ من مأكولات وخلافه.. حيث اعتاد أ/ علوي التسوق مرتين اسبوعياً مع الشيف السابق زكريا والآن قد مر أسبوعاً كاملاً.. فلا بد أن كل الأطعمة قاربت على النفاذ.. وإذا به يجد طاهر ينظر في أوراقه.. فسأله أ/ علوي.. علام تنظر؟

طاهر: إنها لستة وقائمة بكل ما لدينا من أعظم الأشياء إلى أصغرها فأنا أعتها لعمل جرد وأضع علامات بجوارها لتوضح مدى احتياجاتنا.. ومن خلال تلك القائمة.. فنحن تقريبًا لا نحتاج أي شيء قبل أسبوع من الآن..

رفع أ/ علوي حاجيه متعجبًا.. أسبوع آخر.. لقد مر أسبوع بالفعل بذلك تصير المدة اسبوعان بلا تسوق.. أليس هذا غريبًا بعض الشيء هل أنت متأكد من معلوماتك هذه يا طاهر.. هل هذه القائمة صحيحة؟

طاهر: نعم ويمكنك مراجعة كل شيء بنفسك فأنا أعددت قائمة بطعام الأسبوع بأكمله.. ولدي كل المكونات اللازمة وزيادة..

ظهرت علامات الدهشة مرة أخرى على وجه أ/ علوي وسار عدة خطوات بعيدًا بعد أن ربت على كتف طاهر وهو يتمتم بدعاء ربنا يوفقك وينجحك يا ولدي.

كانت "توحة" تتعمد السير أمام طاهر ببعض الخلاعة.. وكأنها تذكرت موهبتها القديمة في الرقص.. وتمضغ لبانًا

بصوت عالٍ وهي فاتحة فاهها.. الذي وضعت عليه لون أحمر فاقع من أحمر الشفاه على شفاتها.. ومن وقت لآخر تختلس النظر إلى طاهر.. الذي كان منهمكاً طوال الوقت في تجهيز بعض الأطعمة وحفظها في أكياس في الفريزر لمعاونته في طعام بقية الأسبوع.. مع عمل بعض الصلصات المختلفة ووضعها في برطمانات زجاجية وكتابة التاريخ والنوع عليها ووضعها في الثلاجة، ومن وقت لآخر كانت "توحة" تتعمد أن تحتك بجسدها وهي تمر بجواره وهي تنظر إليه نظرات إغراء رخيصة.. وبعد فترة بدأ طاهر في الابتسام عندما تقدم توحة على مثل هذه الفعلة وكان سر ابتسامته هو تذكرك تحذير عم عبد القدوس عندما وقعت عيناه للمرة الأولى على توحة.. حيث قال: خذ حذرك يا ولدي من هذه الفتاة.. شكلها مش عاجبني.. دي بنت مش مضبوطة.. ولكي تستطيع أن تأخذ حذرك منها.. ضع كل تركيزك في عملك وتذكر.. أن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه.

ومع نهاية اليوم شعر "طاهر" بحنين ووحشة تجاه الخالة فاطمة وحضن الخالة فاطمة وكذلك لعمه وأولاد عمه.. فقرر

زيارتهم بعد إنهاء عمله، وما أن دخل " طاهر " بيت عمه الذي كان مكتظاً بالضيوف والرجال يجلسون في المزيرة بحضور عم جعفر وأولاده عبد الهادي ورشيد بحث عن الخالة فاطمة التي كانت منشغله في إعداد الشاي للضيوف بمساعدة أسماء، تركت فاطمة ما كان في يدها لتفتح ذراعيها كالعادة.. ليركض طاهر ويندس بين الذراعان الحنونان.. وتغلق فاطمة ذراعيها على جسد طاهر النحيل وتربت على شعره الأسود اللامع.. واستمرت في عناقه فترة طويلة إلى أن شعرت بيكري ابنها يقف على مبعده وهو يتهمك عليهما ومن وراءه لبيبة.. ايه الحب دة كله، أخذت فاطمة طاهر وجلسا بعيداً بعد أن طلبت من أسماء متابعة عمل الشاي وتقديمه للضيوف.

حكى طاهر لفاطمة كل ما جرى له في البنسيون ومساعدة عم عبد القدوس وسعادة النزلاء بمستوى وجودة الطعام.. إلى أن حكى لها عن "توحة" فضحكت فاطمة وهي تقول كبرت يا طاهر" وصارت البنات تعاكسك

طاهر: لا يا خالة دي مش معاكسة.. أشعر أن وراء توحه
شيء أكبر من المعاكسة؛ فهي حولها الكثير من الرجال ولا
تحتاج لصبي مثلي
فاطمة: حسنًا يا ولدي.. إذن احذر منها كما نصحك عم عبد
القدوس..

طاهر: لكن ما كل تلك الضيوف في المزيرة يا خالة.. فأنا
أعدت أن أجد رجلين أو ثلاثة مع عمي جعفر.. لكن الليلة
العدد كبير
فاطمة: صحيح يا ولدي.. لقد حدث أمر ما سوف أطلعك
عليه

هل تعلم مزرعة الفواكه الملاصقة لنا من الجهة الشرقية
لقد كانت مملوكة قديمًا لأحد البشوات والتي كانت من أجود
المزارع في عهده.. لكن بعد موته أهملها الورثة وزاد بينهم
النزاع والصراع على تقسيم الورث.. إلى أن اتخذوا قرارًا ببيعها
منذ هذا اليوم جن جنون عمك جعفر.. فهو لا يرضى أن يأخذها
غريب وهي مجاورة لنا ويشعر أنه أحق بها.. لكن المشكلة يا

ولدي أن سعرها غالي جداً وما يملكه عمك جعفر بالكاد يكفي نصف ثمنها.. لذا هو مجتمع مع بعض أهل القرية للتشاور في هذا الأمر ربما يجد شريكاً أو من يقرضه المبلغ المتبقي فهو يقول أن هذه الأرض من أجود الأراضي.. وتحتاج فقط بعض الرعاية وعدم الإهمال.



بابتسامة هادئة رقيقة وقفت إيزابيلا تتأمل كارين وهي تتنقل كالفراشة بين النباتات وحاملة في يدها قارورة الماء الزجاجية الضخمة والتي قد أذابت بها بعض المواد المقوية لخصوبة التربة.. وتغني أغاني رقيقة وهي تنظر إلى كل نبتة وكل زهرة وكأنها توجه أغانيها هذه إلى أصدقائها الجدد من النباتات؛ حيث كانت كارين تعيش في سعادة ما بعدها سعادة بين المدرسة وحديقة الكنيسة والمكتبة وعالمها الخاص في حجرتها وفي حديقة منزلها..

تقدمت إيزابيلا من كارين قائلة: أرى أنك صرتى تدرकिन كل أمور الحديقة أرى أنه صارت هناك علاقة خاصة بينك وبين النباتات.. وهي تضحك بخجل ثم أجابتها: نعم.. هل يبدو هذا ظاهراً بوضوح علي؟ ربما لأنني أغني.

إيزابيلا: أنتِ فقط تذكّريني بنفسى عندما توليت هذه المهمة منذ بضعة سنوات وما زال هذا الشعور يملكنى.. أننى قد صار لي أصدقاء جدد من أنواع الزهور والنباتات المختلفة.

وفي الطابق الثاني من الكنيسة وخلف نافذة زجاجية ملونة كان يقف الكاردينال ديمتري خلف النافذة يراقب الحديقة الخلفية والفراشة الجديدة كارين.. هبط الدرج بعدها وخرج من الباب الخلفى المؤدى للحديقة.. لينضم إلى إيزابيلا وكارين.. مبتدئاً كلامه.. أن الجو اليوم صحوا ويبدو أن الشمس سوف تظهر اليوم.. بعدها سأل كارين عن أحوالها في الحديقة.. وأحوالها في المدرسة، وانطلقت كارين في الحديث عن سعادتها بالعمل في الحديقة وأنها بعد مغادرتها تتوجه إلى المكتبة لقراءة الكتب.. ثم سألها الكارديان.. أي كتاب تقرأين الآن.. هل عن

الأديان.. أجابته كارين لا، إنه عن الحضارات القديمة وتحديدًا عن الحياة البرية في تلك الحضارات.. وأن أكثر ما لفت انتباهي هو درجة التقدم الزراعي وأساليب الري والحفاظ على البيئة لدى المصريين القدماء أو كما يطلقون عليهم الفراعنة أنه شعب مدهش ومبهر.. لقد سجلوا برسومات رائعة وألوان باقية آلاف السنين.. كل ما كانوا يفعلونه في موسم الزراعة والحصاد والري والصيد وغيره وكيف كان نهر النيل لديهم مقدسًا وأن من يلوث مياه النهر فهو آثم مرتكب جرم كبير.. كم أتمنى أن أقابل هذا الشعب العظيم..

نظر الكاردينال لأعلى وكأنه وجد حلاً لأمنية كارين

اسمعي.. يُعقد كل سنة اجتماع ولقاء الكنائس العالمي.. حيث يحضر مندوبون وباباوات من كل كنيسة على مستوى العالم.. وللحظ الإجتماع السنوي في هذا العام سوف يكون في استكهولم وكنيستنا مشتركة في تنظيم هذا الإجتماع وأنا أعرف الكثير من هؤلاء البابوات.. وسوف أحاول أن أعقد لكي لقاء مع بابا الكنيسة المصرية.. فإنها من أعرق الكنائس على مستوى

العالم ولها تأثير قوي.. قريباً سوف تسمعين أخباراً سعيدة..
لكن عليك أن تردي لي هذه الخدمة حينما أطلب منك شيئاً..
خفتت ابتسامة كارين وزالت عن وجهها.. ماذا يقصد بتلك
الجملة الأخيرة.. أننى لابد أن أرد له خدماته.. ظنته يساعديني
ويفعل ذلك من أجل الخير فقط، من أجل الرب.. من أجل
إسعاد فتاة صغيرة تعمل مجاناً لخدمة الكنيسة..

توقف حماس كارين للعمل بسعادة ومرح والتنقل بين
النباتات بخفة الفراشة في حديقة الكاتدرائية.. رغم فرحتها
الداخلية أنها ربما تقابل انسان مصري.. انسان قادم من احدى
أعظم وأعرق وأقدم حضارات الإنسانية والتي طالما اشتاقت
لمعرفة المزيد عن هذا الشعب عن كل عاداتهم وأسرارهم
العلمية والهندسية والفلكية وطقوسهم الدينية.. ربما يرتب
لها القدر لقاء أحد القساوسة المصريين أو ربما بابا الكنيسة
المصرية شخصياً..

وبالرغم من كل ما كان يدور في رأسها من أنباء أيام جميلة
قادمة وبعض الأحلام التي اقترب تحقيقها إلا أن القلق والحيرة

كانتا ظاهرتان على وجهها وأنعكس ذلك على حركتها وبطء وتردد خطواتها .. والتي لاحظت ذلك .. إيزابيلا .. والتي بدورها تقدمت منها على استحياء .. فهي لا تريد التدخل في شئونها الخاصة .. لكن حبها لها كان أكبر

مالك يا كارين؟ .. هل أنت متعبة؟ .. أرى حماسك قد خفت .. وكأن بعض المصاييح قد انطفئت بداخلك .. هيا اتركي ما في يدك .. وتعالى ندخل إلى الكنيسة نقيم الصلوات والدعاء ونوقد شمعة ..

أجابتها كارين وهي مستسلمة: حسناً أحتاج لذلك وسوف أقص عليك ما حدث.

كانت توحة .. منهمة في تنظيف بعض أدوات المطبخ وهي تمضغ علكة ضخمة في فمها وتلوكها وكأنها تنتقم منها .. وهي كعادة أغلب عاملات المنازل .. تمتلك فماً ذو قدرات خاصة فهي تلوك العلكة وتغني بصوت عالٍ وتضحك على صوتها

وغنائها وتمصمص شفاهها وفوق كل هذا لا تتوقف عن الكلام
والثرثرة، ولم يكن أمامها ضحية تمارس معها هواية الثرثرة
سوى المسكين الشيف طاهر حيث كان يقوم بتحضير بعض
الخضروات لقائمة طعام الغذاء..

توحة: قولي يا طاهر.. ولا أقولك يا شيف طاهر هو أنت
عندك كام سنة

طاهر: وهو لا ينظر إليها أو يعيرها إبتهاها.. ولم هذا السؤال؟
توحة: يعني سمعت كدة إنك صغير سنًا لكن كبير مقامًا
طبعًا.. وكمان طولك فارع بسم الله ماشاء الله.. وكمان طالعلك
شنب..

طاهر: أنا قاربت على سن الثالثة عشرة.. وأدرس في المرحلة
الإعدادية

توحة: آه الإعدادية.. أه.. أنا كان نفسي أدخل الإعدادية دي
أصلي تركت المدرسة من الصف السادس الإبتدائي.. وكان
عندي طموح إنني أكون راقصة.. فنانة يعني.. لكن أمي الله

يسامحها منعتني و جعلتني أخدم في البيوت.. تحب اعلمك
ازاي تحلق ذقنك..؟

نظر إليها بنظرة تعجب واستنكار.. توحة.. تعلمني حلاقة
الذقن.. كيف هذا.. ثم ضحك وهو يشعر بالخجل..

توحة: آه لا تتعجب.. أنت عارف لما جوزي يكون تعبان
ومش قادر يرفع ايده.. أنا أحلق له دقنه.. وبدون أى جرح أو
خدش صغير في وجهه.

طاهر: ازاي.. هل أنت متزوجه ياست توحة..؟
توحة: ست..!! وأطلقت ضحكة ليست بالبريئة.. أنا مفيش
حد هنا يقولي ياست.. الكل بيقولي يا توحة.. حتى جوزي
المنيل..

أيوة متجوزة.. ماهو جوزي بيشتغل في البار المجاور لمحطة
القطار هو بارمان..

واستمرت توحة في الحكى والثرثرة عن زوجها وكيف
تعارفا وكيف كان يراها تسير في الشارع فيسيل لعبه عليها.. إلى
أن دخلت إلى البار لتشرب كأسًا وهنا.. حدث وخطف قلبها..

وهي التي لم يحدث وأن استسلمت لأحد من قبل.. عرض عليها
الزواج.. وقبلت الزواج منه..

ولكن إلى الآن لم يرزقها الله بالاولاد.. لكن أنا أقول كدة
أحسن..

لو كنت خلفت كنت مكثت بالبيت.. وأنا لا أحب النكد..
أحب الزوج الراقق المرح.. امال انا اتجوزت بارمان ليه.. أحب
الفرفشة والحياة الراقية.. احب الخروج والسهر.. الملابس
الشيك.. الذهب والمجوهرات..

أنت بقى.. نفسك في أيه يا شيف طاهر؟ أليس لك حلم تريد
تحقيقه.. مثلاً يعني تفتح مطعم خاص بك وتكون أنت الشيف
وصاحب المطعم على فكرة دة حلم مش بعيد وأنا ممكن
أساعدك في تحقيقه

طاهر: تساعديني؟! أنتِ!! أنا أعرفك فقط منذ أسبوع..
دعيني أكمل عملي وتوقفي عن الكلام.. أخاف أن أفقد تركيزي
في وضع مقادير الكعكة الأسفنجية.

توحة: اسفنجية..؟! دة أنا اللي مهلبية.. ثم أطلقت ضحكة لا يسمعها ولا يعرفها أحد إلا مرتادي الحانات والملاهي الليلية.. وفجأة فتح باب المطبخ وأطل أ/ علوي برأسه ثم دخل يطمئن على سير العمل، هنا توقفت جميع وظائف فم توحة وأغلقت فمها تمامًا وكأنه مكتوب عليه مغلق للتحسينات فلم تعد تلوك العلكة ولم تعد تغني ولا تضحك ولا تتحدث مع طاهر في أي شيء وكل شيء..

ألقي عليهما أ/ علوي السلام وأطمأن على سير العمل بشكل سريع ثم أضاف أنه سوف يجلس في الصالي لإجراء محادثة تليفونية وبعدها يعود للحديث مع طاهر عن أمور المطبخ..

أدار أ/ علوي قرص الهاتف القديم.. والذي لم يتغير منذ أيام والده أ/ غبريال المالك الأصلي ومنشئ البنسيون.. وكذا معظم أثاث المكان والدهانات والديكورات لا تزال على القديم وكأن أ/ غبريال ما زال على قيد الحياة وما زال يعمل ويدير المكان بكفاءة عالية كما كان من قبل..

فقد كان الأستاذ / غبريال يعمل طيلة حياته في قسم الإستقبال في أحد الفنادق الشهيرة واستطاع ادخار بعض الأموال وعندما اقترب من الخروج على المعاش.. اشترى تلك الشقتان وأجرى التعديلات عليها ليصبحا مكاناً واحداً.. وهو البنسيون الآن..

طلب أ/ علوي مستشفى أسوان العام وسأل على الدكتور عدلي غبريال

أطمئن أ/ علوي بعد محادثة قصيرة على أحوال أخيه الأصغر عدلي وكانت هذه هي عادته أن يطمئن عليه على الأقل مرة في اليوم..

وضع عدلي السماعه.. وسرح بخياله بعيداً عندما كان يعيش في أسرة متكامله أبيه غبريال وأمه تريزا وأخيه الأكبر علوي ثم أخته ايفون وبعدهما هو.. عدلي، كان بيتاً سعيداً وقد خرج أبيه وأحيل إلى المعاش وأنشأ البنسيون وكان سعيداً للغاية حيث كان حسن السمعة ومحبوياً من الجميع بجانب إتقانه لعدة لغات اجنبية واستطاع عمل دعاية و سمعة طيبة للبنسيون وكان بعض

الأجانب يفضلون الإقامة لديه أكثر من الفنادق الضخمة.. رغم بساطة المكان.. لكنك تشعر وكأنك في بيتك ووسط أهلك.. إلى أن عرفت الأحران طريق بيتهم.. وتحديدًا بعد خطبة أخته الكبرى ايفون بعدة أسابيع.. وكان هو في الصف الثالث الثانوي وكان طموحه لا يزيد عن دخول كليي الصيدلة نظرًا لحبه للأعشاب والنباتات وقد وعده آباه أن يساعده في شراء صيدلية خاصة به.. ويضع فوقها يافطة مكتوب عليها (صيدلية د. عدلى غبريال)

ومرت الأيام السعيدة إلى أن اقترب قدوم يوم شم النسيم وقد جرت العادة في بيتهم ألا يأكلوا الفسيخ المملح.. فكان والده أ/ غبريال لا يحبه ولا يطيق رائحته فتربى منذ طفولته على منع شراء الفسيخ في يوم شم النسيم فقط البيض الملون والخس والبصل وتقوم أمه تيريزا بعمل بعض الفطائر..

قام خطيب ايفون بدعوتهم جميعًا لقضاء يوم شم النسيم في منزلهم حيث أن لديهم حديقة في مدخل المنزل وفي كل عام يجهزون كميات من الفسيخ والرنجة وكل أنواع الأسماك

المملحة ويفترشون الحديقة ويتناولون الطعام في الهواء الطلق.. ويكون عادة يوماً جميلاً..

اعتذر الأب غبريال وكذلك الأم تيريزا عن الحضور نظراً لعدم حبهم لهذه الأسماك وربما يفسدون فرحة الجميع.. أما علوي فكان يخطوا خطواته الأولى كمرشد سياحي وأنه لديه موعد مع فوج سياحي في جولة نيلية وجزيرة النباتات ثم زيارة بعض المعابد إن كان الوقت كافياً..

أما أنا عدلي فكانت دروسي ومذاكرتي مانعاً قوياً للاعتذار بجانب عدم تعودي على تناول هذا الفسيخ.. الذي كرهته من كره أبي وأمي له..

لم يكن هناك أي اختيار آخر إلا ذهاب ايفون بمفردها ومشاركة خطيها موريس وأسرتة الإحتفال بيوم شم النسيم.. وبالفعل ذهبت ايفون وتحدثت مع أمي هاتفياً وأخبرتهم أنهم يضعون اللمسات الأخيرة وسوف تشاركهم الطعام في الهواء الطلق على النجيلة الخضراء وسط الذهور البديعة والجو اليوم رائع.. وكانت سعيدة ايما سعادة..

لم تدري الأم تيريزا أن هذه المكالمة هي آخر ما سمعته من
ايفون، آخر مرة تسمع صوتها الناعم الرقيق.. آخر مرة تحدثها
وأنها لن تراها بعد اليوم..

فقد أصيب الجميع بالتسمم جراء تناول الفسيخ.. حيث
كان فاسدًا.. ولم يمهلهم القدر حتى بعد نقلهم للمستشفى أن
ينقذهم أحد.. حيث كان هناك طبيب امتياز.. خبرته قليلة وايضاً
الوقت كان قد فات.. ماتوا جميعهم أسرة موريس بأكملها
ومعهم ايفون الجميلة في عمر الثانية والعشرون من عمرها..
لم يتحمل أبي الصدمة.. وتوالت الكوارث والصدمات التي لا
تجلب إلا الأحزان وسقط يعاني من ذبحة صدرية ألزمته الفراش
فترة طويلة..

وتولى علوي إدارة البنسيون بجوار عمله كمرشد سياحي..
أما أنا فسمعت آخر أمنية من أبي غبريال قبل أن يفارق الدنيا..
فقد طلب مني أن اجتهد في امتحاناتي وأن أدخل كلية الطب
لكي أساهم في علاج كل محتاج.. وكأنها زكاة وصدقة جارية
لروح المغفور لها ايفون..

كان حملاً ثقيلاً على عدلي وأمانة يجب أن يحملها.. عاش
خلالها قرابة الشهران والنصف قبل خوض اختبارات نهاية العام
والتي على ضوءها يتحدد أي كلية سوف تقبله حسب درجاته
النهائية..

ثابر.. وصبر.. ذاكر دروسه.. سهر الليالي.. عيناه تبكي
أخته ايفون وقلبه يدعو لأبيه المريض وعقله يحاول أن يتذكر
كل معلومة تعينه في عبور الاختبارات وتحقيق أمل وحلم أبيه
ليصبح طبيباً رسالته سامية..

وبالفعل ظهرت النتيجة وحصل عدلي على مجموع درجات
تؤهله للإلتحاق بكلية الطب ليصبح أول طبيب في العائلة..

ولم يكن يعلم عدلي أن مع أول أيامه في دراسة الطب..
وارتداه المعطف الأبيض سوف يكون هذا تمهيداً لخروج
روح أبيه غبريال.. تلك الروح التي قررت مفارقه جسده وبدأت
رحلتها بوفاة ايفون.. إلى أن وصلت محطتها الأخيرة بالإلتحاق
عدلي بكلية الطب والتي من خلالها يصبح طبيباً.. تحققت

الأمنية.. وانتهت معها رحلة الروح والآن تستعد لمفارقة الجسد والعودة إلى الخالق..

مات غبريال.. للمرة الثانية ينتقص من الأسرة فردًا غالبًا.. ويلبس الجميع السواد ويسمعون الصراخ والندبات.. نفس الجلسة.. الجميع بالأسود جالسون وفي صمت يبكون وجمع غفير من الحضور الذين حضروا لتقديم التعازي..

في المرة الأولى كان غبريال وتيريزا وعلوي وعدلي.. هم من يتلقون العزاء في الراحلة الجميلة ايفون، أما اليوم.. تيريزا وعلوي وعدلي يتلقون نفس العزاء وربما من نفس المعزين.. الوجوه والكلمات واحدة.. هي هي نفس العبارات.. لكن الاسم فقط تغير من ايفون إلى الراحل الجديد غبريال.

ماذا دهاك يا دنيا.. هل تركتي كل الخلائق وصار تركيزك على أسرتنا فقط من سيقع عليه الإختيار؟ على من الدور؟ وعلى من تدور دائرة الموت؟ من ثلاثتنا سوف يختفي من هذا المشهد وتأتي نفس الجموع الغفيرة لتقدم فيه التعازي؟ هكذا كانت تفكر تيريزا.. وأخذتها الشفقة على ولديها علوي وعدلي.. فأختارت

أن تكون هي العريس القادم الذي يزف إلى السماء.. ظنت أن هناك من لا بد وأن يرحل عن الدنيا.. فإذا اختارت هي الرحيل طواعية، يكون فيه افتداءً لولديها علوي وعدلي.. بجانب أن قلبها لم يعد يتحمل المزيد من الكسر بفراق الأحباب، فارقتها الروح وهي جالسة باللباس الأسود وتتلقى التعازي في وفاة زوجها غبريال.. ماتت ودموعها تسيل على وجنتيها.. عين تبكي ايفون والأخرى تبكي غبريال.. فارقت الروح الجسد.. ياللفاجعة.. ظن الجميع أن قلبها لم يتحمل موت زوجها ومن قبل ابنتها وأنها لا تريد الحياة من بعدهما..

لكن الحقيقة التي جهلها الجميع أنها اختارت أنها تكون الضحية الثالثة لملك الموت كي تفتدى ابناها.. علوي وعدلي.. تكون هي الوفاة القادمة تضحي بروحها كي يحيا أبنائها، يالها من أم عظيمة في حياتها وأعظم عند مماتها واتخاذها قرار المغادرة وقدرتها على اقناع روحها أن تزهد بلا سبب طبي معين أو حادث.. فقط تلبية لرغبتها.. وتضحيتها لتفتدي ولداها.. الأم

المؤمنة.. الأم الصالحة.. الأم الطاهرة.. هكذا وصفتها ونعتتها
الملائكة في السماء..

أغرورقت عينا د/ عدلي بالدموع أثناء مشاهدة شريط حياته
يمر أمام عيناه.. لم يتمالك نفسه وهو يفر آهه طويلة.. ولم
يستفق مما هو فيه إلا على صوت المرضية وهي تطلبه لوصول
مريض جديد في حالة خطرة أثر حادث سيارة، فسمع صوت
أبيه غبريال.. أن انهض وأد الواجب وأنقذ المريض..

اشتد النقاش وزادت سخونته في مزيرة عم جعفر، الجالس
واضعاً يده فوق رأسه وبجواره ولداه عبد الهادي ورشيد..
وجميع من حوله يتحدثون في صوت واحد.. كل يدلي بدلوه
ويقول رأيه وكأنه أتى برأي وفكرة لم يسبقه إليها أحد، وفجأة
رفع جعفر رأسه وصرخ فيهم، بس اصمتوا جميعاً.. أنا لا أفهم
شيء.. لم أسمع رأي واحد يوحد الله.. ليس هناك رأي مفيد..
يا جماعة.. الجنيئة اللي بجواري سوف تضيع.. أنها من أجود

أنواع الأراضي وزرعها صالحة.. أصحابها ورثة الباشا الكبير.. يريدون بيعها بأقصى سرعة لهذا السبب السعر منخفض قليلاً..
أحتاج فلوس يا أخواننا.. أحتاج مبلغ كبير.. ما العمل؟
قال أحدهم: لماذا لا تلجأ إلى بنك القرية أو بنك التسليف..
هز جعفر رأسه.. لا هذا حل بطيء للغاية.. موضوع سلفة البنك ده إجراءاته كثيرة وحباله طويلة وربما يمكن يستغرق الأمر شهرين أو أكثر حتى يبتوا في الأمر ويوافقوا على إقراضي المبلغ.. نطق آخر.. لماذا لا ترهن أرضك أو نصفها وبثمنها تشتري الأرض الجديدة ومن محصولها تسدد الرهنية..
نظر إليه جعفر بغيظ وغضب.. قائلاً.. اسكت أنت مش فاهم حاجة الأرض ليست ملكي وحدي وليست لي حرية التصرف فيها وحدي سواء بالبيع أو الرهن وفجأة ظهر رجل من وسط جموع الجالسين.. قائلاً.. أنا عندي فكرة.. لماذا لا نستفيد من البنك الاهلي بتاعنا.. نظر إليه جموع الجالسين وأولهم جعفر.. مستنكراً ما سمعه.. البنك الاهلي.. أنت مجنون يا جدع أنت.. ألم تسمع ما قلته من قبل.. أمور القروض هذه تحتاج أوراق

ووقت طويل للغاية.. ضحك الرجل.. كنت أعلم أنكم لم تفهموا ما قصدته.. البنك الأهلي بتاعنا أي بنك الأهالي.. البنك الذي يلجأ إليه الجميع وقت الشدة والحاجة.. بنك التسليف.. أنه الحاج / بدوي فياض

خيم الصمت على الجميع..

جعفر: ايوا..ايوا.. صح.. كانت فين الفكرة دي.. فعلاً ما فيش غيره الحاج/ بدوي فياض فلوسه كثير ويسلف كل الناس.. لكنه بيطلب ضمانات وكمان بياخذ فوايد..

فقال رشيد ابن جعفر.. وماله يابا.. فوايد فوايد.. بس يحل لنا الإشكال الصعب ده وتشتري الجنيئة اللي جنبنا.

صاح الجميع في وقت واحد.. أينعم.. ده هو الرأي.. ده عين العقل.. أحسنت يا عليوة.. الذي أشار عليهم بهذه الفكرة..

جعفر: الوقت أتأخر الآن.. باكر إن شاء الله ندعوه لتناول طعام الغداء معنا.. ونفاتحه في الأمر.. شكلها كدة هتتحل وربنا يفرجها..

كان بكري يلعب مع أخته لبيبة أمام المزيرة ويسمع حوار الرجال.. ويتابع الآراء باهتمام.. وكان يتمنى أن يشاركهم الرأي والحوار لكنه كان يعلم رد فعل أباه.. بأنه سوف ينهره ويزجره.. ألا يتحدث الصغار في حضرة الكبار وعليه أن يلهو بعيداً.. لأنه مازال عيل.. على حد وصف أبيه جعفر..

انفض الجميع وانصرف الحضور وظل جعفر جالساً وحده مطرفاً رأسه للأرض وعقله لا يتوقف عن التفكير..

تخطو نحوه الخالة فاطمة.. ببطء لتسأله.. مالك يا أبو عبد الهادي؟ شايل هم الدنيا ليه؟ ربنا يفرجها من عنده..

جعفر: ازاي بس يا فاطمة.. المسألة صعبة وأنا لن أستطيع أن أهناً بحياتي قبل أن أحصل على تلك الحديقة..

فاطمة: أنا سمعت بعضاً مما دار بينكم.. بلاش يا جعفر تتعامل مع الحاج/ بدوي فياض، ده راجل سمعته سيئة ويقرض الناس بالربا، والربا حرام.. عايزين نربي أولادنا بالحلال..

جاء صباح يوم الأحد.. يوم قداس الأحد في الكنيسة والذهاب بعدها للمرفأ لإنتظار سفن الصيد العملاقة منها والصغيرة.. في انتظار قدوم يوهانسن لعل وعسى.. لم تفقد ماتيلدا الأمل.. رغم مرور السنين ورغم فتور اهتمام كارين بالأمر من أساسه ورغم الضغط المتواصل من فيكتور وإتهامها بالسذاجة وإضاعة وقتها هباءً في انتظار المجهول.. انتظار اللاقادم..

وكانت كارين في صباح مثل هذا اليوم.. يوم الأحد من كل أسبوع تبدو متناقلة كسولة.. غير راغبة في الذهاب لهذا المرفأ اللعين.. الذي لم تجني منه إلا الحسرة وخيبة الأمل وكسرة نفس أمها ماتيلدا المصحوبة بوابل من الدموع المنهمرة بلا توقف.. ويظل السؤال نفسه حائرًا بلا إجابة.. هل شعر يوهانسن بعدابهن.. إن كان على قيد الحياة.. وهل يشعر بالآم زوجته وتشتت وضياع طفله بلا أب قوي حكيم رحيم تنهل من خبرته وتستمد قوتها من قوته؟

ولكن هذه المرة اختلف الأمر داخل وجدان الصغيرة كارين والتي لم تعد صغيرة فهي قاربت على الثانية عشرة من عمرها

وظهر هذا جليًا واضحًا.. في كل ثنايا جسدها الممشوق.. كانت لديها رغبة قوية جامحة أن تصطحب أمها إلى الكنيسة ثم إلى المرفأ ليس لتجدد الآمال بقدم المجهول.. ولكن لعدة أسباب أخرى.. أنها تشعر أنها لم تعد طفلة وأنها صارت أقرب لأمها من ذي قبل وكذلك لمحاولة حمايتها وأن تكون حائط صد ضد هجمات ذلك الهمجي فيكتور.. الذي يريد إبعادها عن زوجها وقتل الأمل بداخلها.. وكذلك يريد أن تتخلص من ماضيها وتبيع بيتها وبذلك تموت كل ذكرياتها في عش الزوجية الذي جمعها بزوجها وبه انجبت طفلتها الأولى..

والسبب الأخير هو تكون رغبة قوية داخل كارين أن تتخذ من أمها صديقة مقربة لها فهي تريد أن تحكي وتقص عليها ما تمر به في المدرسة وما تمر به في الكنيسة.. صداقتها الجميلة بإيزابيلا.. وكذلك جميع النقاشات التي دارت بينها وبين الكاردينال ديمتري وأنها لا تشعر تجاهه بالإرتياح نفس الشعور الغريب بعدم الإرتياح ليفكتور وكأن كل منهما يحمل نفس الشخصية.. نفس الرسائل الغير مريحة والغير مطمئنة.. نعم

أنه الكاردينال.. إنه بابا الكنيسة.. له واجب الإحترام والتقدير والطاعة.. لكن ثمة شيء ما يحول بيني وبينه.. فأنا لا أشعر ناحيته بالثقة المطلوبة ولا بالإرتياح.. فمثلاً لا أجد نفسي أريد أن أؤدي الإعتراف أمامه هو تحديداً.. حتى ولو لم أتخلص من الخطايا التي تحيط بكل منا.. فلا أريد أن أعترف.. أظل هكذا بلا إعتراف أفضل.. تثقل كاهلي الخطايا أفضل من أن أفتح قلبي وأحكي وأبوح بأسراري البسيطة أمام هذا الرجل.. وكأنني أبوح بأسراري لفيكتور مثلاً.. يا للكارثة..

أثناء استعدادها وارتداء ملابس ثقيلة طلبت كارين من أمها ماتيلدا: أرجوك يا أمي.. أرجوك وأتوسل اليك.. إذا تقابلنا مع فيكتور وأنا مدركة تمام الإدراك أننا سوف نراه إما في قداس الكنيسة أو على رصيف المرفأ.. أرجوك.. تخلصي منه لا أريد أن أقضي الصباح معه وفي حضرته وصحبته الغير مريحة.. حاولي أن تعتذري له بأي شيء.. أريد أن أقضي صباح يوم الأحد.. عطلة نهاية الأسبوع معك وحدك.. أريد أن أشعر أنك لي أنا وحدي.. لدي الكثير من الكلام.. أمور كثيرة حدثت

في الفترة الماضية أحب أن أطلعك عليها والإستعانة برأيك
وخبراتك..

كانت ماتيلدا تستمع إليها وهي تكمل ارتداء ملابسها.. وليس
في عقلها ولا قلبها سوى صورة يوهانسن تتراقص أمام عينيها..
وهو يهبط من إحدى مراكب الصيد هزيل.. نحيل بملابس
مهتراه.. وفي حالة صحية وبدنية يرثى لها.. تحتضنه وتضمه
لصدرها الذي يعلو ويهبط من ضربات قلبها المتسارعة ثم
تأخذه إلى المنزل.. وتهتم به وتعني بصحته.. تسهر على راحته
وتطلب أجازة طويلة من عملها في مكتب البريد لتتفرغ للإعتناء
به إلى أن يسترد عافيته مرة أخرى ويعود كما تتذكره على صورته
الأولى في سنوات زواجهما الأولى.. أجمل سنوات عمرها..
استفاقت من أفكارها.. لتجيب كارين.. حسناً.. حسناً.. لكِ
ما طلبتِ..

انفض الجميع من المزيرة التي يجلس فيها جعفر وضيوفه..
فلا أحد يدري ما يدور في خاطره.. انفض الجمع من حوله..
وخلد أولاده إلى النوم وراحوا في سبات عميق..

ولم يتبق غيره ساهراً وحيداً على نفس الأريكة جالساً بلا
حرك.. وفي داخل الدار تتقلب فاطمة في فراشها والنوم قد
هجر جفونها وأرق مضجعها.. توجهت إلى النافذة لتفتحها
كي تعطي فرصة للهواء المحبوس خارج النافذة ليجد طريقه
إلى غرفتها الصغيرة.. نعم غرفة صغيرة.. لكن مرتبة بعناية..
أخرجت رأسها من النافذة لتلمح جعفر جالساً صامتاً في
هدوء.. على أريكته الخشبية وأمامه كوباً فارغاً كان به شاي قبل
أن ينفض الجميع من حوله..

الأفكار تتراقص داخل رأسه.. الحديقة فرصة ذهبية له ليوسع
من مساحة أرضه ويصبح من أهم أصحاب الأراضي الواسعة
في البلدة والمتعارف عليه في بلدتهم أن من يملك أطيان
وأراضي واسعة.. فهو من أصحاب النفوذ وكلمته مؤثرة ونافذة
على الجميع وشيئاً فشيئاً يتكون حوله مجموعة من المنتفعين

بعضهم يلتف حوله بغرض حمايته والقيام بكافة الأعمال القذرة والصعبة بالنيابة عنه.. والتي لا يريد هو أن يقحم نفسه فيها.. كاسترداد أموال ومديونيات لدى بعض المتأخرين عن السداد.. أو شراء بعض الماشية بثمن بخس من أصحابها الذين أرهقهم الفقر والعوز وضيق ذات اليد.. تحركت صور كثيرة في رأسه وهو يرتدي ثوب أصحاب الأعيان وحوله الخفراء والحراس.. وبالداخل توجد خادمتين أو أكثر للقيام بالأعمال المنزلية ويتنقل في البلدة بعربة يجرها حصانان بدلاً من الحمار الهزيل الذي يركبه ويمتطي ظهره للتجول في البلدة.. والجميع يقفون رافعين أيديهم بالتحية له يرجون رضاه وحسن جواره.. يستفيق من الصور والأحلام على صوت فاطمة.. تطمئن عليه

فاطمة: أنت بخير يا أبو عبد الهادي.. مالك؟! الجميع ذهب وأنت هنا وحدك.. تعالى إلى الداخل لتنام

جعفر: سامحك الله.. أيقظتني من حلم جميل..

فاطمة: أي حلم.. أخبرني!..!

جعفر: هو ليس حلم كالأحلام التي تأتينا وقت النوم.. أنا لم أغفو ولم يغمض لي جفن.. أنها أحلام يقظة..

تخيلت نفسي من أعيان البلد بعد شراء الحديقة وحصن الفواكه وصارلي رجال كثر.. أقصد حرس وخفر.. وأنت تقوم على راحتك خادمتين داخل الدار.. وأنا أرتدى ملابس الملاك الأغنياء وأتجول في شوارع البلد على عربة يجرها حصانان من أقوى وأجود أنواع الخيل.. وأولادنا..

فاطمة: حيلك.. حيلك.. انتظر.. تمهل.. وكيف يحدث كل هذا.. فأنت لا تملك إلا القليل.. من أين لك سداد المبلغ بالكامل لشراء تلك الحديقة وأنا حسب ما علمت أن أصحابها.. ورثة الباشا رافضون لفكرة التقييط.. فكل منهم يريد أن يقبض المبلغ كاملاً.. واعتقد أن القطيعة تدب بينهم بعد ذلك..

جعفر: لا تقلقي لدي حل.. الحل الوحيد المتاح الآن الحاج بدوي.. بدوي فياض

فاطمة: آه.. آآآآه.. هذا ما أخشاه.. بلاش يا جعفر.. أنا لا أرتاح لهذا الرجل.. تصرفاته مريبة.. أنت لا تعلم ماذا اسمع عنه.. ماذا

يقول الناس عنه.. ليس خيراً على الإطلاق.. أحياناً عند ذهابي
للسوق يحدث مصادفة و أتقابل مع زوجته الأولى والثانية..
يعيشون في تعاسة وبؤس ويحكون عنه العجب العجاب.. عن
بخله.. عنفه.. أذاه.. جشعه.. قسوته.. سلاطة لسانه.. وأنا دائماً
أراه وهو يبدو عليه الغلظة وانعدام الرحمة..

جعفر: ومالي أنا بكل ذلك يا فاطمة.. أنا لن أناسبه.. كل ما
في الأمر هو قرض مالي ومقسم على عدة سنوات.. وسأدفع له
بعد حصاد المحصول وبيعه..

فاطمة: والفوائد.. الفوائد يا أبو عبد الهادي.. سمعت أنه
يأخذ فائدة تصل إلى خمس المبلغ..

جعفر: نعم هذا هو ما يؤرق نومي وهذا هو الجانب السيء
في الموضوع أنه يطلب عشرون بالمائة فائدة..

فاطمة: إذن اصرف نظر وتعالى نفكر في حل آخر أو نلغي
الموضوع برمته ونكمل حياتنا كما هي.. نحن أفضل حالاً من
أناس كثير.. أنا لا أريد أي خادمة.. الله يسترها معنا وكفى..

جعفر: لا.. الفرصه لن تأتي ثانية وغبي من يترك هبة وفرصة من الله أن تضيع وتذهب لغيره.. أنا أولى بها أنها مجاورة لقطعة الأرض الصغيرة التي نعيش عليها.. وهي ليست ملكنا وحدنا فإن أخي مسعود كان شريكاً معي فيها.. وبعد وفاته رحمة الله عليه.. يؤول نصيبه إلى ابنه الوحيد طاهر.. فطاهر هو الآن شريك لنا في الأرض وعندما يبلغ سن الرشد يجب أن أعطيه نصفها.. وهي صغيرة للغاية فلم لا أتوسع وخاصة أن الله أرسل لي الأمانة.. والحل الوحيد هو بنك التسليف.. الحاج بدوي فياض وأقبل بالفائدة وأمرني إلى الله.. ادعيلي أنتِ بس يا فاطمة أن السلف والبيعة تتم على خير..

لم تستطع فاطمة أن ترفع يدها بالدعاء كما هي معتادة.. ولم تستطع أن تنطق فيها أي دعاء بالتوفيق والإتمام على خير إنما تمتت قائلة.. ربنا يستر..

كان الحاج بدوي في العقد الخامس من عمره.. يرتدي الزي الأزهرى الجبة والعمة والقفطان.. رجلاً معممًا رغم أنه لم يلتحق

بالأزهر في حياته ولم يدخله ولم يصلي يوماً في جامعة الأزهر لكنه اعتاد على هذا الزي حيث يزيد إليه الوقار ويرضخ أمامه كل من يجادله أو يعارضه في رأي ديني أو دنيوي.. فبمجرد أنه بملابس الأزهر، فهذا كفيلاً أن يسكت ألسنة من يحاول مخالفته أو مجادلته.. ضخم الجثة.. برأس مستديرة شارب قصير ولحية قصيرة وحاجبان غليظان ويوجد على جبهته الكثير من الندبات والزوائد الجلدية والتي ما كانت تراها فاطمة عندما تنظر إليه.. أنها قرون تخرج من جبهته.. وكانت هناك حول رقبتة الكثير من تلك الزوائد الجلدية.. بنية اللون وتنتشر حول رقبتة.. يفعل كل شيء بصعوبة بالغة.. فتسمع صوت أنفاسه العالية.. إلا شيئان يفعلهما بمتنهي السهولة.. تناول الطعام.. وتحصيل الأموال.

ظل جعفر يستقبل الأحلام حلمًا تلو الآخر والامنيات والرغبات تذهب به إلى أبعد الحدود إلى أن أوصلته أنه سوف يقابل محافظ أسوان يوماً ما ليقدم له الشكر على جودة إنتاج

حديقة الفاكهة وأن ورثة الباشا سوف يندمون أشد الندم بعد بيعها وبعد أن يصل إلى مسامعهم أخبار جودة وكمية المحصول وأنه سوف يخصص جزء كبير من هذا المحصول للتصدير.. ابتسم ابتسامة عريضة عند سماعه لصوت المؤذن.. يعلن ويدعو المسلمين للحضور وأداء صلاة الفجر.. حي على الصلاة.. وإن الصلاة خير من النوم..

وأين هو النوم.. لقد هرب منه طيلة تلك الليلة وكأنه تم وضع حاجزاً بينه وبين النوم فكانت أحلام اليقظة والامنيات أقرب إلى جفناه وإلى قلبه من أي نوم.. ولج إلى داخل الدار للوضوء وتبديل ملابسه استعداداً للذهاب إلى المسجد لأداء الصلاة وكان يشعر أنها البشري وكأنها الإجابة من السماء.. حين سمع أذان الفجر يقول الله أكبر مع إسهابه في امنياته وأحلامه.. هكذا يفسر هؤلاء البسطاء كل ما هو متعلق بالدين أو العبادة على أنه بشرة خير وأنها لا بد وأن تتحقق.. ألقى نظرة على فاطمة.. فوجدها تغط في نوم عميق لدرجة أنها لم تشعر بحركته داخل الدار ولم تشعر عندما خرج من الدار متوجهاً إلى المسجد..

كانت في نوم ثقيل للغاية.. لم يكن استرخاء أو نومًا عميقًا.. بل أكثر من ذلك.. حيث بدأت بعض الأحلام الغريبة والكوابيس تطاردها وهي مستلقية بلا حول لها ولا قوة.. فقط تستقبل الأحلام المزعجة والكوابيس الغير مفهومة والغير منطقية لها.. فأول ما رأت قد بدأ منذ أن ظهر رجل قبيح الصورة يرتدي اللباس الأزهري وله قرنان طويلان أنقض عليها بقرونه فوخزها في صدرها.. سقطت على الأرض وهي تصرخ.. فإذا به ينقض على ذراعها الايسر.. وأطبق فمه الواسع للغاية على ذراعها فخلعه من مكانه.. وألقاه أمامها على الأرض.. وصارت بذراع واحدة.. حاولت أن تصرخ لكن صوتها تحشرج واحتبس داخلها.. إلى أن ظهر طاهر وأمسك بها واحتضنها بكل جسده ليحميها من ذلك الرجل القبيح.. خوفها على ذراعها الأيمن أن يصيبه أي أذى.. وإذا بذلك الرجل القبيح ذو القرنين.. ينحني على الأرض ويمسك بالذراع المقطوع وينظر إلى الأصابع الخمسة.. يلمس الإبهام.. ثم يتركه وبعدها السبابة ثم يتركه ويمسك الوسطى.. ثم يتركه.. إلى أن وصل إلى الخنصر وهو

الأصبع الرابع وقبل الأخير في اليد.. وإذا به يفتح فمه الواسع القبيح ويقضم الاصبع ويأكله ويتلعه عن آخره.. وبعدها يترك اليد مكانها على الارض وينصرف وهو يضحك كالشيطان ثم يتحرك أصبع الإبهام والسبابة فيتحدثان سوياً وينقضا معاً ليضربا الأصبع الوسطى ضرباً مبرحاً.. والأصبع الأصغر.. البنصر يصرخ.. ويظل يصرخ.. ويظل يصرخ إلى أن تستفيق فاطمة فزعة في فراشها وظلت تصرخ إلى أن حضرت إليها أسماء وارتمت عليها وهي خائفة.. مالك يا أمي.. وجهها ورأسها يتصببان عرقاً وكل جزء في جسدها ينتفض بشدة وظلت تستعيد بالله من الشيطان الرجيم.. ودقات قلبها لا تتوقف بل يزداد تسارعها وأنفاسها تتلاحق بصوت مسموع ولم تجد أي رغبة أو أمنية لها إلا أن تستسلم للبكاء.. فظلت تبكي بصوت مسموع وأسماء تحاول أن تسقيها الماء.. إلى أن حضر جعفر من الصلاة لا بد أنه كابوس.. لا تفسدي فرحتي يا فاطمة هكذا عقب جعفر بلا اكتراث..

غادرت فاطمة الفراش وذهبت إلى فراش أسماء.. فراشاً صغيراً لكنه كان كافيًا أن تأخذها في حضنها ويلتصق جسدهن.. محاولة إغماض عينيها وأن تستمد بعض الطمأنينة من قلب وجسد أسماء الصغيرة..

أسماء الوحيدة التي شعرت بها ولبت النداء بعد أن استغاثت بصرخة مدوية لم يشعر بها أحد إلا أسماء

لكن ما تفسير ذلك الكابوس الفظيع.. ثم وضعت يدها اليمنى على ذراعها الأيسر لتتأكد أنها في مكانها.. ولم تشعر بألم جسدي قدر شعورها بألم روحي وخوف مما هو قادم..

دقت أجراس الكنيسة صباح يوم الاحد.. دق معه جرس الهاتف.. أنه د. عدلي يوقظ أخيه أ. علوي ليتقابلا أمام باب الكنيسة لحضور قداس الأحد وإشعال شمعة لاختهما ايفون.. فاليوم تحل الذكرى السنوية لوفاتها..

أشعلا الشمعة سوياً وبدأ كلا منهما في الدعاء والإبتهال
وأداء الصلوات وبعد ما فرغا.. كان في انتظارهما القس ميخائيل
توجهها إليه.. مقبلين يده ومرحبين بإحترام وأدب شديد..

أهلاً وسهلاً.. أبونا ميخائيل..

قدم لهم الأب ميخائيل التعازي والمواساة.. فهو يذكر يوم
وفاة ايفون الجميلة وكل ما مرت به عائلتهما.. حادثة لا تتكرر
كثيراً ولم تشهد الكنيسة مثلها من قبل وفاة الفتاة الجميلة ايفون
في منزل خطيبها موريس وأسرته بالكامل بعد تناول وجبة فسيخ
فاسدة.. وبعدها بأسابيع قليلة لم يتحمل قلب الأب الطيب
غبريال.. واليوم التالي أثناء مراسم العزاء.. تزهق روح تريزا
الأم وها هما عدلي وعلوي ما تبقيان من تلك الأسرة الرائعة..

أستاذن علوي الأب ميخائيل وأفصح عن رغبته في الحضور
مع مطلع الإسبوع القادم لمصارحة الأب ميخائيل في بعض
الأمور المحيرة له وأن يأخذ رأيه ومباركته في بعض الخطوات
المقبل عليها..

فإذا بالأب ميخائيل يخبره أنه سيكون خارج البلاد ومن
الأفضل تأجيلها لحين عودته..

أ.علوي: مسافر إلى أين ؟

الأب ميخائيل: إلى استكهولم في السويد.. لحضور
اجتماعات مجلس الكنائس العالمي.. هناك الكثير من الأمور
العالقة والتي يجب أن يتم التنسيق فيها بين مختلف الكنائس
والممل.. هناك وفد مكون من خمسة قساوسة يمثل الكنيسة
الارثوذكسية وتم اختياري لأن أكون واحدًا منهم..

بعدها دار حديث جانبي بين الأب ميخائيل والأخوات عدلي
وعلوي اطمئن فيه على أحوال كل منهما بشكل سريع وأسدي
إليهما بعض النصح وقام بالدعاء لهما.. ثم وضع يده على رأس
كل منهما على حدة وتلى بعض الترانيم..

كان علوي يشعر بارتياح كبير عند الحديث لدى الأب
ميخائيل.. كان يريد أن يسأله عن رأيه في مسألة هامة تخصه
ويشعر بالحيرة في اتخاذ القرار المناسب.. لقد عزف طيلة
السنوات الماضية عن اتخاذ القرار بالزواج والآن هو يشعر أنه

في أمس الحاجة للصديقة.. للزوجة.. للحبيبة.. لمن تكمل معه مسيرته حتى آخر العمر.. لم يقع اختياره على فتاة بعينها لكنه كان حريصاً على الحصول على مباركة الأب ميخائيل لكنه أرجى الحديث حتى عودة الأب من سفره وقبل هذا التوقيت بثلاث ساعات..

وفي أقصى شمال كوكب الأرض.. وسط الثلوج والأشجار مزدانة باللون الأبيض أثر التفاف الثلوج على كل غصن فيها بعد أن صارت بلا أوراق تقريباً.. والناس يسرون ببطء وبحذر فوق كل ما هو أبيض ناصع.. مرتدين قفازات ثقيلة مضادة للماء ومعاطف طويلة.. ويخرج من أنفاسهم دخاناً أبيض ويخيل للناظر إليه أنهم يدخنون التبغ..

وعلى الجانب الآخر من الطريق.. تسمع ضحكات الأطفال وهم يتقاذفون الكرات الثلجية فيقذفها أحدهم بينما يحاول الآخر تفادي الاصطدام بها.. وبينهم كلب من النوع الهسكى ذو الشعر الأبيض والعينان الرماديتان الزرقاوان.. تخرج كلا من

ماتيلدا وكارين من كنيسة سانتا كلارا كيركا القابعة في احدى
ضواحي استكهولم عاصمة السويد؟؟
تسير ماتيلدا بخطى سريعة وكأنها تسابق الريح أو تسابق
وصول المجهول..

وراءها كارين محاولة اللحاق بها.. وهي ترقب الأطفال
الذين يلعبون ويشكلون كرات الثلج ويقذفونها.. تتمنى لو
كانت تستطيع مشاركتهم اللعب والمرح..

طلبت كارين من ماتيلدا التوجه إلى المقهى المقابل للمرفأ..
أولاً قبل التوجه إلى رصيف المرفأ لانتظار يوهانسن.. تريد
التحدث إليها.. لكن الأم رفضت وقالت لها سوف تأخذها
للمقهى وتستمع لكل ما تريد قوله لكن كارين تفاجأت وهي
تسمع جملة أمها الأخيرة..

لا استطيع تأجيل أو تأخير ميعاد أباك!....!
توقفت كارين عن المشى.. فاتحة فاهها والدهشة تعلقو قسمات
وجهها الأحمر الذي أجبر الصقيع الدم أن يندفع لوجهها ليعطيه
بعض الدفء..

ماذا دهاها هذه المرأة.. وأي ميعاد تتحدث عنه.. هل تواعدت مع أبي.. أقصد يوهانسن.. أنها سوف تنتظره بعد أن اختفى.. سوف تحضر لرصيف المرفأ كل يوم أحد في الصباح الباكر.. تصلي من أجله في الكنيسة ثم توقد له شمعة وبعدها تقضي وقتاً طويلاً في المرفأ.. في البرد والصقيع.. عيناها لا تتوقف عن ملاحقة المارة والنظر بإمعان إلى كل سفينة أو مركب يهبط منه أي رجل.. ولا يبدو عليها الضيق ولا الضجر أو حتى نفاذ الصبر.. ويمر الوقت محملاً بالفشل وخيبة الأمل كالعادة وتعود أدراجها من حيث أتت.. ولا تفهم الرسالة أو تأخذ الموعدة أن هذا الرجل لن يعود.. هل يستحق كل هذا الحب وهذا الإخلاص وهذا العناء.. الحب كما أفهمه يسير في اتجاهين.. لكن أُمي تراه يسير في اتجاه واحد فقط.. يبدأ من عندها وينتهي عند يوهانسن ولا يعود في الإتجاه المعاكس.. هي تعطي بلا مقابل.. تضحي ولا تنتظر.. تحلم والأمل لا يفارق قلبها الذي لا أعرف إن كان قوياً أم ضعيفاً للغاية.

تحت السماء الرمادية.. الملبدة بالغيوم والرياح تزداد قوة..
تتراقص طيور النورس البيضاء في أسراب وجماعات وتتمايل
في اتجاه الريح.. ثم تهبط أحدهن وتدس رأسها في الماء
المتلاطم بالأمواج الهادرة وبعد لحظة تخرج من الماء ثانية
وترتفع لأعلى وفي فمها سمكة كبيرة تتلوى محاولة الإفلات
من هذا المنقار الفولاذي.. لكن بلا جدوى..

تقف ماتيلدا والهواء يتلاعب بشعرها الناعم الطويل وبين
الحين والآخر تضع أصابعها خلال شعرها لتعيده للخلف..
حيث يحجب شعرها الرؤية والتي هي كل ما تمتلكه في هذه
اللحظة.. هي الرؤية.. فاتحة أعينها على أقصى اتساع تنفرس
وجوه وأجساد كل القادمين والمارين على رصيف مرفأ الصيد..
كالعادة خلا الرصيف من المارة.. اللهم إلا بعض أفراد الأمن
وعمال النظافة..

نظرت كارين لوجه أمها ماتيلدا ولم تلاحظ علامات اليأس
وخيبة الرجاء كما كان يحدث في الأسابيع المنصرمة.. بل كانت

مبتسمة.. أثار هذا فضول كارين التي لم تستطع إلا أن تسألها..
أراكِ مبتسمة اليوم.. لماذا؟

ضحكت ماتيلدا وكأنها سعيدة مما أثار فضول وغيظ كارين
أكثر وأكثر لاحظت ماتيلدا ذلك وظلت تتلاعب وتزيد من
غضب كارين وهي منهمة في الضحك.. وأخيراً قالت.. حسناً
سأوضح لك الأمر لقد علمت من نشرات الأخبار أن السلطات
ربما تغلق مرفأ الصيد ليومين أو أكثر نظراً لسوء الأحوال
الجوية.. وأنه قد أدى ذلك لتحطم وغرق اثنان من مراكب
الصيد وقد استطاعت قوات خفر السواحل من انقاذهم جميعاً..
وراجعت كشوف الأسماء التي تم انقاذها.. لم يكن يوهانسن
بينهم.. لذلك أنا سعيدة أنه على الأقل لم يغرق ولم يصاب بأذى
في تلك الأجواء الشتوية الصعبة

نعم.. هو لم يحضر ولم يظهر كالعادة.. لكنه لم يمت.. وهذا
يبقي الأمل عندي.. وأن هناك نسبة كبيرة تصب في صالحه
ولعله او ربما يكون بخير ويظهر يوماً ما.. لم تستطع كارين

تمالك نفسها.. انقضت على أمها وعانقتها بشدة.. وتابعت
قائلة.. انتِ أعظم وأقوى أم في العالم..

لذلك.. أطلب وأتوسل إلى أمي القوية.. أن تعطي كامل
انتباهها لي وتسمعني فيما سوف أرويه لها.. هيا بنا نتوجه إلى
المقهى..

روت كارين كل ما حدث معها وهي تحتسي كوبًا من
الشيكولاته باللبن الساخنة.. فمئذ أن تعرفت على إيزابيلا
الراهبة والعمل في حديقة الكنيسة.. ومقابلتها للكاردينال
ديمتري وتولد شعور بعدم الإرتياح لديها بنفس الشعور الذي
تحسه تجاه فيكتور.. نفس عدم الإرتياح.. وإذا بباب المقهى
يفتح ويدخل فيكتور ومعه رجل آخر..

وما أن رأتهم كارين.. أصابها الفزع والغضب في آن واحد
كيف يحدث هذا.. أنها كانت تروي لأمها عن عدم ارتياحها له
وبمجرد أن ذكرت اسمه.. إذا به يدخل من الباب..

أشار لها فيكتور بالتحية من بعيد ثم طلب النادل..

نهضت كارين من مكانها وطلبت من أمها أنها تريد العودة للمنزل وسوف تكمل حديثها هناك.. وطلبت النادل لدفع حساب المشروبات الساخنة.. وإذا بالنادل يخبرها أن هذا الرجل قام بدفع حسابكما وأشار ناحية طاولة فيكتور.. وفي المنزل الخشبي الصغير.. أكملت كارين حديثها.. وبعد أن استمعت إليها الأم باهتمام.. عقت قائلة.. أنا أو افكك الرأي.. هناك شيء ما في فيكتور يدعو لعدم الإطمئنان.. ربما لأنه لحوح بعض الشيء أو لأنه يتدخل في أمورنا أكثر من اللازم أو أنه يحاول ابعادي عن فكرة انتظار يوهانسن.. لا أدري حقيقة.. ولكن دعيني أخبرك أننا يجب أن نكون منصفتان.. لم يحدث بشكل مباشر وثابت أن قام بعمل مشين او منافٍ للأعراف أو الأخلاق.. لا نريد أن نظلمه.. دعي الأيام تجيب عن كل الاسئلة التي تدور في أذهاننا بلا إجابة حتى الآن.. يوماً ما سوف تجيب المواقف والأيام عن كل هذه الألغاز.. أما الكاردينال ديمتري فهو قسيس الكنيسة ويجب احترامه للغاية

ومحاولة الفوز ببركته ورضاه أعطي نفسك فرصة أخرى لفهم
وتدبر الامر.. ولا تنزلقى وراء عواطفك فقط..

بينما تبادلان كارين وماتيلدا الحديث.. دق جرس الباب
وإذا به فيكتور بجسده الضخم وصوته الأجهش.. ومعه رجل
آخر طويل القامة بشكل ملفت ونحيل أيضاً بشكل ملفت..
وما إن جلسا في حجرة المعيشة بأثاثها البسيط للغاية.. لم
تستطع كارين المكوث وأستأذنت والدتها في الخروج والذهاب
للكنيسة..

بدأ فيكتور حديثه بالسؤال عن يوهانسن وهل سمعت ماتيلدا
أي أخبار جديدة عنه.. وبعدها قدم السيد الذي يجلس بجواره
بأنه سكرتير في إحدى الشركات العقارية وشرح لها كم استغرق
من الوقت في محاولة إقناع الشركة العقارية لشراء منزل ماتيلدا
ولأنه صديقه منذ زمن بعيد ولن يرده خائباً قبل أن يحضر لمعاينة
المنزل تمهيداً لعمل إجراءات شراءه.. ظلت ماتيلدا تستمع
إلى فيكتور الذي أسهب في الحديث عن أمانة تلك الشركة
وسمعتها الطيبة في عالم التسويق العقاري.. وأنهم متخصصون

في بيع وشراء وتسويق العقارات.. وأن البيع لن يستغرق وقتاً طويلاً فهم يدركون جيداً ما يفعلون وبمجرد الإتفاق وتوقيع العقود سيقومون بتحويل ثمن البيت على حساب ماتيلدا في البنك وأيضاً سيساعدونها في إيجاد شقة صغيرة في حي هادئ تسكن فيه هي وابنتها كارين دون عناء الإهتمام والإعتناء بمنزل مستقل.. وأخبرها أن السعر المعروض لشراء المنزل مفاجأة وأنها لن تصدق ما سوف تسمعه الآن.. لقد عرضت الشركة مبلغ ١٢٠ ألف كورونا سويدية..

ضحكت ماتيلدا بصوت منخفض.. ولاحظ فيكتور رد فعلها فإذا به يضيف بأن هذا المبلغ كافي لدفعه كمقدم لشقة في بناية حديثة.. والأقساط الشهرية سوف تكون بسيطة للغاية ومقسمة على عشرين سنة..

أطلقت ماتيلدا ضحكتها الثانية.. ثم نهضت من مكانها قائلة: أهلاً بكم.. شرفتونا.. أنا منزلي ليس للبيع..

فيكتور: هل تريدان زيادة في المبلغ.. ثم نظر إلى سكرتير الشركة الذي عرض ١٣٠ ألف.. لتضحك ماتيلدا مجدداً وزاد

الرجل إلى ١٥٠ ألفاً وظل الحال هكذا إلى أن وصل المبلغ إلى ٢٠٠ ألف كورونا سويدية..

بعد انصراف فيكتور وصديقه... أغلقت الباب خلفهم.. وأسندت ظهرها إلى الباب الخشبي القديم وأجهشت في بكاء شديد يخرج معه كل مخزون الألم المتغلغل في صدرها منذ زمن.. وازداد اليوم.. لم تكن تصدق أنها سوف تشهد هذا اليوم.. يوم من يأتي ليساومها على التنازل عن ذكرياتها وأيامها الجميلة الوحيدة التي تحيا على كل ذكرى فيها.. المطبخ الذي قامت بطهي الطعام فيه ليوهانسن.. والحمام الذي كان يستعمله وسريره وحجرة نومه.. والكرسي الذي كان يجلس عليه لمشاهدة التلفاز.. وحجرة كارين الصغيرة.. كل ركن في المنزل يحكي ذكريات عاشتها ولا زالت تحيا عليها وبها.. ربما لم تكتب تلك الذكريات على الورق لكنها محفورة في ذاكرتها في عقلها وقلبها وتجري مع كل نقطة دم تفيض في عروقها.. عروقها التي يغلي فيها الدماء الآن من شدة غيظها وغضبها.. والشعور بالمهانة والإستهانة.. هذان الرجلان لا يدركان عن

أي منزل يتحدثون، أنه منزل وذكريات لأسرة من ثلاثة يجمع بينهم الحب والعطف والرحمة والاخلاص.. ربما إن تركت هذا المنزل سوف تفقد كل ما تملك وهنا فإن موتها سوف يكون الخيار الأفضل لها.. ثم أطلقت صرخة عالية لتخرج بها ما تبقى في صدرها من غضب..



بدأت كارين في إتقان عملها بالحديقة الخلفية للكاتدرائية.. وصارت التعليمات والملاحظات التي تتلقاها من إيزابيلا تقل يوماً بعد يوم.. إلى أن صارت تتقن كل شيء تقريباً وزادت حصيلة معلوماتها عن النباتات وأنواعها المختلفة وكيفيه خلق بيئة مناسبة كي تساعد النبات على التكيف والبقاء على قيد الحياة أكبر فترة ممكنة وكالعادة يقف خلف النافذة في الطابق العلوي.. خلف الزجاج الملون الكاردينال ديمتري الذي هبط الدرج وذهب إلى الحديقة يتجول سائراً بين الطرقات الضيقة

التي تحوط أحواض الزرع المختلفة.. وإذا به يلتقي كارين
ويتظاهر بالتفاجئ بوجودها..

ها كارين أنت هنا.. كيف حالك يا عزيزتى..

كارين: أنا بخير سعيدة بوجودي وسط النباتات.. أنه عالمي
الخاص..

الكاردينال: حسناً.. حسناً.. ونحن أيضاً سعداء بوجودك هنا
بيننا.. لدى أخبار طيبة.. سوف يصل الأسبوع القادم وفد الكنيسة
المصرية المشارك في اجتماع مجلس الكنائس العالمي.. وبينهم
القس الذي حدثك عنه من قبل.. فأنى أعرفه جيداً.. إنه انسان
ودود ورقيق للغاية ولن يبخل عليك بأي معلومة يعرفها عن
الحضارة المصرية والشعب المصري.. أليس هذا ما تريدان؟!..
كارين.. فرحة.. أجل هذا ما أتمناه.. كم أنا شغوفة بالنباتات
وكذلك الحضارة الفرعونية.. أريد أن أتعلم كل شيء عنها وعن
أسرارها..

الكاردينال: اعتقد أن القس ميخائيل وهذا اسمه.. يستطيع أن
يساعدك ربما لن يستطيع الإجابة عن كل اسئلتك.. حيث هو

ليس متخصصًا في علم المصريات.. لكنه على الأقل يستطيع أن يدلّك ويضع قدمك على أول الطريق.. من أين تبدأين وكيف تستمرين.. لكن أخبريني.. كيف حال أمك ماتيلدا.. وهل هناك أي أخبار عن يوهانسن.. وأين هي الآن.. لم أعد أراها في الكنيسة كثيرًا..

كارين: أمي بخير.. ولكنها الآن في المنزل.. لدينا ضيفان وأنا تركتها لآتي للعمل هنا.. لا أدري هل غادرا أم لا..

الكاردينال: حسنًا.. أخبريها أنني أريد لقاءها والاستماع إليها لمساعدتها على الخروج من محتتها هذه.. يا بنيتي لهذا وجدت دور العبادة.. لكي نقضي فيها وقتًا كي نتخلص من أحزاننا ونداوي جروحنا.. ونتقرب إلى الرب.. ولهذا أيضًا أنا موجود هنا لمساعدة كل فرد محتاج للرأي والمشورة والتقرب إلى الرب.. ولكن هل تدرين ما بها؟!!

كارين: اعتقد أنها حزينة لغياب والدي والأمل يتجدد لديها أسبوعًا تلو الآخر.. وأنها على يقين من عودته يومًا ما.. الكاردينال: بمشيئة الرب يعود.. هل هذا كل ما يقلقها..

كارين وقد فاض بها الكيل من سليل الاسئلة التي يجب أن تجيب عليها.. هناك أمر آخر، يلح عليها البعض أن تقوم ببيع منزلنا وشراء شقة صغيرة بدلاً منه

الكاردينال: آه.. هذه فكرة رائعة.. لماذا ترهقون أنفسكم في الإهتمام بمنزل خشبي قديم يتعرض للأمطار والثلوج طوال العام تقريبًا نحن يا بنيتي نتقدم في العمر وأجسامنا لم تعد تتحمل العمل الشاق طوال الوقت.. أرى أن هذا اقتراح جيد وعليها أن تأخذ به..

كارين: ولكن لنا في هذا البيت.. لم تكمل حديثها حيث رفع الكاردينال يده بإشارة تعني كفى وسار تجاه باب الكنيسة وقال قبل أن يخنفي.. أخبري أملك أنني أريد لقائها للأهمية..

قام طاهر بإعداد طعام الإفطار مع القهوة الساخنة لعم عبد القدوس وهم بالإنصراف لمباشرة عمله بالبنسيون بعد أن تلقي

بعض النصائح والتعليمات من الشيف عبد القدوس فتح باب الدار وإذا به يجد الخالة فاطمة تقترب من الباب.. وما أن رأت طاهر يخرج.. قالت: الحمد لله إني لحقت بك قبل أن تغادر.. أريدك أنت وعم عبد القدوس في أمر ما.. في جلسة جمعت ثلاثتهم.. بدأت الخالة فاطمة في سرد ما رآته في المنام حيث كانت تثق في رأي وحكمة عبد القدوس وتعرف أنه مفسر جيد للأحلام أما طاهر فأرادت أن تطلعه أنه كان له دور في هذا الحلم.. ظل عبد القدوس في جلسته صامتًا وواضعًا كلتا يديه فوق عصاه الخشبية المسنودة على الأرض وبين قدميه.. ظل صامتًا لفترة.. وإذا به يتوجه بالحديث لطاهر.. اذهب أنت يا ولدي لعملك ودعني أتحدث مع الست فاطمة

بدأ حديثه بعد مغادرة طاهر.. طلب منها أن تصلي على النبي.. الحبيب المصطفى، ظلت فاطمة منتظرة سماع تفسير عبد القدوس لذلك الحلم والقلق والخوف يكادان يقتلانها، وأخيراً أخبرها أنها مقبلة على أيام صعبة للغاية وسوف تكون الخسائر فادحة وسوف تتعرض أسرتها لهزة عنيفة يبقى بعدها

ما يبقى ويرحل من يرحل ولكن هناك بصيص من الأمل من
المنقذ.. أنه طاهر سوف يساهم في إصلاح ما يمكن إصلاحه..
لكن الخراب قادم لا محالة.. الخراب قادم..

ظلت كلمات عبد القدوس.. تتردد في أذن فاطمة إلى
أن بدأت هي نفسها في ترديدها وهي تسير في طرقات البلدة
الصغيرة.. الخراب.. الخراب قادم وهي تضرب بيدها على
صدرها وأنفاسها المتلاحقة يعلو صوتها وهي تلهث بشدة
وتسير على غير هدى غير مدركة إلى أين هي ذاهبة

الخراب قادم.. الويل.. الويل.. ثم تعثرت قدمها في حجرة
في الطريق فسقطت على وجهها.. وغطى الطين والتراب
الأسود وجهها..

ظن بعض الصبية أنها مجنونة أو مجذوبة.. فساروا خلفها
مرددين كلماتها وهم يصفقون ويصرخون بأعلى صوتهم..
الخراب.. الخراب.. الويل الويل، إلى أن دخلت فاطمة دارها..
ولم يعرفها جعفر.. وما أن عبرت باب الدار حتى سقطت مغشياً
عليها وملابسها قد اختلط بها قطرات الدمع مع التراب..

ظلت تهذي بكلمات غير مفهومة لأولادها الذين التفوا حولها..

ثم انتفض الجمع من حولها ما عدا أسماء التي ظلت تربت على شعرها وكتفها وتدللك يداها وتجفف عرق جبينها الذي تصيب مخرجًا ما بداخل جسدها من خوف وهلع في صورة قطرات التعرق..

نادت على زوجها جعفر.. أين أبو عبد الهادي.. يا أبو عبد الهادي

أجابتها أسماء: أن أباهما خرج لمباشرة أعماله.. ردت فاطمة: الخراب.. الخراب..

بدا طاهر منهمكًا في تجهيز وتحضير كل ما يلزم من طعام الغذاء حسب القائمة المكتوبة في دفتر خاص به وكل يوم يعلق ورقة على الحائط ومدون بها كل صنوف الطعام التي ينوي القيام بعملها..

وإذا به يسمع من يلقي عليه تحية الصباح..

علوي: صباح الخير يا شيف طاهر.. كيف أحوالك
طاهر: بخير سيدي.. الحمد لله.. كل شيء تمام وتحت
السيطرة

علوي: كيف كل شيء تمام وأنا في غاية الدهشة طلبت منك
مرتين في الأسبوع الماضي لنقوم برحلة تسوق كي لا تفرغ
بضاعتنا وأنت تظل على الرفض

طاهر مبتسمًا: نعم أ.علوي مازال لدي الكثير من الأطعمة
التي تكفي أسبوعًا آخر وربما تزيد..

علوي: متعجبًا كيف هذا.. لقد ظلت لسنوات أقوم بالتسوق
مرتان أسبوعيًا لسد احتياجات البنسيون وإطعام النزلاء قام
طاهر بفتح الثلاجة والفریزر وخزانات المطبخ شارحًا لعلوي
وبالعدد كم هو كل شيء كافٍ ومتاح.. ولفترة ليست بالقصيرة..
هز علوي رأسه مندهشًا للغاية ومتممًا.. إذن ماذا كان يحدث
طيله السنوات الفائتة.. كيف يكون هذا.. لا بد أن في الأمر لغز
يجب حله ثم أخبر طاهر أنه سوف ينصرف ليباشر أعماله في

البر الغربي حيث عليه اصطحاب فوج سياحي لزيارة البر الغربي وقضاء فترة طويلة معهم.. ربما يراه في الغد إن استطاع..

وما أن خرج أ/ علوي من باب البنسيون حتى ظهرت توحة وهي تتلفت يميناً ويساراً..

سألها طاهر.. لماذا تتلفتين هكذا..

توحة: أبداً.. أصل أ/ علوي لا يحب أن يراني جالسة أو استريح دون عمل.. إما تنظيف أو ترتيب أو المساعدة في المطبخ.. فهي فرصتي الوحيدة الآن كي أتناول فنجان من القهوة وسوف أعد لك فنجاناً معي..

طاهر: لا أنا لا أشرب القهوة.. اعدي واحداً فقط لنفسك..
توحة: لا يمكن أن يحدث هذا.. لا بد أن تتذوق قهوة توحة، قهوة مضبوطة بوجه سميك.. لا يستطيع أحد أن ينافسني في عملها.. وأراهنك أنك من اليوم سوف تحب القهوة.. قهوة توحة.. قهوتي ساحرة..

ضحك طاهر.. لا فعلاً.. أنا لا أشرب القهوة..

ولم تصمت توحه كالعاده.. فلقد خلقت لتحدث.. الشرثرة
هي الوقود الذي ينعش آمالها في الحياة.. هل تذكر يا سي طاهر
ماذا أخبرتك به في المرة الأخيرة.. التي تحدثنا فيها..

طاهر: عم تتحدثين.. أنا لا أتذكر شيئاً

توحه: حسناً.. أنا سوف أنعش ذاكرتك.. عندما أخبرتك
أنك تستطيع أن تجني الكثير من المال وأنك ربما تصبح مالكاً
لمطعم.. بدلاً من العمل كأجير عند الناس..

طاهر: آه.. تذكرت.. كل تلك التخاريف التي كنتِ تتحدثين
بها.. ظننتك تمزحين..

توحه: كلا.. لم تكن مزحة.. إنها حقيقة.. والآن أترك ما
تفعله وتعالى معي..

طاهر: إلى أين.. أنا مشغول للغاية لدي الكثير من الأعمال
التي يجب أن أنهئها..

جذبتته توحه من يده وتوجهت به إلى نافذة جانبية في المطبخ
تطل على منور البناية..

فتحت النافذة وإذا به يرى ماسورة بلاستيكية ضخمة مثبتة أمام النافذة وامتدلية من الطابق الثاني إلى الطابق الأرضي داخل المنور..

توحة: هل فهمت..

طاهر: لالم أفهم.. سوف أصبح غنياً.. وأنا أرى تلك الأنبوبة الضخمة التي تنتهي بأرضية المنور.. كيف هذا..

توحة: الأمر في غاية السهولة واليسر كل ما عليك فعله هو أن تفتح الفريزر وتلقي بيض حبات من الدجاج المجمد داخل هذا الأنبوب الطويل وقطع اللحم والخضروات والمعلبات والفاكهة.. وكل ما تستطيع أن تأخذه دون أن يلحظك أحد.. وسوف أكون أنا في نهاية الأنبوب بجوار الفتحة الأخرى واقفة على أرضية المنور.. أتلقف كل ما سوف تلقيه داخل الأنبوب أضعه في سلة كبيرة ثم أذهب إلى السوق وأبيعه وما أربحه نقسمه بيننا بالتساوي.. قسمة الحق.. عدل ربنا..

وضع طاهر يده على فمه غير مصدق ما يراه ويسمعه.. ثم

قال قسمة الحق؟؟!!.. عدل ربنا؟؟!!

أيتها اللصة.. إنها سرقة.. حرام.. هل تطلين مني أن أسرق
صاحب العمل وأكل من حرام.. هل هذه هي الطريقة التي أصير
بها ثرياً وصاحب مطعم.. لا بد إنك جنت.. ومن صنع لك هذا
الانبوب الضخم.. لا بد أن هناك من يساعدك على ذلك..

توحة: لا تكن أحمق.. هذه طريقة مضمونة ولن يشعر أحد
بما ينقص و أسبوعاً بعد الآخر نصير من الأثرياء..

ضع يدك في يدي ودعنا نتعاون سوياً.. كلانا يحتاج للمال..
إذا بقينا على حالنا هذا لسوف نظل نعمل طيلة حياتنا ولن ندخر
شيئاً.. اسمع لي..

طاهر: اسمع لك.. أنا لا أريد أن أكون ثرياً ولا آكل من حرام
ولا اشترك في جرائم أو سرقة.. أنتِ شيطانة في صورة إنسانة..
نعم أنتِ الشيطان نفسه.. كل هذا يحدث وأ/ علوي لا يدري..
آه الآن فهمت ما سر تعجبه أننا لا نقوم بالتسوق لمدة اسبوعين..
حيث اعتاد على التسوق مرتان في الأسبوع لتقومي أنتِ بسرقة
كل هذه البضائع، لا بد أن معكي شريك.. من هو؟ من؟؟!!

تغير لون وجه توحه وتظاهرت أنها كانت فقط تمزح معه
وتسلي وقتها وطلبت منه أن ينسى ما رآه وما سمعه وكأن شيئاً
لم يكن قالت توحه ذلك بعد أن سمعت من طاهر.. أنه لا بد من
إبلاغ صاحب العمل وإبلاغ الشرطة

غادرت توحه المطبخ غاضبة.. وصار طاهر يعد الساعات
حتى ينتهي اليوم ويعود ليحكي لعم عبد القدوس ما دار بينه
وبين توحه.. ويستشيرها فيما ينبغي عليه فعله..

في ساعة متأخرة من الليل غادر طاهر البنسيون وسار على
أقدامه في طرقات البلدة متوجهاً إلى بيت عبد القدوس.. رغم
أنه كان يتسوى الذهاب لبيت عمه جعفر للإطمئنان على الخالة
فاطمة بعد ذلك الكابوس الفظيع الذي روته صباح هذا اليوم
المليء بالأحداث.. وأثناء سيره مر أمام المستشفى.. فإذا به
يسمع صوتاً في الظلام يناديه.. صوت بعيد.. تلفت حوله فرأى
داخل البوابة الخارجية للمستشفى وأمام مدخل المستشفى..
يقف د/ عدلي.. كان يدخل سيجارة أو اثنين فقد اعتاد أن يخرج

في الهواء الطلق خارج المستشفى يدخن سجارته مراعاة لعدم
تلوث هواء المستشفى من الداخل..

فرح طاهر بعد أن شاهد د/ عدلي.. رحب به عدلي بشدة
وذكر له أن علوي شقيقه سعيد بعمله أيما سعادة..

كان الوجود بادياً على وجه طاهر.. والتلثم في الكلام مما
أثار فضول د/ عدلي

أطفاً سيجارته واصطحب طاهر إلى كافيتريا المستشفى
يشربان الشاي سوياً، وبدأ طاهر يسرد لـ د/ عدلي ما حدث
من توحة وكل ما قالته وما فعلته بالتحديد.. وما رآه عبر نافذة
المطبخ المظلة على المنور..

اندهش عدلي للغاية وظهرت آثار الغضب واضحة عليه..
وقال: الآن أستطيع أن أجد إجابة لأمر كثيرة.. لا بد لي من
مقابلة علوي وإطلاعه على كل هذا.. إنها توحة وزكريا.. ولمدة
سنوات علوي لا يدري..

شعر طاهر ببعض الراحة الداخلية وأن ضميره بدأ يهدأ قليلاً
إلى أن يتقابل مع أ/ علوي ويطلعه على كل شيء..

وبينما هو يسير في الطرقات المظلمة بعد أن حيا د/ عدلي
وغادر المستشفى ظهر أمامه ثلاثة من الرجال يحملون
الهروات ..

انهالوا عليه بالضرب .. حاول أن يتحمل ويقاوم ضرباتهم
ويبادلهم الضرب وهو يتساءل بصوت عالٍ .. لماذا تضربوني ..
من انتم؟ .. ماذا فعلت لاستحق عليه كل هذا ..

و قبل أن يسقط مغشياً عليه .. لمح ابن عمه بكري يقف على
مبعدة مع بعض أصحابه .. والغريب أن بكري لم يتدخل للدفاع
عنه .. إلى أن استغاث طاهر به أن يساعده .. لكن بكري لم يحرك
ساقناً ..

سأل أحد أصدقاء بكري .. أليس هذا ابن عمك .. طاهر ..
لما لا نذهب وندافع عنه .. هؤلاء الرجال ربما يقتلوه ..
بكري: دعهم يقتلوه .. نعم هو ابن عمي .. لكنني لا أحبه فلقد
استحوذ على حب أمي .. حتى صارت تحبه أكثر مني .. دعه
يدافع عن نفسه .. هيا بنا نذهب إلى حال سبيلنا ..

توقف الضرب مع آخر صرخة من طاهر وقد سقط على الأرض جثة هامدة بلا حراك..

لم يكن د/ عدلي يتخيل بعد مرور ساعتان تقريبًا على لقاءه بطاهر في المستشفى وإحتساء الشاي سويًا.. أنه سيراه مرة أخرى ولكن هذه المرة ليس سيرًا على الأقدام.. بل محمولًا على نقاله داخل عربة الإسعاف.. الدماء تسيل من أماكن متفرقة من جسده وقيل له أنهم وجدوه ملقى في الطريق ويبدو عليه آثار ضرب مبرح.. من فعل هذا وأين ولماذا!!؟

أسئلة.. أسئلة.. وكالعادة بلا إجابات.. يبدو أن الحياة تتكون من مجموعة ألغاز.. ومن حالفه الحظ في حياته.. وجد بعض الإجابات لعشرات وأحيانًا مئات الأسئلة والأمور الغامضة التي لا نفهمها في حينها.. والتعيس من عاش حياته بلا إدراك ولا فهم لماهية الأشياء ولم يصل إلى إجابات حقيقية.. ومنطقية.. هل مات طاهر.. سار عدلي بجوار النقالة التي يدفعها بسرعة شديدة رجال الإسعافات.. أمسك بساعده واطمئن أنه مازال به نبض هل قارب على النهاية.. إنه شاب طيب والجميع يحبه..

ترى في عيناه براءة كأنه طفل رضيع وفي ضحكته تشعر وأن
العالم قد تخلص من مشاكله وفي إخلاصه تتذوق طعم الأمان
أو كما قال من سبقونا الدنيا لسه بخير

هذا كان طاهر الطاهر البرئ الذي لا يستحق أن يتعرض لأي
إيذاء لأنه لا يقدم على إيذاء أي شخص.. كاد عقل د/ عدلي أن
يفارق رأسه..

مضت الليل ل الة صعبة وطويلة.. استطاع فيها الأطباء
السيطرة على حالة طاهر وحددوا ما به.. نزيف في منطقة البطن
وكسر في ضلع من ضلوع القفص الصدري مع كثير من الجروح
القطعية في الجسد وجرح في الرأس وفوق الحاجب الأيسر
وما أن دقت الساعة الثامنة صباحًا.. والتي تنتهي معها وردية
د/ عدلي وله أن يعود إلى بيته ليخلد إلى النوم.. لكنه لم يستطع
فعل ذلك..

ما سمعه من طاهر قبل وقت قليل من تعرضه لحادثة الضرب
والإيذاء التي كادت أن تودي بحياته..

ما عرضته عليه توحة اللعينة من مشاركته في سرقة مخزون
البنسيون من الطعام والمؤن .. ويبدو أنها اعتادت على فعل
ذلك بمساعدة شخص آخر قبل قدوم طاهر للعمل في المكان ..
وأخيه علوي لا يدري ماذا يحدث ..

وهذا يفسر لماذا كان علوي يتعجب من رفض طاهر الذهاب
للتسوق حيث أن الطعام كان مازال كافيًا .. أمانته كشفت سرقة
وتبديد من قبله ومن كان قبله .. أنه الشيف زكريا .. نعم .. غير د/
عدلي وجهته ولم يذهب لبيته لينام .. بل توجه إلى أخيه علوي
وأيقظه .. وقص عليه كل ما حدث في تلك الليلة البائسة وهما
يحتسيان القهوة الساخنة ..



عادت كارين إلى البيت .. لتخبر أمها ماتيلدا بما دار بينها
وبين الكاردينال ديتمري .. وبأنه يرغب أن يراها ويطمئن عليها
ويرشدها إلى الطريق الصحيح ويقيم من أجلها الصلاة ويوقد

لها شمعة.. أجابتها الأم إنها سوف تذهب في الصباح الباكر..
للحديث معه والصلاة لعلها تهتدي إلى القرار الصحيح.. رغم
أنها اتخذت قرارها بالفعل بالكف والبعد عن هذا الهراء.. بيع
المنزل وأنها لا تقيم لكلام فيكتور ولا لصديقه العامل بشركة
التسويق العقاري أي وزن..

دخلت كارين حجرتها ولديها مشاعر كثيرة متضاربة ما بين
القلق والفرح والحزن كانت فرحة لسماها خبر قرب قدوم
راعي الكنيسة المصرية.. وأيضاً لثبات وتماسك أمها ماتيلدا
أمام هجمات وضغوط هذا الفيكتور والذي أراد أن يعزز من
أدوات الضغط ويستعين بمن هو مسئول أو يعمل بالمجال
العقاري وكأنه الناصح الأمين.. لا بد أن في الأمر سرًا ما..
سوف تكشف عنه حتمًا الأيام القادمة..

فتحت صندوقها الخشبي وأخرجت دفتر مذكراتها وفتحته
لتظهر أمامها الريشة الحمراء.. أمسكت بها ومررتها على
وجنتها في بطيء ورقة وحنان مع إبتسامة وعيناها مغمضتان.. ثم
وضعت الريشة على شفتاها وقبلتها في هدوء شديد.. وبدأت

تتحدث إليها وقصت عليها كل ما حدث وما يدور بداخلها..
ولاحظت أنه منذ قدوم الريشة الحمراء لحياتها بعد هبوطها من
السماء.. لم تعد تكتب مذكراتها كما كانت تفعل في السابق..
بل صارت تحكي كل ما يدور معها وحولها لرفيقتها الجديدة..
الريشة الحمراء..

شعرت كارين بالرغبة للخروج إلى حديقة المنزل الصغيرة
الأمامية بعد أن انتابها بعض الشعور بالذنب حيث لم تستطع
الإعتناء بنباتاتها منذ أن تولت مهمة الإعتناء بحديقة الكنيسة
الخلفية..

صارت تتنقل كالفراشة بين النباتات.. تلقي عليهم التحية
وتحدثهم بهمس وصوت ناعم وأحياناً تطلق صفيراً متقطعاً أو
طويلاً.. وتشعر كأن أوراق النباتات تحركت وتحولت تجاه
الصوت الصادر منه الصفيير المتقطع والطويل المتصل..

ولم تدرك كم مضى من الوقت وهي تغني بعض أغاني
الحب.. وكأن النباتات هي حبيبها الذي أوحشها وحضرت
للقائه والتمتع برؤياه..

ارتدت قفازاً سميكاً مخصصاً لأعمال الحدائق وانهمكت في نقل بعض النباتات التي بدأت جذورها في النمو إلى قنينة زرع أكبر أو زرعها في الأرض مباشرة ثم قامت بتنظيف أوراق النباتات وأحضرت قارورة المياه الضخمة ذات الرشاش ووضعت بعض قطرات من زجاجة بها محلول مغذي للتربة في المياه وبدأت ترش المياه برفق على جذور النباتات وهي تتراقص وتتمايل مع أغانيها وهازيجها الرقيقة وفجأة وهي تلتفت .. لمحت فيكتور وصاحبه وهما يقفان على الجانب الآخر من الطريق ويشيران ناحية منزلها..

في الصباح.. وخلال الجلسة التي جمعت ماتيلدا والكاردينال ديمتري والذي بدأ حديثه معاتباً إياها أنها لا تحضر للكنيسة سوى يوم الأحد فقط ولا تأتي للاعتراف.. وأخبرها أنه متواجد هنا في هذا المكان لخدمتها وخدمة أبناء الرب جميعهم..

شعرت ماتيلدا ببعض الذنب وبدأت تفك قيود لسانها وتبوح
وتعترف للأب ديمتري بما يدور في خلدتها.. وأحزانها بسبب
غياب يوهانسن رغم تجدد الأمل داخلها أسبوعاً تلو الآخر..

وأخيراً ما تقابله من إلحاح وضغوط جارهم فيكتور ورغبته
في بيع منزلها ونقلها هي وابتتها إلى شقة في بناية ضخمة
وحديثة على حد قوله.. وإذا بالأب ديمتري يجيئها بعد أن
فرغت من حديثها.. أو اعترافها موضعاً تفهمه لإخلاصها
لزوجها يوهانسن رغم غيابه أو اختفائه طيلة السنين الفائتة..
وأنه لشيء جيد أن يكون الإنسان مخلصاً للآخرين لكن على
الجانب الآخر.. الحياة لا بد أن تستمر ولن تتوقف بغياب أي
إنسان إلا كان من باب أولى أن تتوقف بموت أو غياب الأنبياء
والقديسين والمصلحين وأصحاب الرأي والكلمة والقادة أو
من يسهرون على راحة الناس..

بدأ على وجه ماتيلدا أنها متأثرة من كلام الكاردينال لكن في
قرارة نفسها هي غير مقتنعة بما قاله أو يحاول إقناعها به.. هي
سعيدة بما تفعله ولن تتغير..

ثم نظر الأب ديمتري إليها وتظاهر بأنه يتحدث بلا اكتراث..
أما مسألة بيع البيت والانتقال للعيش بشقة صغيرة.. القرار أكيد
لك.. لكنني أرى وأنتي تعلمين أنني لكي ناصح أمين ولا أريد
إلا الخير لك.. أرى أنه من الأفضل والأسهل لك ولابتك
أن تتقلي للعيش في شقة وربما تجني بعض الأرباح من بيع
المنزل، آه.. بالمناسبة من يساعدك في إتمام البيع؟

ماتيلدا: إنه جارنا فيكتور.. لا أدري إن كنت تعرفه؟

الكاردينال: لا أظن أنني أعرفه.. لكنني أرى أنه لا مانع من
إعطائه الفرصة لمد يد العون لك.. نحن هنا نحيا سويًا لنعين
بعضنا البعض ونقدم كل عون ومساعدة لمن يحتاجها.. ويبدو
من كلامك أن فيكتور هذا رجل طيب وجار صالح.. فلا مانع من
المضي قدمًا في بيع المنزل.. سوف أبارك لك تلك البيعة وكلما
أسرعت في فعل هذا حلت بركة الرب عليكٍ أسرع وأكثر..

وسوف انتظرك اسبوعيًا لتأتي للاعتراف وسوف أخصص
وقتًا لكٍ مثلما أفعل مع باقي مرتادي الكنيسة من أبناءنا وأخواتنا..

انصرفت ماتيلدا بعد أن شكرت الكاردينال الذي ظل يدعو لها بالبركة والرأي السديد.. وهي متعجبة.. ما دخل الكنيسة.. وما دورها في أمور البيع والشراء.. ربما هي ليست من أهل الدين وغير مطلعة.. لكنها فقط تتساءل!؟!



استمرت الجلسة بين الشقيقتين علوي وعدلي لمدة ساعات ناقشا فيها الأمر من كل الجوانب وهما بين الحين والآخر يظهر عليهما علامات التعجب والحنقة.. وهما يتذكرا بعض المواقف التي كانت تمر بسلام وحسن نية منهما.. لكنها كانت مؤشراً على سرقات كانت تحدث من قبل زكريا وبمساعدة تحية أو توحه

ولم يتوقف الحديث بينهما إلا بعد شعور عدلي بالتعب الشديد وظل يتثاءب بكثرة وآخر جملة قالها قبل أن يدخل حجرة نوم علوي لأخذ قسطاً من الراحة ويخلد للنوم آه.. إدارة

المستشفى أبلغت الشرطة.. وهذا بالطبع الإجراء المتبع عند وصول حالة مثل حالة طاهر.. تعرض لضرب شديد كاد يؤدي بحياته.. فهذا في القانون يسمى ضرب يفضي إلى الموت.. أو شروع في القتل..

لذا أردت أن أخبرك يا علوي أن الشرطة تدخلت الآن وسوف تقوم بعمل التحقيقات وهم ينتظرون إفاقة طاهر وقدرته على الحديث للتعرف منه على ما حدث وأخذ أقواله..

استسلم عدلي لنوم عميق.. بينما توجه علوي إلى مديرية أمن أسوان وتوجه إلى مكتب رئيس المباحث الذي كان يعرفه بشكل شخصي حيث جرت العادة أن أغلب ضباط الشرطة يعرفون المرشدين السياحيين لضرورة التنسيق بينهم لتأمين حركة الأفواج السياحية.. استمع العقيد حسام أبو المكارم لحديث علوي وكان يدون بعض البيانات والمعلومات ثم أخبره أن لا يتحدث في هذا الأمر مع أحد ولا يبلغ أحداً أنه اكتشف من كان يسرق أو إنه وصلت إليه أي معلومات.. حتى أنه عليه أن يخفي علمه بتعرض طاهر للضرب ومكوثه بالمستشفى.. بل عليه أن

يتظاهر بالضيق من غياب طاهر عن العمل لذلك فقد اتخذ قراراً بإعادة الشيف السابق للعمل.. إعادة الشيف زكريا وأن يترك الباقي على الشرطة..

قامت الشرطة بمعاينة البنسيون في فترة غياب توحه عن المكان وإنشغالها بقضاء بعض الطلبات لنزلاء البنسيون وقاموا بتركيب كاميرات مراقبه سرية في المطبخ والصالة الرئيسية للبنسيون..

دخل الشيف زكريا من باب البنسيون دخول الفاتحين المنتصرين ووجه كلامه إلى أ/ علوي: الآن عرفت قيمة الشيف زكريا.. لماذا طردتني من العمل في السابق.. عرفت الآن أنني كنت مظلوماً وأنني أصلح رجل لتولي مهمة الطاهي والشيف هنا.. وما جرح كرامتي وحطم كبريائي أنك تستقدم صبي صغير ليس لديه أي خبرة ليحل محلي أنا.. أنا الشيف زكريا.. الذي قضيت في هذا المكان سنوات وسنوات منذ أيام إدارة المرحوم أبوك الاستاذ / غبريال كرم الله روحه..

وظهرت علامات التأثر على وجهه وكان مشرفاً على البكاء
ومن خلفه تقف توحة التي أيدت كل كلمة قالها..

توحة: آه والله يا استاذ علوي.. لن تجد مثل الشيف زكريا..
أدب وأخلاق وإخلاص وأمانة.. تفاني في العمل وممكن
الإعتماد عليه في أي شيء.. أنا مش عارفة ازاي شغلت هذا
الصبي لتحمل مسئولية البنسيون وإطعام عشرات من النزلاء
ومن بينهم أجنب.. يا قلبك يا أستاذ علوي.. أنت كدة فعلت
الصح الذي يجب أن تفعله من قبل

علوي: خلاص يا جماعة نحن الآن ولاد النهاردة.. دعونا
نبدأ العمل أمامك الكثير يا شيف زكريا.. يالا ورينا الهمة.

دخل زكريا إلى المطبخ قبل أن يبدل ملابسه ويرتدى ملابس
العمل.. ثم خرج بعد دقائق قائلاً.. ايه دة يا أستاذ علوي..
المطبخ شبه فارغ.. الثلاجة.. الفريزر.. الخزانات، لا يوجد مؤن
تكفي ليومان.. لا بد من الذهاب للتسوق فنحن نحتاج الكثير من
الأغراض..

علوي: دعنا نذهب الآن حيث أنا مشغول للغاية في الغد وربما أغيب عنكم اليوم بطوله فلدي ثلاثة أفواج سياحية يجب أن أعتني بهم وأقضي معهم اليوم بأكمله..

ذهبا كلا من زكريا وعلوي.. لشراء ما يحتاجه البنسيون حسب تعليمات الشيف زكريا.. وبعدها توجه أ/ علوي لمقابلة العقيد حسام أبو المكارم في أحد المقاهي العامة بناء على ميعاد مسبق تم ترتيبه بينهما أطلع أ/ علوي العقيد حسام على كل ما دار مع زكريا وتوحيه وأنه قام بتنفيذ وعمل ما طلب منه وقام بالتسوق مع زكريا واشترى بضائع بمبالغ كبيرة.. ثم توجه بسؤال إلى رئيس المباحث.. لماذا كل هذا.. أعيد زكريا للعمل واذهب اشترى معه بضائع للبنسيون والآن هو وحده مع توحه في البنسيون.. إذا كانت الشرطة تعلم أنه لص.. سارق.. حرامي.. وتوحه مشتركة معه في السرقة.. فلماذا لا تقبض الشرطة عليهما.. وينتهي الأمر.. فأنا متأكد من كل كلمة ذكرتها وأنه سارق وهو الذي قام مع بعض أعوانه بضرب طاهر.. أكيد لإخافته وإرهابه وإبعاده عن المكان أو التخلص منه بعد أن رفض إغراءات توحه ورفضه

عرضها في أن يصبح ثرياً.. ويشترك معها في السرقة واستمرار مسلسل الشباك والأنبوب المتصل بالمنور.. كيف فكر هؤلاء الشياطين في هذه الفكرة اللعينة.. ثم ضرب كفاً على كف ابتسم العقيد حسام وهو يجيب أ/ علوي.. أحياناً لا بد أن تكون هناك جريمة مكتملة كي تكون الإعترافات سهلة ودون إنكار.. بمعنى آخر إقامة الحجة على زكريا وتوحيه.. والقبض عليهما وهما يرتكبان الجريمة.. هذا يسهل مهمتنا كثيراً ولن يجد أي محامي أي ثغرة في القانون ليرثهما في ساحة المحكمة.. تدرّبنا على هذا عبر السنين.. نحن نعرف الأعيب هؤلاء القوم.. لا تقلق أنها مجرد أيام قليلة وينتهي كل شيء..

صال زكريا وجال في البضائع التي اشتراها أ/ علوي فكان من كل صنف يضع قطعة في خزانة المطبخ ويلقى بثلاث أو أربع قطع عبر النافذة وعبر الأنبوب البلاستيكي الموصول لأرضية المنور الذي تقف فيه توحه وتضع كل تلك البضائع في صندوق كبير وفي آخر الليل عندما يغادر زكريا العمل يتوجه إلى المنور ويحكم إغلاق الصندوق ويحمله في سيارة أجرة

ليقوم ببيع محتويات ما فيه والحصول على المال والذي بدوره لا يستقر في جيبه كثيرًا.. فيتوجه إلى الحانه المواجهة لمحطة القطار فيشرب الخمر.. ويلعب البوكر ويخسر مبلغ كبير قبل أن يعود أدراجه إلى حجرة فوق سطح إحدى البنايات في وسط المدينة..

سار زكريا عبر الطرقات إلى منزله.. يتحسس وجهه بيده حيث كانت بعض الدماء تسيل من أنفه والجانب الأيسر من فمه.. أثر مشاجرة حدثت بينه وبين أحد المرتادين الدائمين على البار والملازم دائمًا للعب القمار..

حيث اعتاد أن يقرض زكريا الأموال ليكمل اللعب بعد نفاذ نقوده اثر خسارتها بالكامل.. نظير تحرير شيكات بنكية.. وفي تلك الليلة طلب زكريا اقتراض مبلغ لمواصلة اللعب بعد أن خسر جميع أمواله ولكنه فوجئ برفض الرجل إقراضه أي مبلغ قبل أن يسدد كل المبالغ المنصرمه التي اقترضها اياه ولم يسدد منها شيئاً.. ثم أمهله اسبوعاً إن لم يسدد فسوف يتوجه بالشيكات للبنك وبعد أن يضع البنك تأشيرته يرفض صرف الشيكات نظراً

لعدم وجود رصيد يكفي.. يتوجه بها إلى النيابة ويحرر محاضر ضده.. إصدار شيكات بدون رصيد..

دخل زكريا حجرته وهو يصب لعناته على طاهر الذي كان السبب في عدم حصوله على الاموال طيلة الأيام الطويلة الماضية.. وختم كلامه بالدعاء عليه قائلاً: يارب تطلع روحه ويموت ويريحنا.

في الصباح تلقى أ/ علوي مكالمة من العقيد حسام يطلب منه حضوره لمكتبه.. لبي علوي النداء وخرج ولكنه قبل أن يتوجه لمكتب رئيس المباحث.. مر على المستشفى وتقابل مع اخيه د/ عدلي وطلب أن يزور طاهر ويطمئن عليه..

كان طاهر مازال في حالة حرجة.. بعد أن تمت الإسعافات المطلوبه.. فهو لا يزال تحت تأثير مسكنات قوية.. لا يدري ما يحدث حوله.. فهو نائم طوال الوقت..

دخل علوي غرفة طاهر.. وامسك بيده وهو نائم..

لا تقلق يا طاهر.. لن اترك حقك يضيع سدي.. أمانتك
وإخلاصك في العمل تشهد لك أنك انسان فريد من نوعه..
والان فهمت أمور كثيرة لم اكن لاستوعبها لولا ظهورك للعمل
في البنسيون وكأن الله وضعك في طريق زكريا وتوحة..
لتكشفهما وتكشف ألعبيهما وتجب على تساؤلات كثيرة..
طالما دارت في رأسي بلا إجابته.. أنت ساعدتني كثيرًا على فك
تلك الطلاسم والالغاز.. لكنك أيها الشاب الصغير.. دفعت
ثمنًا باهظًا دون أن تقترف أي ذنب.. لذا وجب علينا أن نرد لك
اعتبارك.. تماسك.. وتمسك بالحياة.. فلديك مستقبل رائع..

أدار العقيد حسام جهازًا مسجل عليه مقاطع فيديو قاموا
بتفريغها من الكاميرات المثبتة في البنسيون ..
وجلس العقيد حسام وأ/ علوي وبعض أفراد المباحث
يشاهدون بالصوت والصورة ما فعله زكريا وتوحة وسرقة
ثلاثة أرباع مخزون ومؤن الطعام التي اشتراها علوي بمصاحبة
زكريا..

قال بعدها العقيد حسام: هل فهمت الآن يا استاذ علوي لماذا لم نقبض عليه من قبل.. تفرق كثيراً أن نقدمه للمحاكمة بمصاحبة تلك المقاطع المصورة والتي تم استئذان النيابة العامة في هذا الإجراء..

والآن نحن جاهزون للخطوة التالية..

علوي: الخطوة التالية!.. وما هي!؟

العقيد حسام: في المساء نعد كميناً للقبض على زكريا وتوحة..

كل ما أطلبه منك أن تتعامل معهما بشكل طبيعي.. داخل البنسيون.. إلى أن يحل المساء والباقي متروك لنا.. اطمئن كل شيء يسير حسب خطة موضوعة وأنا ورجالي ننفذها بعناية والسيد مدير الأمن شخصياً يتابع معي التطورات أولاً بأول..

بدأ علوي يشعر ببعض الإرتياح وأنه قد حان الوقت ليتخلص من هؤلاء اللصوص لكنه يريد أن ينتقم لطاهر.. وأن يرد له حقه الذي سلب منه..

كان زكريا يمارس عمله وهو متعب للغاية من أثر تلاعب الخمر برأسه وأيضاً الشجار الذي دار بينه وبين ذلك الرجل الذي رفض إقراضه المال وأيضاً هدده بإتخاذ الإجراءات القانونية ضده إن لم يسدد قيمة الشيكات في غضون سبعة أيام ولولا تدخل البارمان مرجان زوج توحة.. لربما تطور الموقف بشكل أكبر أو لربما حدثت جريمة بمقتل أحدهما.. فحينما تتلاعب الخمر بالرؤوس وتتمكن من مراكز التحكم العصبي.. لا يستطيع الانسان السيطرة على انفعالاته ويصير غير مدرك لما يقدم عليه.. وهنا الكارثة.. لا بد أن يشكر مرجان البارمان.. الليلة عندما يذهب إلى البار لكنه لا يملك نقوداً.. إذن لا بد من التصرف في بعض المؤن من مطبخ البنسيون..

زكريا: توحة.. بت يا توحة.. ايه رأيك.. أنا مفلس وأحتاج للمال.. هلا ساعدتيني.. اهبطي الدرج وتوجهي للمنور وانتظري ما ألقيه لك عبر الأنبوب وضعيه في الكرتونة.. هبطت توحة وهي لا تدري ولا زكريا أيضاً أنهما مراقبان وأن هناك رجالاً يشاهدون ما يفعلانه دقيقة بدقيقة..

وحينما حل المساء.. باع زكريا المسروقات وأعطى ثلث المبلغ لتوحة وأخذ الثلثان لنفسه وكان هكذا الاتفاق بينهما منذ أن بدءا في سرقة البنسيون..

انطلق زكريا وفي جيبه أموالاً كثيرة.. متوجهاً إلى البار وهو منتشي لشعوره أن الحظ سوف يحالفه الليلة ويكسب في اللعب ويسدد قيمة الشيكات لذلك الرجل الدائن له..

كان رجال المباحث يتابعون تحركاته.. وصدرت لهم الأوامر أن يتركوه يدخل إلى البار ثم يتبعوه و بمجرد أن يذهب إلى بيته يتم القبض عليه هناك ليستطيع رجال المباحث تفتيش منزله أو الحجرة التي يسكن فيها فوق سطح بناية ضخمة..

وليلة الثانية على التوالي، يتدخل مرجان لإنقاذ زكريا من علقه ساخنة كاد أن يتعرض لها ويتم ضربه بعد أن هدده الرجل الدائن أن المهلة الآن ستة أيام قبل اتخاذ الاجراءات حيال الشيكات.. وبالطبع أنفق زكريا النقود بين شرب الخمر ولعب القمار الذي خسر بسببه كل الأموال التي حصل عليها بعد بيع المسروقات..

حاول مرجان حمايته قدر الإستطاعة وإيصاله إلى خارج الحانه وتركه ليذهب إلى البيت.. والذي كان محاط برجال المباحث في انتظار دخوله البيت وما أن اقترب من الباب ووضع المفتاح ودفع الباب ليدخل وجد خلفه أربعة من رجال المباحث يدفعونه داخل الحجرة ومن وراءهم دخل العقيد حسام أبو المكارم.. ليسمع زكريا الجملة الشهيرة.. سلم نفسك يا زكريا

وإذا بالجميع تعلق وجوههم الدهشة مما شاهدوه.. إنها توحة بملابس نوم خليعة

توحة مستلقية على السرير بملابس قصيرة وشفافة للغاية.. وعلى الطاولة يوجد أفخم أنواع الاطعمة من نفس نوع الاطعمة التي يقدمها البنسيون لنزلاءه..

المفاجأة كانت مدوية للجميع.. للعقيد حسام أن يشاهد توحة على سرير حجرة زكريا بملابس لا ترتديها إلا الزوجة لزوجها..

وعلى الجانب الاخر كانت المفأجاة أن شاهدت توحة زكريا يدخل من الباب وخلفه أربعة من الرجال وآخر وهو العقيد حسام فزعت وقفزت من مكانها وسحبت غطاء نوم من على السرير بجوارها ووضعته ولفته حول جسدها الشبه عاري.. وهي تتساءل.. من هؤلاء يا زكريا.. ماذا يحدث؟ وزكريا لا يجيب وهو محاط برجلين.. رجل من كل جانب يقبض على ذراعه بقوة.. دخل العقيد حسام وأمر بقية الرجال بتفتيش الحجره.. حاولت أثناءها توحة.. أن ترتدي ملابسها.. لكن العقيد حسام أمرها ألا تتحرك وتظل هكذا ملتفة بملاءة السرير.. قائلاً بإبتسامة المنتصر.. لا خليكى هكذا على هيئتك هذه.. ثم نظر إلى زكريا قائلاً ودي كمان قضية أخرى يا عم زكريا.. قضية زنا..

فزع زكريا وانتفض بجسده النحيل وما زالت آثار الخمر تبدو عليه.. لا يا باشا زنا ايه !! هو حضرتك فهمت ايه !! دي مراتي.. زوجتي يعني.. ممكن أفتح هذا الدرج في تلك الخزانة وأشار إلى خزانة أمامه.. سمح له العقيد بفتح الدرج فتحه وبعثر

محتوياته بعصبية شديدة وبعد لحظات أمسك بورقة فقدمها
زكريا للعقيد قائلاً: هذه هي ورقة الزواج العرفي دي مراتي يا
باشا زنا ايه أنا بتاع زنا برضه..

فتح العقيد الورقة وقرأها ثم توجه بسؤاله إلى توحة التي
مازالت ملتفة بملاءة السرير وهي تبكي بشدة: هل هذا صحيح
يا توحة هل انت زوجته؟! هل هذه الورقة صحيحة؟!

أومأت توحة برأسها أي نعم وكأنها تعلم تفصيلاً.. ماهو
السؤال القادم.. كيف هذا يا توحة.. جميل جداً.. ودي كمان
قضية جديدة..

توحة: قضية ايه يا باشا أنا لم أفعل شيئاً

العقيد: مش عارفة قضية ايه.. قضية الجمع بين زوجين.. ألا
تعلمي أنه لا يحق لك الزواج من رجلين في آن واحد..
هنا.. هب زكريا وقفز تجاه توحة بعد أن تخلص من قبضة
رجال المباحث وجذب توحة من ذراعها بقوة.. ما هذا يا
توحة.. هل هذا صحيح.. ألم تخبريني أن مرجان طلقك..

العقيد: لا يا زكريا أنها مازالت زوجة لمرجان وتقضي وقتاً طويلاً في بيته..

زكريا: آه لذلك كنت تقضين الليل عنده.. عند البارمان مرجان وتخبريني أنك تقضين الليل بجوار أمك المريضة.. آه كم أنا مغفل، أستحق كل ما يحدث لي.. أنا سوف اعترف بكل شيء يا باشا.. وليحدث ما يحدث ويكن ما يكون..

توحة وهي تصرخ: وقد أصيبت بحالة من الهياج.. لا يا زكريا اصمت اسكت واغلق فمك، كل شيء سوف يتحسن ويصبح في أحسن حال..

في قسم الشرطة.. أدار العقيد حسام شاشة العرض المتصلة بتسجيلات كاميرات المراقبة في البنسيون.. شاهد زكريا وشاهدت توحة.. كل ما تم تسجيله من سرقة لمحتويات مطبخ البنسيون.. وبالطبع لم يستطيعا الإنكار.. واعترفا بكل شيء.. في هذه الأثناء أرسل العقيد حسام في طلب مرجان للحضور لقسم الشرطة ليشهد بنفسه المواجهة بينه وبين توحة زوجته.

كان مرجان في حالة من الذهول الذي تحول إلى غضب عارم.. عندما علم أن زوجته متزوجة عرفياً من رجلاً آخر غيره وتبيت في بيته وقت عمل مرجان طوال الليل في الحانة.. لماذا يا توحة.. هل استحق منك هذا الخيانة.. الخيانه يا توحة لي أنا.. أنا فعلت لأجلك كل شيء وتنازلت عن كل شيء.. لأجل من؟؟ هذا السكير.. النصاب زكريا.. وأنا المغفل أذافع عنه كل ليلة وأحميه من بطش الدائنين بيدي هذه أبعد عنه كل من أراد البطش به، أحمي عشيق زوجتي.. أهكذا ينتهي بي الحال.. ثم أجهش بالبكاء وهذه هي المرة الأولى التي تشاهد فيها تحية زوجها مرجان يبكي.. دائماً تراه الصامد القوي المتماسك.. الحمول..

العقيد حسام: الآن يا زكريا وتحية.. نحن أمام عدة قضايا.. سرقة.. وشيكات بدون رصيد.. لك يا زكريا.. أما أنت يا تحية.. الجمع بين زوجين والسرقة..

ثم واجه العقيد حسام زكريا بواقعة ضرب طاهر الذي كاد أن يموت و أمام ضغوط رئيس المباحث.. اعترف زكريا أنه من

قام بضرب طاهر للتخلص منه بعد أن أبلغته توحة أنه لا يريد التعاون معها في تهريب المؤن من مطبخ البنسيون إلى المنور.. ثم أرشد عن أسماء رجالان ساعدها في ضرب طاهر في تلك الليلة..

العقيد حسام: هنا اضيفت لرصيدك من التهم والجرائم .. تهمة جديدة.. الضرب أو الشروع في القتل.. في هذه الاثناء كان أ/ علوي ود/ عدلي يشاهدان ما يحدث عبر نافذة معتمة في حجرة مجاورة لحجرة التحقيقات.. جعلهما العقيد حسام يجلسان فيها وأتاح لهم فرصة متابعة اعترافات زكريا وتوحة وعدم قدرتهما على الإنكار بعدما شاهدنا التسجيلات.

امتلات حجرة طاهر من الزائرين.. توافد عليه أصحابه في المدرسة والمدرسين.. حيث كان دائماً طاهر محبوباً بينهم.. ولم يتركه أ/ علوي.. فكان يزوره يومياً ويحرص على تقديم الزهور له في حجرته يومياً..

وكذلك الخالة فاطمة.. التي أوجعها قلبها عند سماع خبر تعرض طاهر للضرب ولم تقل إلا كلمة واحدة.. من يضرب هذا الطاهر.. طاهر..

وكانت أسماء تلتصق بأمها في كل مرة تذهب لزيارة طاهر.. وتأخذ معها بعض الحلوى لتقدمها له..

وعم عبد القدوس.. الذي صمم على ملازمة طاهر في المستشفى لكن الجميع أقنعه أنه ليس هناك حاجة لذلك.. فسوف يصبح طاهر بخير ويغادر المستشفى قريباً..

أما طاهر.. فكان عقله لا يتوقف عن التفكير.. خاصة بعد أن شرح له كلا من أ/ علوي والعقيد حسام.. كل ما حدث.. واتضحت أمامه الصورة كاملة وأخبراه أنه كان السبب الرئيسي في القبض على زكريا وتوحة وفك وحل الكثير من الألغاز.. عندما قص على د/ عدلي ما حدث بينه وبين توحة.. وطلبها بمشاركته السرقة.. كي يصبح ثرياً ويمتلك مطعماً..

وختم علوي كلامه.. جميع النزلاء في البنسيون يسألون عنك.. الجميع ينتظر عودتك..

تحولت القضية والمتهمين إلى النيابة.. التي بدورها باشرت التحقيقات وتشعبت القضية واتسعت اكثر وأكثر.. مع اعترافات المتهمين.. حيث دل زكريا على المكان الذي يبيع فيه المسروقات التي يقوم بسرقتها مع توحه من البنسيون.. وأنه أحياناً كان يبيع المسروقات وأحياناً أخرى كان يرسل توحه لبيعها.. وبذلك انضم للقضية أناس جدد..

ترك مرجان العمل في البار، أغلق عليه بيته.. لم يستطع مواجهة نظرات الناس في الحانة سواء من العاملين فيها أو من الزبائن المرتادين للحانة بشكل دائم.. حتى لو كانوا مجموعة من السكارى.. لكنه كان يلحظ الغمز واللمز والهمس الجانبي.. الكل هنا يعرف زوجته توحه حيث كانت تحضر إليه في الحانة بعض الأوقات إلى أن يتم عمله ويغادرا إلى المنزل سوياً..

والجميع أيضاً يعرف زكريا جيداً.. هو زبون دائم.. لا يدري ما يفعل بعد أن تتمكن الخمور الرخيصة من عقله.. ثم يتوجه لطاولة لعب القمار.. ليخسر كل أمواله المسروقة والتي لم

يعلم أحد أنها مسروقة وبمساعدة من؟! توحة.. زوجة البارمان
مرجان..

ثم يتشاجر زكريا أثر خلاف حول لعب القمار وخسارته
كل ليلة وتعرضه للضرب والاهانة.. ولولا تدخل مرجان زوج
توحة زوجته.. كل ليلة لإنقاذه من براثن زملاء لعب القمار
لتطورت الأمور أكثر وأصبحت أكثر سوءاً.. وفي كل مرة يتذكر
مرجان عندما كان يفتدي زكريا بجسده ويحيطه بذراعيه ليمنع
أيدي الضارين المتشاجرين من الوصول إليه.. وكأنه يحتضنه..
يحتضن من؟!!!!.. عشيق زوجته.. الرجل الذي يختلي بزوجه
كل ليلة ومرجان مازال في الحانة يمارس عمله.. وهو يعتقد أن
زوجه نائمة في بيته.. تنتظره..

وهل حقاً لم يعلم زكريا أنها مازالت زوجته.. هل حقاً أخبرته
توحة أنها مطلقان ولم تعد زوجة لمرجان..؟

أيا كانت الاجابات على كل تلك التساؤلات.. فرائحة
الخيانة والقذارة تفوح منهما الاثنان معاً.. توحة الخائنة وزكريا

السكرير.. الأفاق.. المخادع.. أما أنا.. أنا مرجان.. أصبحت
مرجان العبيط.. زوج الخائنة والمدافع عن الخائن..
صرت أضحوكة وأعبوبة في يد الجميع..
كيف لي أن استكمل ماتبقى من عمري.. الموت أهون
وأقرب إلي من أي شيء آخر..
لكن لماذا أموت أنا.. أنا ضحية.. ضحيتها..
لا.. لا.. لست أنا من يجب أن يموت ويرتاح الناس من
شره..
أنها توحه.. وأنه زكريا القدر..

مرت أيام على وجود زكريا بالسجن.. الحبس الاحتياطي
ليس على ذمة قضية واحدة بل على ذمة عدة قضايا..
حيث بدأت أعراض ادمان الكحول تظهر عليه.. فقد مرت
أياماً كثر منذ أن تعاطى آخر كأس في الحانة قبل أن يتم القبض
عليه.. تحقيقات وإهانته في حجز القسم وأيام بلا تبديل ملابس
أو حتى استحمام.. رائحته صارت نتنة..

وبعدها بأيام طويلة في تحقيقات النيابة .. وهو الآن أخيراً
في السجن بالبدلة البيضاء .. نعم أخيراً في السجن .. فحياة
السجن مرفهة مقارنة بما عاشه خلال الأيام الماضية .. في حجز
القسم .. حجرة ضيقة ذات رائحة عطنة ومخلوطة برائحة العرق
ودخان السجائر .. والبقاء فيها للاقوى .. قانون الغاب .. فتعرض
للضرب أكثر من مرة حين طلب منه أحدهم أموالاً ولم يكن معه
أو طلب أحدهم منه سجائر أو أي تبغ للتدخين ولم يكن معه
أيضاً .. فكان يضرب في اليوم مرتان أو ثلاثة ..

غير الإهانات التي يتعرض لها من المخبرين وأمناء الشرطة ..
فأقسم أنه لن يترك حقه يضيع .. أي حق ..؟ حقه في أن أمره كان
لابد أن يكون خافياً على الجميع .. فمن كشف سره؟ .. إنه
طاهر .. ومن أبلغ عنه الشرطة؟ .. إنه علوي صاحب البنسيون ..
ولم يحمل نفسه مسئولية أو حتى خطأ .. هكذا المجرمين كما
قيل عنهم أعمى البصيرة ..

بنبرة صوت مرتفعة وبوجه صارم، جدت "ماتيلدا" رفضها لـ "فيكتور" الذي حضر بمفرده لمقابلتها للحديث عن بيع المنزل وأنها لن تجد فرصة أخرى أفضل من هذا العرض في الوقت الحالي، وأن هناك بعض التقارير صادرة عن السوق العقاري في السويد تشير أن أسعار العقارات في السويد في انخفاض.. وأن منزلها هذا منزل خشبي قديم ويحتاج لأموال طائلة لإجراء الإصلاحات والصيانة الضرورية له.

نهض "فيكتور" من مكانه مذعورًا وتحرك بسرعة تجاه باب المنزل.. ونظر إلى "ماتيلدا" نظر بعمق في عينيها وشاهد شراسة غير معهودة من هذا الوجه الجميل الصابر الصادق دائمًا.. تذكر ما يقولونه البعض عن القطط إذا حاولت أن تؤذي صغارها فهي تتحول لنمر أو حيوان كاسر شرس يفعل أي شيء للحفاظ على صغاره..

هكذا بدت "ماتيلدا" حين نظر "فيكتور" إلى عينيها بعمق..
وتلاقت نظرتهما.. غادر بسرعة شديدة وهو يشعر بخوف
حقيقي من ماتيلدا..

لكنه لم يغادر إلى منزله القائم على الجانب الآخر من الطريق
بل توجه إلى الكنيسة ودخل من بابها الرئيسي مسرعاً.. واختفى
بداخلها..

خرجت " كارين " من حجرتها مسرعة وهي تصفق لأمها
وتظهر عليها السعادة إنها أخيراً أخذت موقف شجاعاً من هذا
الجار الوقح الذي تدخل في حياتهما بشكل لم يعد مقبولاً..
بدءاً من تصدير الإحباط لها من عودة "يوهانسن" إلى إلحاحه
وإصراره على بيع منزل ليس له فيه ناقة ولا جمل..

تعانقتا وقررتا أن تمضيا سهرة لطيفة أمام التلفاز..

في صباح اليوم التالي.. توجهت ماتيلدا إلى الكنيسة لمقابلة
الكاردينال ديمتري للإعتراف.. كما وعدته عندما تشعر بالضيق
أو الحاجة لتفريغ شحنات سلبية وطاقات ضاغطة على أعصابها
أن تلجأ إلى الكنيسة وإليه تحديداً فهو لديه من الوسائل

والصلوات ولطيف الكلام مما تنسى معه همومها وتعود من حيث أتت وقد غسلت كل همومها..

وبالفعل بدأت ماتيلدا في الكلام عما تشعر به من ضيقها الشديد من تدخل فيكتور في حياتها.. وإصراره على تشويه صورة يوهانسن وأخيراً مسألة بيع المنزل.. وأنها أخبرته مراراً بعدم رغبتها في بيع المنزل والانتقال إلى شقة..

هي سعيدة هكذا.. وسط ذكرياتها مع زوجها وحبيبها الوحيد.. ثم أخبرته أنها اتخذت قراراً وتريد أن تشاركه الرأي وتطلب منه المشورة..

أنها سوف تتوجه إلى قسم الشرطة لعمل ما يسمى بمذكرة عدم تعرض وأنها سوف تجبره على الابتعاد عنها وبيتها بقوه القانون الذي يكفل حمايتها..

وعن طريق قسم الشرطة سوف يتعد.. وهذا ما تبقى لها بعد ما جربت معه كل وسائل التعامل اللطيف اللين..

هنا.. انزعج الكاردينال ديمتري بشدة.. وقال لا.. لا تفعلي.. لا أوافق.. هذا يخلق نوع من العداوة بينك وبينه.. وأنت لستِ

في حاجة إلى تكوين مجموعة أعداء.. ثم إستأذنها أنه سوف يتركها للحظات.. أبقى مكانك يا بنيتي..

عاد الأب ديمتري بعد لحظات حاملاً في يده مجموعة من الأوراق ثم أخبرها أن الكاتدرائية قد اتخذت بعض الإجراءات بشأن مسألة الاعتراف نظراً لأن بعض الناس اتصلوا مما قالوا واعترفوا به من قبل مما شكل بعض المشكلات لبعض القساوسة.. لذلك قمنا بطباعة إقرار أنك توافقين على الاعتراف وأنك تتحملين المسؤولية كاملة..

ثم ناولها القلم وأشار لها على مكان التوقيع على الأوراق.. فتحت ماتيلدا حقيبته يدها لتخرج نظارتها الطبية حيث هي لا تستطيع قراءة الخط الصغير دون النظارة..

الأب ديمتري: ماذا تفعلين؟!

ماتيلدا: أبحث عن نظارتي لأقرأ قبل التوقيع.. فالخط صغير للغاية..

ديمتري: وهل لديك الوقت لقراءة خمس صفحات كاملة..
الأمر لا يستدعي كل ذلك.. فقط وقعي هنا وأنا سأرسل لك
نسخة من تلك الأوراق..

صمتت ماتيلدا للحظات ثم وقعت حيث أشار لها الأب
ديمتري.. عادت إلى منزلها سيرًا على الأقدام وقلبها ليس
مرتاحًا بعد الاعتراف ومقابلة الأب ديمتري وعلى عكس ما
كانت تظن شعرت بعد الاعتراف بعدم الراحة وأن الهم والطاقة
السلبية ازدادا من حولها بعد الاعتراف الذي ليس فيه راحة..
وأيضًا مسألة توقيع الأوراق.. مسألة غريبة لم تسمع بها من قبل
في أي كنيسة، أيضًا امرًا مشبوهًا ويدعو للتعجب.

تمر الدقائق بطيئة.. ماتيلدا تتقلب في فراشها.. ويأبى التفكير
والأرق أن يفارقها.. ويأبى النوم أيضًا أن يهبط على جفניה
فيغلقهما.. ربما تغفو ساعة أو بضع ساعات

أخيرًا نهضت من فراشها وتوجهت إلى حيث كارين تنام..
يقظتها كانت في أشد الإحتياج للحديث مع من تثق.. ومن

أقرب إليها الآن من ابنتها التي لم تعد طفلة.. والتي قاربت على إنهاء عامها الثالث عشر..

حدثت ماتيلدا كثيرًا وأخرجت كل ما في جعبتها وما يؤرق نومها..

أخبرتها بما في قلبها من عدم الارتياح للأب ديمتري.. نعم.. اعلم أنه من الخطأ أن أقول ذلك.. لكن هذا ما أشعر به حقًا.. لا أشعر بالارتياح إطلاقًا أثناء حديثي مع هذا الكاردينال.. نعم أحترمه.. نعم أقدسه.. نعم أحتاج إلى مباركته وإلى صلواته.. لكن ماذا أفعل في نفسي.. هذا ما أشعر به..

وفي الليلة المنصرمة تحديدًا خالني الشعور أنه ربما يكون نسخة من هذا اللعين فيكتور

هنا فتحت كارين عيناها واستفاقت بشكل كامل.. حقًا يا أمي.. إذن لست أنا الوحيدة التي تشعر بهذا.. وأنا أيضًا لا أرتاح للكاردينال رغم مساعداته لي بالموافقة على العمل في الحديقة وعلى تدبير لقاء مع قس مصري سوف يصل اليوم لكن هناك

شيء مقلق وغير مريح.. لك الحق.. هو وفيكتور بينهما شيئاً لا يدعو للسكينة.

في الصباح سارتا سوياً ماتيلدا وكارين.. انطلقت ماتيلدا يميناً متجهة إلى مكتب البريد حيث تعمل.. أما كارين فواصلت السير إلى أن وصلت إلى الكاتدرائية وكانت ترتدي أجمل ما لديها.. كانت تحب أن تظهر في أجمل صورة، أخيراً امنيتها تتحقق.. وسوف تتقابل اليوم مع أحد أحفاد الفراعنة قدماء المصريين.. ذاك الشعب الرائع ذو الحضارة العظيمة..

كانت مدركة تماماً أنه لن يظهر مرتدياً زي فرعوني أو يتحدث الهيروغليفية هي تعي ذلك.. فهو يعيش في عصرنا هذا.. ولكن يكفي أن أصوله وجذوره أتت من تلك الأرض التي لها آثار باقية منذ آلاف السنين حتى يومنا هذا..

توقفت أمام كشك صغير لبيع الزهور.. وقررت أن تشتري له زهوراً.. هذه أفضل هدية تقدمها له.. لقد قرأت في الكتب القديمة كيف كان المصريون القدماء يقدسون النباتات ومياه النهر.. ثم أعادت تفكيرها.. يوجد في حديقة الكنيسة زهوراً

ونباتات أفضل من التي أراها أمامي خلف الزجاج في هذا
الكشك الصغير.. لكنها لا تستطيع قطف أي زهرة.. هي لا
تملك أن تفعل ذلك.. هي فقط أرادت أن تقدم للزائر المصري..
زهورًا هي زرعتها بيديها..

اشترت باقة لطيفة من الزهور المتنوعة الألوان والأنواع..
وسارت في سعادة تجاه الكاتدرائية وهي تحتضن باقة الزهور
والأبتسامة على شفتها والسعادة تغمرها كأنها متوجهة للقاء
حبيب أو معشوق لها وليس قسًا في كنيسة..



جلست الخالة فاطمة بجوار فراش طاهر في المستشفى وهي ممسكة بيده وتداعبه وتحاول إطعامه بعض قطع الدجاج في فمه.. وطاهر يضحك قائلاً.. أنا كبرت يا خالة فاطمة.. لم أعد طفلاً..

فاطمة: لا زلت في عيني صغيراً يا ولدي.. طاهر الصغير البريء..

طاهر: وهو يشير إلى شاربه ولحيته.. انظري.. صرت رجلاً كبيراً وأتحمل المسؤولية.. أدير مطبخاً بمفردي.. يأكل من عمل يدي عشرة نزلاء بالبنسيون كل يوم.. إفطار وغذاء وعشاء بجانب المشروبات والحلويات وبعض المقبلات.. وأيضاً أتحمل مسؤولية عم عبد القدوس.. واخيراً صرت رجلاً وأتعرض للضرب.. وربما القتل أيضاً..

سقطت قطرة دمع من عين فاطمة وهي تضع يدها على فم طاهر..

اسكت يا ولدي.. أنت نور عيني.. أنا صحيح لم أنجبك..
أنت ابن صافية.. أطيب من قابلت.. لكن مكانتك عندي تفوق
أولادي أحياناً.. أبعد الله الشر والأشرار عنك.. وصحيح أن
الله يمهل ولا يهمل..

الله أمهل توحة وزكريا كثيراً كي يعودا إلى رشد هما.. ولكن..
جاء الجزء الثاني لا يهمل..

ولكن ما يدور في خاطري حقاً.. هل الحلم أو الكابوس
الذي رأيته في منامي.. هل تتذكره.. هل له علاقة بما حدث
لك.. تعرضك للإيذاء والضرب..!!؟

ثم رفعت أكفها للسماء وفكت قيود قلبها ليخرج ما فيه من
آلام ومخاوف وامنيات.. لينطلق لسانها وبصوت غير مسموع
في ابتهاج لله والإزدياد في طلباتها ورغباتها.. دعت للجميع
ولم تنسى إلا فرداً واحداً.. هي نفسها لم تدعي لفاطمة.. كانت
تشعر إن استجاب الله لدعائها.. فهذا فيه السعادة الكافية.. ثم
اختتمت دعائها بقولها «فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا
دعان»

عقد جعفر عزمه على المضي قدماً.. واتخذ قراره بالإلتجاء إلى السبيل الوحيد لتدبير مبلغ الحديقة.. فميعاد البيع قد اقترب.. ولن يمهله أحد أي وقت إضافي لتدبير المبلغ.. الحل الوحيد الذي أمامه.. هو الإقتراض من الحاج/ بدوي فياض أعلم أنه يأخذ فوائد تصل إلى أرقام كبيرة.. لكن ليس لي أو أمامي حل آخر وأعلم أيضاً أن فاطمة غير راضية أو مرتاحة إلى هذا الحل.. لكن ليس لي غيره الآن.

سار في اتجاه بيت الحاج بدوي.. اقترب من السور الخارجي الذي به فتحه للبوابة.. لكن بدون بوابة.. وخلف السور أرض واسعة عليها داران متقابلان.. يفصل بينهما عدة أمتار قليلة والشكل الخارجي للبنىات يبدو متواضعاً للغاية.. ليس بهما أي جمال أو طلاء.. ألوان باهتة.. ألوان الطين الجاف.. وعلى الجانب من الفناء توجد طرمبه للمياه أو كما يطلقون عليها.. فهي مضخة مثبتة في الأرض يتدلى منها ماسورة طويلة بعمق

لا يقل عن أربع أو خمسة أمتار.. لتسحب المياه العذبة.. المياه الجوفية من باطن الأرض وتوجد نخلة طويلة نخلة وحيدة.. والفناء ممتلئ بالأطفال على اختلاف أعمارهم وجنسهم.. يبدون في حالة مزرية.. حفاه.. بملابس مهترئة.. والذباب يعلو وجوههم التي يبدو أنها لم تلامس المياه منذ أيام .

وما أن دخل جعفر من الفتحة التي بها السور.. الباب.. بلا بوابة.. حتى سمع إستغاثة بصوت مرتفع.. وكانت المفاجأة..!!!!

يجلس الحاج/ بدوي على قطعة من الحجارة أمام النخلة.. التي كان موثقاً بها رجلاً نحيلاً مربوطاً بالأحبال في النخلة والحاج بدوي ممسكاً بقطعة من جريد النخل.. ويضربه بها كل بضعة دقائق والرجل المسكين يستغيث.. ثم يطلب الحاج بدوي من الصبية الصغار الحفاه أن يقذفوا ذاك الرجل بالحجارة.. يتسابق الأولاد على جمع بعض الحجارة الملقاه في الفناء ويقذفون بها الرجل وهم يتسابقون ويضحكون ويمرحون..

والرجل يزداد نحيبه وتعلو صرخاته وتستمر استغاثته بلا توقف
وهو يطلب ويتوسل الرحمة والعفو من الحاج/ بدوي..
ولا يتفوه إلا بكلمة واحدة بين كل صرخة وأخرى حاضر..
حا ادفع.. حاضر حا دفع..

والحاج بدوي مستمر في تعذيبه وكأنه لا يسمعه.. بل يسمع
صوت القرآن الآتي من المذيع داخل أحد الدارين.. صوت
المقرئ وهو يتلو سورة المنافقون.. يستمع الحاج بدوي وهو
مغمض العينان والخشوع والتأثر بالقرآن يعلو وجهه.. ثم يفتح
عيناه وهو يلسع الرجل بالعصا.. قائلاً: سامع.. سورة المنافقون
.. أنها لك.. علك تتعظ..

ويرد الرجل: أنا لست منافقاً.. أنا فقط فقير، مسكين استحق
الصدقة والمساعدة

تسمر جعفر في مكانه بعد ما رأى كل ذلك.. وحاول
الإستدارة والعودة من حيث أتى.

وما أن اقترب من البوابة التي بلا باب.. إذا به يسمع صرخة
عالية من الرجل المربوط بالنخلة.. يا عم جعفر.. يا عم جعفر..
الحقني.. انقذني..

استدار الحاج / بدوي من فوق الحجر التي يجلس فوقه
ليرى جعفر يقف في مكانه لا يدري ماذا يفعل.. نهض من مكانه
بصعوبة.. وسار ناحية جعفر مرحبًا به..

الحاج بدوي: اتفضل يا سى جعفر.. أهلاً وسهلاً.. نورت
دارنا.. ثم زعق بأعلى صوته.. هات كرسي يا ولا..

حضر غلامان مسرعان بكرسيين قديمين.. ثم أمر بدوي
الصبي الصغير أن يطلب من أمه إعداد الشاي له وللضيف..

جعفر: كنت عايزك في موضوع كدة يا حاج بدوي.. لكن
قبل أن أبدأ كلامي إذا أذنت لي.. ممكن تفك وثاق هذا الرجل
وتحله من هذه النخلة..

أنا لا أدري ماذا فعل.. لكن هذا لا يصح يا حاج.. أنت قلبك
كبير.. لكن هو مين ده الأول..

بدوي: ده الواد شعلان.. ده حكايته حكاية.. لكن علشان
خاطرك يا سي جعفر ومجيتك عندي ودي أول مرة تزورني..
لك ما طلبت.. طلباتك أوامر يا سي جعفر.. وابقى ردها لي
بقى.. ثم ضحك ضحكة ممزوجة بسماجة وثقل دم غير معهود
بين البشر..

استمع له جعفر وهو يتفحص وجهه الضخم وجبينه المليئة
بالزوائد الجلدية..

وبينهما اثنان من تلك الزوائد يشبهان القرون.. شيء مقرز..
يدعو للاشمزاز والضحك في آن واحد.. وهو جالس يتنفس
بصعوبة من ضخامة جسمه ولباسه الأزهرى، الجبة والعمة
والقفطان.. والعرق يتصبب من جبينه ليجد طريقه وسط تلك
القرون والزوائد الجلدية..

تملك الفضول من جعفر.. ليسأل.. أرى هناك داران يا حاج
/ بدوي.. أيا منهما دارك

ضحك بدوي وظهرت أسنانه الضخمة.. بنية اللون.. قائلاً:
الاثنان داري.. هذا لزوجتي الأولى وأولادها.. أما ذاك فلزوجتي

الثانية وأولادها.. وأقوم الآن ببناء دور ثاني فوق كل دار.. ربما أحتاج إلى مساحة أكبر في المستقبل القريب.. ثم ضحك مرة أخرى بنفس ثقل الدم.. أخيراً فك وثاق الرجل النحيل.. الذي اقترب من يد جعفر وأراد تقبيلها.. قائلاً: لولاك يا عم جعفر.. كان قد قتلني.. كل هذا لأجل خمسمائة جنيه اقترضتهم.. وهو الآن يطالبني بألف وخمسمائة جنية.. أي ثلاثة أضعاف المبلغ.. قاطعه الحاج / بدوي صحيح.. لم تسدد منذ فترة طويلة وامهلتك كثيراً من الوقت ازدادت عليك قيمة الفوائد إلى أن تضاعف عليك المبلغ ثلاث مرات..

إحمد ربنا.. أنت لو فعلت ذلك مع أي بنك.. كان حجز عليك.. ضحك الرجل النحيل.. شعلان.. بصوت عالٍ.. مردداً.. آخر ما قاله بدوي.. حجز عليا!!! ياريت.. يحجز على ايه.. هو أنا حيلتي حاجة.. مش هيلاقى أي حاجة يحجز عليها.. يأخذ بقى الأولاد وأمهم..

تدخل جعفر.. قائلاً: بعد إذن الحاج بدوي.. اذهب أنت يا شعلان الان وسوف تحل هذه المسألة قريباً.. الحاج / بدوي

راجل قلبه كبير وهو كبير المقام في المكان هنا.. وأكد سوف نجد حلاً..

انصرف شعلان وهو يتمم بنقيض الكلام.. يدعو لجعفر بالستر.. ويدعو على الحاج / بدوي بالفضيحة وخراب البيت.. انتاب جعفر بعض الخوف والقلق.. مما شاهده وسمعه من شعلان

هل يستمر قدمًا ويقترض من هذا الحاج / بدوي وأن تأخر في السداد أو تعثر.. فهل سيكون مصيره مثل ذلك المسكين شعلان.. يوثقه في النخلة ويضربه بجريدتها.. ويطلق عليه كلابه.. أقصد أطفاله الحفاه.. فيقذفونه بالحجارة وبالطبع زوجته الاثنتان يشاهدان بإستمتاع من خلف النوافذ..

ظل جعفر يتخيل نفسه مربوطًا في النخلة.. يالذل.. العار.. فهل من الممكن أن يحدث له هذا.. هل شراء الحديقة يساوي إهانته وفضيحته بهذا الشكل.. وأن يكون تحت رحمة هذا الجاهل الذي لا دين له رغم سماعه للقرآن وإرتداء اللباس الأزهري ولقب حاج..

غادر طاهر المستشفى بعد أن تماثل للشفاء تمامًا.. وطلب من
أ/ علوي أن يعود إلى عمله في البنسيون.. ظل عم عبد القدوس
يرافقه كما فعل في بداياته إلى أن اطمئن أنه عاد لمستواه الذهني
والبدني كسابق عهده..

ولكن قبل أن يتوجه طاهر لممارسة عمله في البنسيون مرة
أخرى.. كان لابد أن يفعل شيئاً هاماً للغاية.. أن يزور ويطمئن
على ملهمته والرسالة الربانية الهابطة عليه من السماء..

توجه إلى الصخرة القابعة التي على ضفاف النهر.. وحفر
في الأرض خلف الصخرة ليخرج العلبة التي صنعتها أسماء..
يفتحها وبداخله سعادة غريبة وقلبه يدق بشدة كأنه على موعد
ولقاء مع حبيب غاب عنه لسنوات..

نظر بعينه اللامعتان.. وابتسم.. وحشنتي
كنت أخشى أن أموت وأتركك هنا.. قبل أن أعرف السر وراء
هبوطك من السماء علي ولماذا اخترتني أنا تحديداً لتستقري
بين أقدامي..

هل هي رسالة من الله تعالى إلي .. هل هو راضي عني .. هل
أنا مكلف بفعل شيء ما .. أم أني فقط أهذي والأمر لا يتعدى
سقوط ريشة من طائر مهاجر .. والهواء والرياح قذفت تلك
الريشة ناحيتي ..

ولماذا ريشة حمراء .. فالطيور لون ريشهم بين الأبيض
والرمادي وأحياناً الأسود .. لكن حمراء اللون .. هذا عجيب ..
قلبي يحدثني أن الأمر متعلق بالسماء !!!



تسمرت كارين في مكانها بلا حراك أمام القس ميخائيل
بملابسه السوداء النظيفة المنمقة .. ولحيته الكثيفة والتي يعلوها
بعض الشيب .. ببشرة سمراء وابتسامة هادئة جميلة .. وجه طيب
يدعو للإرتياح .. وتشتتم منه رائحة ذكية ..

أخيراً تم اللقاء .. هي الآن بصحبة حفيد الفراعة .. رجل
الكنيسة المصرية الأب ميخائيل .. حنون .. عطوف طيب .. لا

يتحدث كثيراً لكن يبتسم أكثر.. تشعر بجواره بالألفة كأنك تعرفه منذ زمن بعيد أو كأن هناك صداقة تكونت منذ الطفولة بينكما.. ربما به حنان الأب الذي تفتقده كارين ربما هو بديل يوهانسن.. هل هذا معقول.. المصري حفيد الفراغنة بديلاً للأب الهارب.. أو الأب الغائب.. أو الأب المختفي..

وضع الأب ميخائيل الزهور على أنفه وأخذ نفساً عميقاً.. كم كان سعيداً بتلك الزهور.. وإذا به يفتح حقيبة لديه.. ويخرج منه علبة صغيرة محاطة بشريط ستان قرمزي وقدمه إلى كارين..
هذه لك

فتحتها كارين بعد أن أستأذنته في فتحها.. كم كانت شغوفة لتعلم ما هي الهدية المقدمة لها من أول مصري تلتقيه.. أول حفيد للفراغنة..

علبة أنيقة بها مج.. كوب بيد من البورسلين.. مرسوم عليه باللون الذهبي.. صور فرعونية ومدون عليها بعض الحروف المصرية القديمة الهيروغليفية طارت من الفرح وأخبرته.. كم

هذا مذهل .. فهي تحتاج لكوپ خاص بها لشرب الشيكولاته باللبن الساخن ..

امتدت الجلسة بين الأب ميخائيل و كارين إلى ما يقرب من ساعات سألت فيها كارين الأب ميخائيل عشرات وعشرات الاسئلة عن كل تفاصيل حياة المصريين القدماء .. حاول الأب ميخائيل أن يجيب قدر استطاعته وقدر علمه لكن جاءت أغلب اجاباته بعبارة واحدة " لا أعلم " حيث أن الأب ميخائيل لم يكن متخصصًا في الآثار أو التاريخ القديم .. لذا كان صادقًا معها .. لكنه استطرّد قائلاً .. ربما إذا قدر الله لك السفر إلى مصر سوف تتقابلين مع الكثيرين من العاملين بالآثار ولديهم إجابات وافية وأكثر عن كل شيء تودين معرفته .. أنا شخصيًا لدي صديق واحد مرتادي الكنيسة .. هو مرشد سياحي ويمتلك بنسيونًا في مدينة تدعى أسوان في جنوب مصر ..

كارين: أعرفها .. فهي جنوب الأقصر .. أنهما أشهر مدينتان في عالم الآثار المصرية قرأت عنها كثيرًا وأعلم مكانها تحديًا على الخريطة ..

اندهش الأب ميخائيل كثيراً مما سمعه من اهتمام كارين الزائد بالآثار المصرية رغم أنه عندما طلب منه الكاردينال ديمتري لقاء كارين علم أنها فتاة تعمل وتعتني بالحديقة الملحقة بالكاتدرائية وأن اهتمامها بالنباتات يفوق الوصف.. أخذه الفضول لسؤلها.. كنت أظن أن اهتماماتك تدور حول حياة النباتات

كارين: نعم إنه شيء عجيب.. لا يوجد ثمة علاقة بين النبات والآثار الفرعونية.. لكن هذه الحقيقة.. هذان هما أكثر اهتماماتي في الحياة ولن أتخلى عن أي منهما.

ومنذ ذلك اليوم عقدت كارين النية على أن تكون دراستها في إحدى هذان المجالان وأن تقرأ في المجال الآخر لتثقف أكثر وأكثر..

عادت إلى بيتها وقد حصلت على وعد من الأب ميخائيل باللقاء مرة أخرى قل عودته إلى مصر.. لكنه كتب لها عنوانه في أسوان لربما زارت مصر.. فتستطيع أن تزوره.. دخلت إلى بيتها وهي سعيدة للغاية.. وتفكر في رؤية ريشتها الحمراء.. لتحكي لها عن يومها وتفرح معها..

وصل إلى مسامعها صوت بكاء في صالة المنزل.. إنها أمها

ماتيلدا

هذا صوت أمي.. بكاء أمي.. لماذا تبكي يا أمي..؟!!

ناولت ماتيلدا كارين بعض الأوراق.. صورة أصلية وأوراق

بصور منسوخة.. بعد أن أطلعت كارين على الأوراق بشكل

سريع.. لم أفهم شيئاً لكنني أرى أن تلك الأوراق صادرة من

مكتب التسويق العقاري..

أليس هذا هو المكتب الذي يعمل فيه ذاك الرجل الغامض

الذى كان برفقة فيكتور اللعين منذ أيام مضت.. وما هذا؟!..!

ما هذه الورقة.. أنه شيك بنكي.. بمبلغ مائتي ألف كورونا..

يا سمك.. ما معنى هذا؟!..

..ازداد بكاء الأم.. ولم تستطع أن تتكلم وكل ما طلبته هو

كوب من الماء..

ذهبت كارين لإحضار كوب الماء.. وعادت لتجد ماتيلدا

سقطت على الأرض مغشياً عليها.. أسرع كارين في طلب

الطبيب..

الطبيب: الضغط.. ضغط الدم مرتفع للغاية لأنها قد تعرضت
لصدمة ما.. أرى أن حالتها النفسية ليست كما يرام.. أرجو
الإهتمام بعزلها عن أي مؤثرات نفسية سيئة.. وكذلك تناول
هذه الادوية.. ناول الروشته لكارين..

قضت كارين اليوم بأكمله بجوار ماتيلدا إلى أن استعادت
عافيتها بعض الشيء واستطاعت أن تتحدث بشكل طبيعي..
وبعد أن أحضرت كارين الأوراق التي كانت سبب الأزمة..
وجلست بجوار ماتيلدا.. على الفراش..

بدأت ماتيلدا تتحدث وتشرح: جاءني رجل من مجلس
البلدية.. يبلغني أنني لا بد أن أغادر المنزل خلال شهر من
تاريخ اليوم.. تاريخ استلام تلك الأوراق.. وأن شركة التسويق
العقاري قامت بشراء المنزل مقابل مائتي ألف كورونا.. وهذا
الشيء بالمبلغ.. بعد أن وقعت أنا على عقود البيع والموافقة
على انتقال ملكية المنزل والأرض المقامة عليه المنزل للشركة
العقارية وأن هذا البيع تم منذ حوالي أسبوع تقريباً..

ثم أضفت ماتيلدا: أنا لم أقم ببيع أي شيء.. لم أفرط أو أتنازل عن منزلنا يا كارين.. لم أوقع عقد بيع مع أحد.. أنا طردت فيكتور من المنزل في المرة الأخيرة التي حدثني فيها عن أمر البيع.. وبعدها توجهت للكاتدرائية.. للاعتراف للأب ديمتري..

كارين: لكن يا أمي هذه الأوراق.. أوراق البيع عليها توقيعك وهذه نسخة مصورة من الأوراق.. هل هذا توقيعك أم قاموا بتزويره..

ماتيلدا: لا بد أنه توقيع مزور.. أنا لم أوقع على أي أوراق وتحديداً أوراق بيع..

ماذا نفعل الآن لا بد من مغادرة وإخلاء المنزل في خلال شهر من اليوم وإلى أين نذهب.. وهذه الأموال لا تكفي لشراء أي شيء..

ثم أجهشت في البكاء بصوت مرتفع مصحوباً بالصراخ في وجه كارين أنا لم أوقع على هذه الأوراق.. لم أوقع يا كارين..

وبينما هي تصرخ والأوراق في يديها.. نظرت إلى الورق
ثانية.. تذكرت عندما كانت تعترف لدى الأب ديمتري أنه
جعلها توقع أوراقاً تخص موافقتها بكامل إرادتها على الإعراف
للكاهن.. وهي وقعت بالفعل..

نعم يا كارين.. إنه توقيعي.. هذا ليس توقيعاً مزوراً.. لكن
هذه الأوراق المفترض أنها صادرة من الكنيسة وليس مكتب
تسويق عقاري وأنها تخص الإقرار بالموافقة على الإعراف
دون إجبار من أحد هكذا شرح لي الأب ديمتري..

كارين: انتظري يا أمي.. الآن بدأت أفهم وبدأت الخيوط
تتحد سوياً لا بد من الذهاب لذلك الأب الغير مريح ديمتري..
لم تستطعا كلا من ماتيلدا و كارين النوم طوال الليل..

ماتيلدا تطيل النظر في صورة يوهانسن الموضوعة على
الطاولة بجوار الفراش تنظر في لوم وعتاب.. كل هذا يحدث لي
لأنك لست هنا.. لأنني وحدي.. فيظن البعض أنني دون وجود
رجل في حياتي أصبحت بلا أنياب أو وسائل دفاع لا حول لي
ولا قوة.. أين أنت.. هذا أكثر وقت احتاج وجودك بجانبني..

احتاج أن اختفي خلفك فتكون أنت في الواجهة.. يراك الجميع
ويهابك..

لو لم تكن غائبًا ما تجرأ علي كل هؤلاء الأوغاد..

الحياة دونك أصعب من انعدام الطعام والشراب.. وظهورك
في حياتي سوف يبعد كل هؤلاء عني.. حتى لو كنت في أسوأ
حالاتك.. فبمجرد انتشار خبر عودتك ستتوقف كل هذه
السخافات والمطامع.. ماذا أفعل يا إلهي.. هل أشيع خبر عودة
يوهانسن.. لكن ماذا يفيد الآن.. تأخرت كثيرًا في هذا الحل..
لقد صدرت الأوراق والأوامر من المجلس المحلي لابد من
مغادرة المنزل وقبول البيع..

كارين.. هرب النوم من عينيها.. ولم يتبق لها إلا الريشة
الحمراء.. وجهها على الوسادة البيضاء.. لم تتوقف عن التفكير
للحظة إلى إن أهتدت لما سوف تفعله حينما يحل الصباح.. ولم
تتفوه إلا بكلمة واحدة وهي تطيل النظر إلى الريشة الحمراء..
إن غدًا لناظره لقريب.. سوف يرون ما تفعله الفتاة الصغيرة..

ارتفعت الشمس في السماء قليلاً.. توجهت كارين إلى الكاتدرائية وفي يدها مظروف كبير يحوي كل الأوراق التي وصلت بالأمس.. وما أن وصلت.. توجهت إلى الباب الخلفي الذي يطل على الحديقة.. الشرر يتطاير من عينيها والغضب يملأ كل خلية من جسدها..

وإذا بها أمام إيزابيلا.. انزعجت إيزابيلا حين رأتها.. صباح الخير.. مالي أراك لست على ما يرام.. وجهك أحمر للغاية كأنك غاضبة.. هل تشاجرت..؟ هل وقع لك مكروه.. كارين: نعم.. أنتِ على حق.. أين الكاردينال.. أين هذا الكاردينال ديمتري

فهمت إيزابيلا من حديثها عن الكاردينال بقلة احترام وتوقير كالمعهود.. أن هناك شيء ليس بالخير على الإطلاق.. أوقفتها وأجلستها بعيداً عن الباب.. ماذا حدث.. أنتِ تعلمين كم أحبكِ وأحب لكِ الخير.. ولا أريدك أن تتصرفين بحماقة.. ماذا هناك.. يبدو إنك غاضبة من الكاردينال ديمتري..

قصت كارين كل ما حدث منذ البدايات مروراً بشعورها بعدم الارتياح للكاردينال وفكتور.. وأوجه الشبه بينهما.. ثم مسألة بيع البيت ورفض الأم..

ثم الإعتراف وتوقيع ماتيلدا على أوراق تفيد بموافقتها على الإعتراف دون شكوى

إلى أن وصلت لقرار المجلس المحلي بإخلاء المنزل..

استمعت إيزابيلا لحديث كارين جيداً وبعناية.. وإذا بها تفتح

عينها بدهشة قائلة.. هل يمكنني أن أبوح لك بسر..!؟

أنا مثلك لم أكن أرتاح للكاردينال ديمتري.. وظننت أنني الوحيدة التي يخالجنني هذا الشعور وحاولت أن أكذب قلبي ووجداني مرات كثيرة.. لكن هذا الشعور لم يفارقني طيلة إقامتي هنا.. هناك شيء ما لا يدعو للإرتياح..

حتى ولو كان هو كبير الأساقفة..

معك كل الحق يا كارين.. لكن ما تقدمين على فعله لن

يثمر عن شيء بل على العكس سوف تتهمين بإهانة الكاردينال

والتطاول على رمز من رموز رجال الدين ولن تلقي إلا الويل
والغضب ولربما الطرد من الكنيسة..

من الحكمة الآن أن تنحني للتيارات القوية القادمة بشدة..
أنا لي رأي إن وافقتيني عليه سوف نحرز تقدماً وربما نستطيع
أن نوقف كل ما يحدث

أخى موريس.. هل تتذكره أنه يعمل في جريدة معروفة وله
علاقات كثيرة ويقابل الكثير من المسؤولين في كل المجالات..
وله طرق مختلفة لمعرفة حقيقة الاشياء.. أنا أرى إن طلبنا
مساعده فلن يتأخر.. خصوصاً أنه يراك لطيفة للغاية.. دعينا
نحدد موعد معه ويفضل أن يكون في حضور والدتك ليطلع على
الأمر برمته.. وأعطيه فرصة وسوف يأتي إليكم بالخبر اليقين
وما هي حقوقكم من الناحية القانونية.. لا تقلقي يا عزيزتي..
لن تكوني وحدك.. الله معك وأنا معك.. بلغني تحياتي إلى
والدتك.. وانتظري أخباراً جيدة قريباً..

اقترب ميعاد طرح الحديقة.. حديقة الفواكه المجاورة لأرض
جعفر الصغيرة.. للبيع

وزاد معه توتر جعفر حيث لم يجد حلاً حتى الآن.. فهو
لا يملك شيئاً وأيضاً فاطمة زوجته لا تملك إلا قلادة ذهبية
صغيرة للغاية وعليها آية الكرسي.. فهي لن تستطيع بيعها وإن
استطاعت.. فلن تجني من ورائها المال الكثير..

جعفر: ليس أمامي إلا حلاً واحداً يا أم عبد الهادي.. وأمري
لله..

فاطمة: لا.. لا تقول أنك سوف تقترض من هذا الحاج بدوي
فياض..

جعفر: ليس أمامي سواه.. والأمر دوماً لله.. ماذا عساني أن
أفعل..

فاطمة: أخبرتك مراراً أن سمعته سيئة للغاية بجانب أنه يضيف
الكثير من الفوائد للمبلغ الأصلي..

جعفر: أنا كل اللي طالبه منك.. هو تجهيز عزيمة غذاء
مفتخرة.. حاجة تملأ العين وتسيل اللعاب من أكلك الحلوة

وندعوه للغذاء وأحدثه في الموضوع.. وبالتأكيد سوف يقبل
وسوف أحاول أن أقلل قيمة الفوائد قدر المستطاع..

فاطمة: تضحك.. قديمة جدًا حكاية العزومة دي يا أبو عبد
الهادي.. فكرة إنك تكسر عينه بعزومة غذاء.. صارت مفهومة
ومكشوفة للجميع

جعفر: نعم.. معك حق.. هذا لو كان المستهدف شخص آخر
غير بدوي فياض فهو لا يزال يسيل لعابه على قطعة لحم أو طبق
ملوخية..

أرسل جعفر ابنه الأكبر عبد الهادي والذي يليه رشيد إلى دار
الحاج/ بدوي فياض ليبلغاه أن أبيهما جعفر ينتظره اليوم على
الغذاء

انفجرت اسارير الحاج بدوي بعد أن كان يكيل السباب
لبعض من أولاده ويطاردهم في فناء الداران.. وبين الحين
والآخر يتشاجر مع أحد عمال البناء الذي يشيد الطابق الثاني
فوق أحد الدور..

وبعد صلاة العصر مباشرة.. اقترب الحاج/ بدوي فياض
بخطوات سريعة نشطة رغم بدانته الملحوظة.. ومع كل خطوة
يقترب فيها تتحرك أنفه عن اليمين واليسار قليلاً ليشتتم ألد
الروائح التي يسيل لها اللعاب..

ويحدث نفسه ويراهن نفسه.. هذه رائحة طشة فته.. وأكد
مزدانة بهبر اللحم أما هذه الرائحة فهي رائحة وزه محمرة
ومحشية بالفريك أما هذه الرائحة فهي برام أرز معمر غرقان
في السمن والقشطة والحليب البقري.. وظل هكذا يراهن حاله
إلى أن وصل إلى مقدمة الدار وأمام المزيرة كان بعض الصبية
يلعبون وكان بينهم أثنان من أولاد جعفر..

بكري وليبية.. ظل الحاج بدوي يشتتم بأنفه ولعابه يسيل أكثر
وأكثر ولكن عيناه كانتا تحملقان في الصبية الصغيرة لبية.. ذات
الصفائر السوداء الطويلة وهي ترتدي جلابية بيت قصيرة وتحتها
بنطلون من نفس القماش ووجهها معفر بالتراب من أثر اللعب..
ويبدو على وجهها علامات الذكاء..

تفحص الحاج/ بدوي جسدها بعناية وبخبرة رجل يفهم في النساء على حد قوله عندما يتحدث عن نفسه..

تدورت.. احلوت وطلعتها حاجات.. صارت أنثى.. وتحتاج إلى الأكيل.. اللي يقطف ويأكل.. هكذا كان يتمم في سره.. وجه كلامه إلى لبيبة دوناً عن بقية الصبية..

أليس هذا دار جعفر يا أمورة إنتي..

لبيبة: لم تعر له انتباها.. أعاد الحاج/ بدوي سؤاله مرة أخرى وثانية لم ترد عليه لبيبة واستمرت في اللعب مع بقية الأطفال.. وهنا تقدم إليه بكري.. قائلاً: نعم أنه دار جعفر.. أبويا

الحاج/ بدوي: حسناً أنت من إذن

بكري: أنا ابنه بكري

الحاج/ بدوي: مشيراً إلى لبيبة.. ومن هذه البنت الجميلة.. بكري: وهو غاضب من حديث بدوي عن أخته وكأنه يغار عليها: أنها أختي لبيبة.. هل تريد أبي.. هل أخبره أنك تريده..

الحاج/ بدوي وهو يصعد درجات السلم ويجلس في
المزيرة: نعم أخبره أن الحاج/ بدوي فياض.. عين أعيان البلد
في انتظاره.. وتعمد في رفع صوته وهو ينظر إلى لبيبة
مشمراً عن ساعديه وبأصابع تلمع من أثر الدهون التي
غلفت يده أو أصابعه يأكل قطعه لحم كبيرة ثم يمصمص
أصابعه بصوت عالٍ مقزز للغاية وبعدها تمتد يده إلى نصف
الوزة فيلتهم منها قدر استطاعته إلى أن يشعر أن الطعام لا يريد
النزول إلى تلك المعدة الممتلئة عن آخرها وكأنه يقول للطعام
الذي خلفه.. عودوا إلى الورا.. لا مكان هنا للمزيد فيعالج
الحاج بدوي الموقف بجرعة ماء كبيرة يشرب منها على عجل
ويتساقط الماء منسكباً على أطراف فمه.. يمسح فمه بظهر يده..
وكانه هذا هو الجزء الطاهر من بدنه المنتفخ.. وبعد أن يشرب
يتجشأ مطلقاً طلقة تحذيرية لكل من حوله بأنه قد نجح بعد
شرب الماء بفك التشابك الحادث داخل المريء ذاك الأنبوب
الضيق وأيضا في تجويف معدته والتي تعد من أكبر مقاسات
المعدة في العالم وهو يفتخر بهذا الأمر..

كما أعتاد دائماً أن يقول: أنا استطيع إلتهام خروف كامل في
مرة واحدة...!!!

كانت فاطمة في الداخل تشعر بالإشمئزاز وهي تحتضن
ابنتها.. ربما خوفاً عليهما أن يأتي الدور عليهما بعد أن يفرغ
الطعام وتصبح الأطباق خاوية.. فيلتهمهما.. ذاك الحاج
بملابسه الأزهرية وعرق جبينه الذي لا يتوقف عن الهرب
والخروج من فتحات ومسام جلده السميك ربما خوفاً من تلك
الزوائد الجلدية المنتشرة في وجهه وحول عنقه.. وتلك القرون
التي يتعمد الحاج إخافة من يخرجون عن طاعته بها!!!
وأمام أكواب الشاي الساخنة.. بدأ جعفر حديثه بعد أن ظن
أنه قدم السبت و ينتظر من ضيفه الحاج بدوي أن يقدم بدوره
الأحد..

جعفر: ها يا حاج- أنت موافق أن تقرضني ثمن شراء
الحديقة..؟!!

الحاج/ بدوي: أكيد يا جعفر.. أحنا خلاص بعد الأكلة
المعتبرة دي صرنا أهل.. ويمكن أكثر من أهل.. وهو ينظر

إلى لبيبة التي تقف على مبعدة منتظرة أوامر أبيها في أن تحضر
الفاكهة..

وبعد حوار طويل دار بينهما وجدال والتفاف حول الكلام
من كليهما.. تم الإتفاق والموافقة من قبل الحاج بدوي على
أقراض جعفر المبلغ مع فائدة عشرة في المائة والضمان هو
قطعة الأرض الصغيرة التي يملكها والبيت المقام عليها..

ظن جعفر أن الأمر تم على خير وأنه سوف يتسلم المبلغ من
الحاج/ بدوي حيث لم يتبقى على ميعاد بيع الحديقة سوى ثلاثة أيام..
وإذا بالحاج/ بدوي يطلق قبلة مدوية.. لم يتجشأ هذه
المرّة كما فعل وهو يتناول الطعام أو يعذب الطعام داخل بطنه
المخيف..

ولكنه كان له طلب مشروطاً مقروناً بمسألة القرض..
الحاج/ بدوي: أنا طالب القرب منك يا جعفر.. نكون
نسايب وزيتنا يبقى في ديقنا.. أنا عايز أتجوز بتك الحلوة اللي
هناك دي.. وأشار إلى لبيبة!

ظل بوريس يدون في دفتر أمامه كل المعلومات التي أدلت بها ماتيلدا وهو يحتسي كوباً من القهوة الساخنة اللذيذة التي أعدتها ماتيلدا وهي تشعر بالخوف والقلق بعد أن شاهدت أن بوريس الذي استقبلته في منزلها لم يتعدى الرابعة والعشرين من عمره.. لا يزال صغيراً وليس لديه خبرات كافية.. وهي تخاف أن يمر الوقت والمهلة المحددة من قبل المجلس المحلي.. فهي تظن أنها بحاجة إلى محامي متخصص في شئون العقارات وقوانين البيع والشراء هذه..

ولكن بعد أن استمعت إلى حديث بوريس شعرت ببعض الطمأنينة.. بوريس: كما تعلمين مدام ماتيلدا.. أنا لست محامي.. أنا صحفي وفي بداياتي لكن من خلال عملنا فنحن نتعامل مع مختلف الطبقات.. العليا منها والدنيا فنستطيع أحياناً أن نحصل على معلومات أو نساعد أفراد الشعب على معرفة حقوقهم والتوعية ببعض بنود القانون الغائبة عنهم والتي ربما

تكون في صالحهم.. وأحب أن أطمئنك.. أنا لن أعمل في مشكلتك بمفردي فنحن فريق عمل وبيننا من درس القانون ومن هو خبير في الأمور السياسية والاقتصادية وهكذا.. فلا تقلقي لدينا وسائل لا تستهينين بها.. وقريبًا سوف آتي إليك بالخبر اليقين.. أعلم تمامًا أن الوقت ضيق فنحن عدونا الأساسي ليس فيكتور أو شركة التسويق العقاري.. بل هو عامل الزمن.. الثلاثين يوم التي مر منها يومان حتى الآن..



صارت حياة طاهر مقسمة بين عمله في البنسيون والذي صار متمكنًا من كل أدواته وازدادت خبرته ومعرفته بفنون الطهي وأساره تزداد يومًا بعد يوم..

وبين الإطمئنان والإهتمام بعم عبد القدوس.. الذي نسى في وجود طاهر إلى جواره أن له ابنًا شهيدًا بل أكثر من ذلك.. فكان

يشعر أن له ابنان.. الأكبر استشهد والأصغر يرافقه ويشاركة
ظروف الحياة بحلوها ومرها..

وبين الإطمئنان على الخالة فاطمة وعم جعفر وأبناء عمه
وكلما ذهب إلى بيت عمه كان يلقي السلام عليهم جميعاً..
ثم يقف أمام بكري للحظات وكأن عينه تلقي بعشرات الأسئلة
عليه.. لماذا لم تدافع عني حينما تعرضت للضرب من زكريا
وأعوانه.. لماذا وقفت موقف المتفرج.. لماذا لم تزرني في
المستشفى ولو لمرة واحدة..

كان بكري يهرب من نظراته.. فلم يكن يجرؤ أن يصارحه
بكم الكره والحقد الذي يكنه له تحديداً في كل مرة يجد
اذرع أمه فاطمة مفتوحاً له على الدوام ولكن بعد أن علم انه
كاد أن يلقي ربه ويموت.. شعر ببعض تأنيب الضمير وشعر
أن طاهر ربما يكون مظلوماً.. فلقد فقد الأب والأم.. أنه يتيم
ومن الطبيعي أن يلجأ إلى أقاربه لينهل منهم الحنان والعطف
والإهتمام.. لذلك قرر بكري التوقف عن مضايقته لكنه في ذات

الوقت لم ولن يجيبه على أسئلته.. لماذا تركه فريسة بين أنياب
زكريا وأعوانه؟!!

وتوطدت العلاقة بين طاهر وأ/ علوي للغاية فصار علوي
يعتمد عليه في كل ما يخص البنسيون حتى الأمور المالية
وأعطى له نسخة من مفتاح الخزينة ليضع أو يسحب نقودًا
حسب احتياجات البنسيون..

وفي إحدى المرات التي زار فيها علوي الكنيسة لأداء
الصلوات.. تقابل مع الأب ميخائيل الذي أطلعته على رحلته
إلى السويد وأطلعته على ما دار بينه وبين كارين وأنه يشعر
بحرج شديد وأنه وصل لمرحلة من الجهل بعلم التاريخ والآثار
لاجدادنا الفراعنة.. جعله في غاية الخجل.

وكم كان يتمنى لو كان علوي بصحبته ليرفع عنه ذلك الحرج
ويجيب عن أسئلة كارين التي لم تتوقف حتى عاد إلى مصر..
ضحك علوي عند سماعه هذا قائلاً: يا أبونا.. أنت البركة
بتاعتنا..

لقد أعطاك الرب علم الأديان واللاهوت واتفانك للغة
القبطية القديمة وهذا أهم بكثير من تاريخ الفراعنة أو غيرهم..
وقبيل مغادرة علوي للكنيسة.. تقابل مع عمته سميرة التي ما
أن رأته حتى أمطرته بوابل من اللوم والعتاب أنه لا يسأل عنها
منذ وفاة المرحوم أبيه.. أخيها غبريال بجانب أنه لم يزرها إلا
مرة واحدة..

ثم مالت برأسها عليه تعالى إلى بيتي أنا مجهزة صور لكثير
من الفتيات الجميلات لتختار منها أيها تريد أن تكمل حياتك
معها ويباركك الرب..

ضحك علوي في خجل وقال: أنتِ لسه مصممة على
موضوع الصورة يا عمتي.. صعب أن أي انسان يختار فتاته
وشريكة حياته من خلال الصور وهناك أمر آخر أريد ان أطمئنك
عليه..

سميرة: ما هو.. يالا اتفضل اتفلسف وكلمني كلام صعب لا
أفهمه.. اتفضل أعمل عليه مثقف.. وبتاع تاريخ وآثار..

ضحك علوي قائلاً: لا أبداً يا عمتي.. انا فقط لدي وجهة نظر وأريد أن أشاركها معك.. أنا لا أميل إلى الزواج من فتاة مصرية.. بعد عملي في الإرشاد السياحي والاحتكاك بالاجانب من مختلف الجنسيات.. صار لدي قناعة أن التعامل مع الاجنبيات.. أفضل بكثير وأقل تعقيداً فالحياة معهم بسيطة وعلى سجيتهما للغاية.. لا تعقيدات ولا تأويل للكلام.. لا غيبة.. ولا نقل للكلام.. ولا تكلف.. أو تصنع أو كذب.. الأمور معهم مختلفة وأنا أرتاح كثيراً في التعامل معهم..

سأصبر لحين أن أقابل من يدق قلبي لها وأيضاً من تحبني وتقبلني كما أنا..

سميرة: وهي غير راضية، حسناً.. مع أنني أخالفك الرأي.. مفيش زي الست المصرية.. تعرف طباعك وتقدر تريحك.. لكن كما تحب يا ولدي.

طلب جعفر مهلة للتفكير والتشاور في طلب الحاج/ بدوي
للزواج من الصبية الصغيرة لبيبة.. وذلك بعد أن استنكر جعفر
طلبه قائلاً في عجالة ودون تردد: البنت مازالت صغيرة للغاية..
فهي تلعب وتلهو مع الصغار هي لا تتحمل الزواج.. وأنت رجل
كبير يا حاج.. وكبير في المقام طبعاً لكن فرق السن كبير جداً..
الحاج/ بدوي: هل تقصد أنك ليس لك رغبة في نسبي..
سن ايه وكلام فاضي ايه.. البنت ليس لها إلا السترة يا جعفر..
وطالما أنا قادر وسوف أوفر لها حياة كريمة وأضعها في عيني..
جعفر: طبعاً نسبك يشرفني وشرف لأي حد.. لكن المسألة
لا تخصني وحدي.. لا بد أن أشاور أمها واستطلع رأي البنت
نفسها..

الحاج/ بدوي: عيب الكلام دة يطلع منك يا جعفر.. اللي
أعرفه أنك راجل بجد.. راجل بصحيح.. ولا تحتاج رأي
الحريم في شيء..

جعفر: أكيد راجل.. لكن أنا أعلم أنك متزوج ولك بدل
الزوجة زوجتان

الحاج/ بدوي: وماله.. ربنا حلل للراجل مننا مثنى وثلاث ورباع.. أنت هتخالف الشرع وتقف ضد كلام ربنا.. اتجننت يا جعفر..

عموماً مسألة القرض مربوطة بزواجي من لبيبة.. في لبيبة في قرض.. مافيش لبيبة مافيش قرض.. فجر الحاج بدوي قبله وانصرف..

امتد بكاء فاطمة الليل بطوله، فصارت أظلم واحلك ليلة مرت عليها في حياتها.. أول فرح في بيتها وأول زواج لاحدى بناتها يكون هكذا من هذا المقرز بدوي زوج الاثنين..

كل هذا من أجل حديقة.. نبيع البنت ونلقي بها في التهلكة مقابل مال الحديقة.. وكمان قرض..

أنها تعلم الكثير من فضائح ذاك الخنزير ذو القرنين.. وبين عشية وضحاها يصبح زوج ابنتي وأصير أنا حماته.. لماذا.. لماذا!!

ولبيبة المسكينة الوديعه.. أول فرحتها وعندما يدق قلبها ويعرف الحب تكون زوجة لهذا.. وأيضاً لها ضرة.. بل ضرتان..

عقد جعفر العزم على موافقه بدوي.. حتى يحصل على
الحديقة.. وعندما يصير من كبار وأعيان البلد سوف ترفع
ابنته لبيبة رأسها.. فزوجها واحدًا من الاغنياء والاعيان وأيضا
سيصبح ابيها مثله..

أبلغ جعفر الحاج بدوي بالموافقة ولكن عليه أن يعطيه
القرض وفوقه مهر وشبكة العروسة لبيبة..

وإذا بالحاج يخبره.. أن الزواج سيكون غداً قبل موعد بيع
الحديقة بيوم وفي يوم البيع يقابله ويسلمه مبلغ القرض وبلا
فوائد حيث صارا أسرة واحدة.. ومعه مهر وشبكة العروس..
لكن عليه أن يتم الزواج الليلة.. كتب الكتاب والدخلة..

ثم نهض من مكانه مستعداً للمغادرة وهو يقول.. سأذهب
لأعد مسكن الزوجية وأستعد أنا شخصياً.. وأتى إليكم الليلة
ومعي المأذون فتتم الإجراءات وأخذ العروسة معي لبيت
الزوجية.. العش الجميل.. وفي الغد نتقابل وقت شراء
الحديقة..

وما عليكم إلا تجهيز العروسة.. وأنا لست بحاجة أن أشرح لكم كيف يكون تجهيز الفتيات في مثل هذه المناسبات.. البركة في الست فاطمة..

واتخذ طريقه هابطاً الدرج من المزيرة إلى الطريق.. وإذا بصبي ينقض على الحاج بدوي كالسهم حاملاً في يده حجرة مدببة فيضربه على رأسه، فيشجها وتسيل الدماء من جبهة الحاج بدوي؛ حيث أحدثت الضربة جرحاً فوق القرون.. أقصد الزوائد الجلدية البارزة من جبهته..

كان هذا الصبي بكري حيث كان يستمع ويشاهد.. استرق السمع وفهم كل ما يحدث وأكلته نار الغيرة على أخته لبيبة وأنه لا يصح أن تكون زوجة لهذا الكهل ذو الزوجتان وعدد كبير من الاولاد..

حضر تو مرجى يسكن قريباً من جعفر وقام بعمل الإسعافات للحاج/ بدوي الذي أبدى تنازله عن حقه ومسامحته لبكري من أجل عيون العروسة بعدما عرف أن من ضربه وشج رأسه هو شقيق العروسة..

وبعد مرور ساعات قليلة.. حضر العريس.. الحاج/ بدوي
فياض لاصطحاب عروسه لبيبة إلى عش الزوجية الذي تم
تجهيزه على عجل بأبسط وأقل الأشياء في الطابق الثاني فوق
إحدى الدور التي يمتلكهما بدوي.. وبذلك صارت له ثلاث
زوجات وجميعهن يقطن داخل فناء واحد محاط بسور بلا
بوابة..

كانت فاطمة تحاول تمهيد الأمر لابنتها لبيبة وهي لا تتوقف
عن البكاء وبين كل لحظة والأخرى تذهب لتستعطف جعفر
ومحاولة إثناؤه عن قرار تزويج ابنته لبيبة لهذا الكهل القبيح..
دي بنتك.. دي لبيبة.. ترمي بنتك يا أبو عبد الهادي.. قلبي
سيتوقف.. ولن أسامحك..

حضر العريس في عربة يجرها حصانان.. وهو يرتدي عباءة
بنية اللون بحواف ذهبية فوق ملابسه الأزهرية وعمامته.. وانتظر
في المزيرة إلى أن ظهرت العروس الصبية الصغيرة مرتدية فستاناً
أبيض قديم وعليها بعض الزينة..

قبل بدوي رأسها والإبتسامة تملأ وجهه.. ثم نظر إلى جعفر قائلاً: على الموعد غداً بعد صلاة الظهر في الحديقة لأحضر لك مبلغ شراء الحديقة ومعه مهر وشبكة العروس والتي سوف يحكي ويتحاكى بها أهل البلد والبلاد المجاورة..
هنا.. ظهر الارتياح على وجه جعفر وشعر أنه تصرف بحكمة لأجل مصلحة الاسرة.

سارت العربة التي يجرها حصانان ببطئ لتبتعد عن الدار وقلب فاطمة يكاد يخرج من تجويف صدرها.. وبكاءها لا يتوقف وهي تمسك بذراع جعفر وتجذبه بشدة قائلة: بلاش.. بلاش يا جعفر.. أنا عايزة بنتي.. مش عايزة حدائق ولا أراضي ولا خدم ولا حاجة.. عايزة لبيبة تعود إلى حضني..
جعفر: مالك.. أنا لم أرمها في النار.. أنها الآن بصحبة زوجها..

وبعد مسافة من سير العربة.. نظرت لبيبة من احدى أجناب العربة وهي تمد يدها وكأنها تستغيث.. فإذا ببكري شقيقها.. يركض وراء العربة ولبيبة ناظرة إليه ويدها ممدودة.. ويستمر

بكري في الرض بأقصى سرعة وكل ما أوتي من قوة.. ثم تعثر
في مجرى الطريق.. فانكب على وجهه وتلطح وجهه بالطين
والتراب.. لكنه نهض سريعاً وواصل الرض لكن الحصانان
كانا بالتأكد أسرع منه وبدأت المسافة بينه وبين العربة التي تؤى
لبية تتسع أكثر وأكثر.. إلى أن اختفت وسط غياهب الطرقات
المظلمة..

عاد بكري.. والشعور بالظلم والقهر يأكل قلبه الضعيف..
وسط بكاء أمه.. لم يجد من يعزيه في فقدان أخته التي كانت
تلهو معه في كل الأوقات.. شعر أنه فقد الأخت.. ورفيقة اللعب
والصديقة.. ولم يشعر إلا وهو يقول.. باكرهك يا بدوى..
باكرهك..

لم يغمض لفاطمة جفن.. ولم تغفو للحظة وهي لا تستطيع
تخيل ماذا عساها لبية المسكينة أن تفعل وكيف لها أن تواجه
بجسدها الضعيف النحيل ذاك المارد في ليلة دخلة، أو لربما
ليلة عذاب أو ليلة قهر أو ليلة ظلم.. ليلة توحش.. لا.. أنها أقرب
إلى ليلة اغتصاب..

جعفر صامت في سريره بجوار فاطمة.. ولم يستطع هو الآخر من النوم عقله لا يتوقف عن المستقبل القريب.. بعد الحصول على الحديقة وتحسن أحواله المالية.. سيصير من الأعيان.. من الأغنياء.. ربما يستبدل داره بواحدة أكبر وأفخم ويتقل بالعربة الجلدية التي يجرها حصانان.. ويدخن السجائر الفخمة..

هذا المستقبل ليس ببعيد.. أنه في الغد.. بعد انقضاء سواد الليل وظهور فجر يوم الغد.. يستعد للذهاب إلى الحديقة، يرتدي أفضل ما لديه، وبعد صلاة الظهر يتقابل مع العريس زوج ابنته، نسيبه.. ليحصل على الأموال يدفعها ويمضي ويوقع على أوراق الملكية للحديقة ويصبح في سجلات الحكومة.. مالكاً وصاحب أرض شاسعة من أجود الاراضي.. والتي كانت في يوم من الأيام مملوكة لباشا..

الآن هو المالك الثاني بعد الباشا.. خليفة الباشا.. وبما إذا لم تلغى الباشوية لصار هو أيضاً.. الباشا جعفر.. أو جعفر باشا..



طلب بوريس من إيزابيلا تحديد موعد مع كارين وماتيلدا لعقد اجتماع رباعي.. ويفضل أن يكون في منزل بوريس حيث نما إلى علمه أن فيكتور يراقب منزل ماتيلدا طوال الوقت؟؟ وهو.. أي بوريس لا يفضل الظهور في الصورة إلى أن يستطيع فعل شيء حقيقي.. يفضل أن يظل في الصفوف الخلفية يتحرك بحرية دون أن يلفت انتباه فيكتور إليه لربما يفسد ما يفعله ولا يصح أيضاً اللقاء في الكاتدرائية مكان إقامة إيزابيلا.. لوجود الأب ديمتري والذي هو محط شبهة من جانب بوريس ولا يصح كذلك أن يلتقوا في مقهى أو أي مكان عام حيث أن الطاولات تكون متقاربة من بعضها.. وهو يريد أن يتحدث بحرية وأن يكون النقاش موضع سرية ولا يستطع سماعهما أحد..

كان بوريس يعيش في شقة صغيرة مع كلب له.. كلب ضخم لكن ودود للغاية.. وقد أطلق اسم «نوبل» على الكلب نظراً لاختلاصه له ووفاءه له على مدار 5 سنوات كان له فيه خير صديق ووخير معين وأنيس لوحدته بعد وفاة والديه ووهب

أخته إيزابيلا نفسها لخدمة الرب في الكنيسة والدخول إلى عالم الراهبات.. شعر بوحدة قاسية إلى أن أهدها أحد أصدقاءه جرّوا صغيراً بعمر ثلاثة أشهر ومن يومها وهما سوياً واستطاع نوبل أن يزيل شعور الوحدة من داخله..

جلست إيزابيلا بعد أن أستاذت من الكنيسة للخروج لقضاء بعض الحاجات والعودة بعد الظهر على أريكة مريحة في صالة شقة أخيها بوريس.. وبجوارها كارين وفي الأريكة المقابلة تجلس ماتيلدا وعلى سجادة سميكة استلقى نوبل على بطنه ماداً قدماه الأماميتان إلى الأمام وفتحاً فمه وبين اللحظة والآخرى يهز ذيله وهو ينتقل بنظره بين الضيوف

حتى إيزابيلا شقيقة بوريس لم يكن يعرفها حيث هذه هي المرة الأولى التي تزور فيها بوريس في شقته..

تحتسي ماتيلدا القهوة الساخنة أما إيزابيلا وكارين فكانتا تتناولان الشيكولاته الساخنة بالحليب..

وأمامهم يقف بوريس وكأنه الساحر الذي يقدم فقرة فنية عن
ألاعب السحرة في السيرك.. وقد وضع قبعة فوق رأسه وارتدى
قفازاً أسود..

وبدأ كلامه.. سيداتي سادتي إليكم الفقرة التي طال انتظارها
من الجميع اللحظة الحاسمة فقرة الساحر
ثم نظر إلى الثلاثة قائلاً: أين التصفيق أريد تصفيقاً قوياً..

صفقت إيزابيلا بمفردها بينما بدا التعجب والغضب على
وجه ماتيلدا وكارين ألهدا جمعتنا لتسلى ونحن في أزمة لتقدم
فقرة الساحر!؟

ضحك بوريس محبطاً ومتعجباً مما آثار غضب وإستياء
ماتيلدا وهي تنهض من مكانها.. عندما قابلتك في المرة
الأولى.. توسمت فيك خيراً وصدقت ما صرحت به من وقوفك
لجوارنا وإيمانك بقضيتنا، وإن هدفك هو نصره المظلوم والآن
أرى أمامي شخصاً سفيهاً يضحك ويمرح ويستعرض مهاراته
الفكاهية وأخيراً فقرة الساحر ولا يدرك خطورة ما نحن فيه

والأيام تمر والمهلة قد مر منها ٨ أيام وباقي ٢٢ يومًا على
انقضاء الشهر وسوف نعيش بلا مأوى..

نهضت أيضًا كارين ونظرت بغضب تجاه بوريس ثم تجاه
إيزابيلا الجالسة في نفس مكانها وعلامات الإستفهام تعلو
وجهها..

توقف بوريس عن الضحك.. وبعد أن اعتذر طلب منهما
الجلوس لبضعة دقائق..

بوريس: أنا فقط سعيد للنجاح الذي تحقق وفقرة الساحر هذه
ماهي إلا دعابه لكسر حالة الجدية الشديدة التي أراها مرتسمة
على وجوهكم دعوني اكمل فقرتي وسوف تفهمون..

نعود إلى الساحر سيداتي أنساتي سادتي الساحر اليوم لديه
ثلاث مفاجآت

ثم رفع القبعة التي يرتديها فوق رأسه وأخرج مظروف أسود
اللون ثم أشار إلى المظروف وقال داخل هذا المظروف..
تتكشف الحقائق ويحل جزء من اللغز..

ثم أخرج صورة كبيرة من الظرف الأسود ورفع الصورة أمام الجميع، هذه صورة فيكتور في منزله وهو خلف النافذة ويضع نظارة مكبرة من نوع فاخر وهو ينظر تجاه منزلك يا ماتيلدا ويتلصص ويراقب كل ما يحدث في بيتك وهذه تهمة يعاقب عليها القانون وبشدة..

نظرت كل من ماتيلدا وكارين لبعضهما البعض في دهشة..
وقالتا في صوت واحد يتجسس علينا..!؟

وارتسمت علامات الإعجاب على وجه إيزابيلا التي كانت تدرك أن فقرة الساحر هذه ما هي إلا دعابة وراءها الكثير، فهي تثق في بوريس بشدة

وضع بوريس الصورة جانبًا ثم أضاف...

سيداتي أنساتي سادتي.. إليكم المفاجأة الثانية..

ثم فتح المظروف الأسود مجددًا وأخرج منه أربعة من الصور.. عرض اثنان منهما بيده كي يراه الجميع.. أنها صور لمقابلة تمت بين الأب ديمتري وفيكتور.. ليست مقابلة واحدة.. إنما أربع مقابلات في أقل من أسبوع.. وهذه الصور هي توثيق

ودليل على تلك المقابلات.. ثم وجه كلامه لماتيلدا.. هل
مازلت تريدين الإنصراف وبغضب..

ابتسمت ماتيلدا في خجل وبصوت ملء باللهفة والشغف
لمعرفة التفاصيل قالت: اكمل من فضلك وأعتذر

وبابتسامة المنتصر استطرد بوريس مكملًا حديثه.. وبهذا
ندرك ونتأكد أن هناك علاقة غامضة ومربية تربط بين فيكتور
المتجسس أو الجاسوس وبين ديمتري الكاردينال وهذا سوف
نكشفه فيما بعد..

أما المفاجأة الكبرى التي سوف تثلج قلوبكم هي
ثم انتظر للحظات ليرى اللهفة والشوق في عيون الثلاثة..
وكانت أكثرهم شغفًا ماتيلدا

حسنًا بالأمس تم رفع دعوى في المجلس المحلي في الإدارة
القانونية بوقف القرار الذي صدر مسبقًا بإعطاء ماتيلدا مهلة شهر
لمغادرة المنزل وتم تحويل الملف بالكامل لمحكمة مختصة
بنزاعات العقارات..

وهذا القرار بالوقف لن يتم تفعيله لحين ذهاب ماتيلدا للتوقيع على الأوراق وتقرر أن هذه الدعوة رفعت بمعرفتها ولم تتم دون علمها وبهذا الخطر زال وأماننا وقت طويل في المحكمة للحفاظ على حقوق ماتيلدا والذي ساعدني في هذا أن ماتيلدا لم تقم بصرف الشيك بمبلغ مائتي ألف كورونا ولم تودع الشيك بالبنك..

ها.. ما رأيكم بهذا الإنجاز.. وهذا هو أول الطريق.. ما زال أماننا الكثير وأتعهد لكم أنني سوف أكشف عن المزيد من المفاجآت في الأيام القادمة فقط أحتاج لبعض الوقت..

نهضت ماتيلدا وركضت تجاه بوريس واحتضنته وضمته بقوة شكرًا.. شكرًا.. لقد أنقذتني أنا وابتني يبدو أنك بذلت مجهودًا كبيرًا لتصل إلى تلك الحقائق وتستطيع أن تلتقط صور لفيكاتور من وراء نافذة بيته وفي اللحظة التي يمسك بها بنظارتة المكبرة وينظر خلسة ما يدور في منزلي وأيضًا استطاعتك أن ترصد لقاءات فيكتور والكاردينال ديمتري، كل هذا يحدث حولي وأنا

لا أشعر، وأنا بكل سذاجة استقبل فيكتور في بيتي وأطلعته على
تفاصيل حياتنا وعن مشاعري تجاه يوهانسن..

وهو دائماً ما كان يسخر من وفائي ليوهانسن، ويؤكد لي
استحالة عودته وأني لابد وأن استفيق وأبدأ من جديد وفي
منزل جديد..

يااااا.. كم كنت غافلة وكأني أعيش في عالم غير هذا
العالم..

بوريس: مهلك.. أنا لم أفرغ بعد.. هناك ما هو أهم لتسمعونه..
والآن إليكم أيها السادة الأخبار العاجلة..
بعد البحث والتحري تأكد لنا الآتي..

أن مجلس تخطيط المدن سوف يعيد تخطيط مدينتكم
بالكامل وسوف تتحول إلى مدينة سياحية عالمية.. سوف يتم
إنشاء سلسلة فنادق عالمية ومدينة ملاهي تضاهي ملاهي ديزني
الشهيرة..

وسوف يتم تركيب تلفريك يربط بين الجبال وسيتم تنظيم
مسابقات عالمية للتزلج على الجليد وأيضاً سوف يقام مجمع

تجاري ضخمة للغاية يحوي مئات المتاجر ودور سينما كثيرة
ومطاعم..

لذا بدأت قيمة الأرض في الارتفاع بشدة وبدأ المستثمرون
الذين سوف يقومون بالبناء بشراء المنازل من الاهالي بثمان
بخس لمن لا يعلم الحقيقة وهدم تلك المنازل لبناء هذه
المشاريع الهامة..

واعتقد أن هناك مصلحة ما بين فيكتور والكاردينال ديمتري
وشركة التسويق العقاري التي تدعي شراء المنزل منك والتي
بينك يا ماتيلدا وبينهم نزاع قانوني وكما علمت من أحد
المحامين أن موقفك قوى للغاية حيث تلاحقهم شبهة الإتهام
بالتزوير والتحايل وخداع مواطنة..

نظر الجميع إلى بعضهم البعض وبدأت فرحتهم وابتسامتهم
في الظهور بعد أن استطاع بوريس بمعلوماته ومفاجأته أن يزيل
القلق والغموض الذي كان يساورهم وأضاف أيضًا هيا لا وقت
عندنا يجب أن تتوجهي يا ماتيلدا إلى المجلس المحلي للتوقيع

على أوراق الدعوة كي يتم وقف قرار مغادرتك لمنزلك هيا
تحركوا..

في الصباح جلس بكري على حجر أمام المنزل وكان بعض
الصبية يلعبون وطلبوا أكثر من مرة أن يشاركهم بكري اللعب
لكنه كان يجيب بالرفض ويشعر بحزن دفين بداخله فلقد تعود
منذ طفولته المبكرة أن يلعب ويلهو بصحبة أخته لبيبة وهذه هي
المرّة الأولى التي لا تتواجد فيها للعب معه وبضحكاتها البريئة
أين هي الآن، وماذا يحدث لها، وكيف يبدو هذا المسكن الذي
تسكن فيه شعر برغبة عارمة في البكاء لكنه حاول جاهداً أن
يحبس دموعه كي لا يلحظ بقية الاولاد بكاءه ويسخرون منه
ويتهمونه أنه مازال طفلاً مر من أمام أبيه جعفر الذي كان مرتدياً
ملابس لا يرتديها عادة إلا في المناسبات المهمة لم يلحظ
جعفر ابنه بكري بجلوسه فوق أحد الاحجار حزينا ولا يشارك
الأطفال اللهو أو اللعب..

سار جعفر بخطوات جادة وسريعة تجاه الحديقة؛ حيث اليوم هو يوم البيع وما أن وصل حتى سأل عن الحاج / بدوي هل وصل قيل له لم يصل أحد بعد وبدأ بعض الموظفون العاملون في لجنة بيع الأرض في الوصول وشاهده أحدهم، القى عليه السلام وقدم إليه كرسيًا كي يجلس عليه بعد أن شاهده واقفًا أمام البوابة الخارجية في انتظار الحاج/ بدوي محمل بالنقود القرض الخاص بالحديقة وأيضًا مهر وشبكة لبية تنفيذًا للإتفاق الذي تم بينهما بعد كتب الكتاب وقيل اصطحابه لبية لبيته..

مر الوقت على جعفر بطيئًا وحن وقت صلاة الظهر فذهب جعفر لأداء الصلاة وعاد مسرعًا كما كان يجلس أمام البوابة ليستمر في انتظار الحاج/ بدوي..

وبعد مرور ساعتين بدأ جعفر في الشعور بالقلق الشديد، وهو جالس أمام البوابة الخارجية ولا يدري ماذا يحدث في الداخل وإلى متى سوف تنتظره لجنة البيع لدفع مبلغ بيع الحديقة قبل أن يقرروا بيعها لغيره..

سار ببطء إلى داخل المبنى المقام بجوار البوابة.. سأل أحدهم إلى متى سوف تظل اللجنة باقية في عملها.. فهو في انتظار من سيأتي بالأموال الذي ربما سيتأخر قليلاً..

وإذا بالرجل يلقي بقنبلة في وجهه قائلاً: الحديقة بيعت من

ساعتين

جعفر: ماذا ماذا تقول أنت، أنا لم أشتري الحديقة بعد لا أفهم

الرجل: أنا لا أقصدك أنت، من اشتراها يجلس في الداخل

مع أعضاء اللجنة بعد دفع ثمن الحديقة والتوقيع على عقود

الشراء الآن هو المالك

جعفر: لا بد أنك تهذي لقد حصلت على وعد من أعضاء

اللجنة أن الحديقة سوف تباع لي ونقودي سوف تحضر قريباً

جداً مع نسيبي.. زوج بنتي

الرجل: والله أنا أخبرتك بما أعلم تستطيع أن تتأكد بنفسك..

سر إلى الداخل سوف تجد المالك الجديد يشرب الشاي مع

أعضاء اللجنة..

سار جعفر عبر ردهة طويلة ووصل إلى مسامعه صوت
ضحكات هو يعلمها جيداً ولم يمر وقت طويل على سماعها
يقرب أكثر وإذا به أمام من كان ينتظره لوقت طويل للغاية أمام
البوابة فعلاً نعم أنه هو الحاج/ فياض.. بدوي فياض..

جعفر: أنت هنا يا حاج وأنا منتظر.. أين النقود.. أسرع
دعني أسدد قيمة الحديقة وأوقع عقود البيع..

وإذا بأحد أعضاء اللجنة يوجه كلامه للحاج/ بدوي
ياللا يا حاج تفضل معي لتسلم محتويات المبنى الملحق
بالحديقة.. وتوقع على استلامه كما وقعت على استلام
الحديقة..

هاج وماج.. جعفر يصرخ بأعلى صوته ما هذا هذا جنون
أنا المالك الحقيقي للحديقة.. فعلتها من وراء ظهري يا
بدوي يا فياض.. تدعني أنتظر في الخارج وأنت هنا على بعد
خطوات مني.. توقع العقود.. وابنتي أين مهرها وشبكتها..

وهنا يضحك الحاج بدوي، ما خلاص يا جعفر الحديقة الآن ملكي وابتك الآن زوجتي.. بعد اذنك.. دعني اذهب معهم لاستلم املاكي الجديدة..

ركض جعفر ناحية الحاج/ بدوي وأراد أن يتهجم عليه.. لولا تدخل بعض رجال اللجنة واستعانوا ببعض الحراس لإخراج جعفر خارج بوابة الحديقة..

بعدهما استمعوا الامر مالك الحديقة الجديد الحاج/ بدوي.. ارموه بره..

نهض جعفر بعد أن ملأ التراب رأسه ووجهه وملابسه الجديدة.. سار عبر الطرقات وهو يبكي ويهذي بكلمات غير مفهومة الا له.. الحديقة.. لبيبة.. الحبيبة.. مهرها.. شبكتها.. أخذها ببلاش.. اتجوزها بلوشي.. ساقئك يا بدوي الكلب.. ساقئك..

عاد جعفر إلى أرضه الملاصقة لأرض الحديقة لم يجرؤ على العودة للدار ومواجهة فاطمة وأولاده وهو خائب خاسر

بملا بس متسخه.. بلا حديقة.. باع ابنته لأجل الحديقة.. وعاد بلا
لبية وبلا حديقة..

دخل ارضه الصغيرة ونظر ناحية الساقية الخشبية التي يجرها
الثور أمعن النظر ثانية فإذا به يرى الحاج/ بدوي بقرونه وزوائده
الجلدية مربوطاً في الساقية ويقف ساكناً..

ركض ناحيته وأمسك بعصا وإنهال بالعصا على الحاج/
بدوي المربوط بالساقية، الساقية تتحرك ببطء والثور بقرونه
يجرها، يزداد ضرب جعفر له ظاناً أنه بدوي فياض، يتحرك
الثور بشكل أسرع مع تزايد ضربات جعفر بالعصا على ظهره..
يسبه جعفر وتوعده بألا يتوقف عن ضربه حتى يعيد إليه الحديقة
ومهر وشبكة لبية.. تزداد عدد لفات الساقية مع ازدياد ضربات
جعفر للثور الذي يظهر في عينه بهيئة بدوي.. فيزيد له الكيل
لينتقم من غمرت المياه جزءاً كبيراً من الأرض الصغيرة.. لم
يتحمل الثور الضرب، وإذا به يطير في الهواء ويرفس بأرجله
الخلفية جعفر في صدره فيسقطه قتيلاً..

هرع طاهر مسرعاً إلى الصخرة القابعة على ضفاف النيل
وكأنها في انتظار طلته من جديد.. ضرب بيديه في التراب..
يحفر بسرعة إلى أن استخرج العلبة المصنوعة من الخوص..
التي صنعتها له أسماء بنت عمه قبل عدة سنوات..

عمي.. آه.. يا عمي.. الله يرحمك يا عمي.. وأخرج الريشة
الحمراء.. وظل ينظر إليها ودموعه تزرع بشدة.. موت عمه أعاد
له ذاكرته.. يوم وفاة أبيه وأمه أثر اصطدام وقع لهما من إحدى
سفن الفنادق العائمة.. وهما يقومان برحلة الصيد اليومية..

الآن.. صار بلا أب وأم.. وبلا عم.. لم يعرف بعد تفاصيل
موت عمه.. لكنه شعر أنه يريد أن يتلقى أول العزاء من الريشة
الحمراء.. قبل أن يتوجه إلى الخالة فاطمة وأولاد عمه..

أخرج ورقة وقلم.. وكتب تنازلاً عن نصيبه في الأرض
الصغيرة التي كانت ملكاً للأخوين.. جعفر ومسعود.. ومنذ
وفاة مسعود صارت ملكاً لطاهر.. وكانت تحت إدارة عمه طيلة
السنوات الماضية.. الآن يشعر أنه ليس له حاجة بها ويريد أن

تكون من نصيب زوجة عمه الخالة فاطمة.. الطيبة الحنونة الصبورة والتي أحسنت تربيته منذ وفاة أمه وأعطته من الحنان ربما أكثر من أولادها.. فصار يشعر تجاهها بمسئولية كبيرة وكأن الدهر والقدر لم يقدر لها أن تعرف طعم الراحة..

سار باتجاه منزل عمه.. كان المنزل خاوياً.. حيث ذهب الجميع إلى المقابر.. حيث يستقر جثمان جعفر في مكانه الأخير إلى أن تقوم الساعة..

طلب من بعض الجيران أن يشهدوا على ورقة التنازل حتى تصبح مستنداً رسمياً.. بعدها توجه إلى المقابر.. لم يكن هناك صراخاً أو نحيباً.. فقط بكاء بلا صوت مرتفع..

وكانت الخالة فاطمة صامته.. فقط تزرف دمعاً غزيراً بلا توقف.. كانت الخالة فاطمة تحب جعفر حباً شديداً.. ربما لم تبح بحبها في كلمات منمقه.. فهي من النوع الذي يحب بأفعاله ومواقفه.. لا بالكلمات.. كانت ترى فيه الحبيب والصديق.. رجل بمعنى الكلمة.. ولأجل حبها له كانت تحب كل ما ينتمي إليه.. تحب عائلته.. فلقد أحبت أخيه مسعود وزوجته صفية..

وبعد موتهما.. طلبت هي أن تقوم بتربية ولدهما الصغير
طاهر.. كانت تحب صوته.. طريقته في السير.. تحب الطعام
الذي يحبه.. حتى ملابسه.. لقد أحببت ملابسه وكانت تغسلها
وتضعها على حبل الغسيل لتجف بحب.. كانت تنتظره كل ليلة
ولا تستطيع أن تطلق العنان لجفنيها أن يغلقا لتغفو قبل أن يدخل
هو حجرة النوم لينام وتضع الغطاء فوقه كأنه طفل صغيراً.. ابنها
وحبيها..

كانت تحب أحلامه وتطلعاته.. ربما تخاف من تلك
الطموحات التي بلا حدود لكنها كانت تحب فيه تصميمه
للوصل لمكانة أفضل.. فكان دائماً يقول.. أنا بعمل كدة مش
علشان نفسي.. علشانك والاولاد..

المرة الوحيدة التي خالفته فيها وأبدت عدم رضاها
واعترضها الشديد.. هو طريقة زواج لبيبة.. لبيبة الحبيبة.. بل
لبيبة المسكينة.. زواج في قالب من الذل والمهانة.. ابنتي تتزوج
في يوم واحد بلا فرح أو فستان أو مدعوين.. بلا زغاريد.. بلا

صور.. بلا فرحة.. أخذها ذلك الحقير.. الذي يعث في الأرض
فسادًا..

ولم تكمل فاطمة الجملة إلا شاهدت الحاج بدوي يمد يده
لها يقدم لها العزاء..

وإذا بالمرأة الباكية الصامته.. تنتفض من مكانها وتتحول
لوحش كاسر فتنتفض على الحاج/ بدوي وتنهال بالضرب على
وجهه..

تقتل القليل وتمشي في جنازته..

ربنا ينتقم منك.. أيها القاتل.. اللص.. قتلت زوجي وسرقت
ابنتي لن تنعم بأي شيء في الدنيا ولا في الآخرة..

حتى لو لبست ألف جبة وألف عمة وألف قفطان.. ملابس
الأزهر لن تشفع لك عند من لا تضيع لديه الودائع والحقوق..

اختصمتك أمام العادل القادر إلى يوم الدين..

قضى طاهر أصعب اسبوع له في بيت عم عبد القدوس
وحضر أ/ علوي ود/ عدلي لتقديم العزاء لفاطمة..

وبعد ضغوط شديدة من طاهر قبلت الخالة فاطمة على مضض أن تأخذ ورقة التنازل عن نصيبه في الأرض والآن صارت ملكاً لها..

طلبت فاطمة من طاهر أن يظل معهم الفترة القادمة فهي تحتاج وجوده بجوارها تحتاج كل ما هو نقي.. كي يطرد الخبيث..

فكان طاهر ينهي عمله في البنسيون.. ثم يعود في نهاية اليوم للبقاء مع الخالة فاطمة.. يستذكر دروسه ويساعد أولاد عمه في مذاكرتهم..

البيت ليس هو البيت.. حالة من الهدوء القاتل.. لا روح ولا غطاء للبيت بدون جعفر.. المزيرة صارت مهجورة.. بلا جليس.. بعد أن كانت من قبل لا تخلو من الزائرين.. لا تخلو من النقاش والضحكات وسط أكواب الشاي التي لم تكن الخالة فاطمة تتوقف عن تقديمها..

وفي كل يوم يعود جعفر من الأرض حاملاً معه حسب الموسم.. المتنوع من الخضروات والفواكه ويمر على السوق

فيحضر لهم الأسماك.. من نفس نوع الأسماك التي كان يصطاده
أخاه مسعود هو وزوجته صافية..

رحم الله جميعهم وادخلهم فسيح جناته.. هذا ما تتمم به
فاطمة دائماً..

تسمع ماتيلدا صوت طرْقاً على الباب.. تشعر ببعض
الإعياء، تذهب كارين لتفتح الباب فإذا به بوريس وبجواره أخته
إيزابيلا ومعهم نوبل الكلب الوفي.. رحبت كارين بهم مازحة
مع إيزابيلا، صرّت تستأذنين للخروج خارج الكنيسة كثيراً..
سيطردونك ولن تصيري راهبة كما تحبين، ضحك ثلاثتهم
وأخبرتهم كارين أن ماتيلدا تشعر ببعض الإعياء ولم تذهب إلى
العمل بمكتب البريد اليوم..

بوريس: لكنني أريد أن أحدثها في أمر ما.. لدي أخبار هامة
لللغاية وسوف تكون أكبر الخاسرين إذا لم تستمع لما أحمله
إليها..

رحبت ماتيلدا بهم في حجرة نومها واعتذرت عن عدم قدرتها من مغادرة فراشها..

بوريس: لا عليك من كل هذا.. هلا اعرتمونني انتباهكن، لدي رغبة جامحة في أن أكمل عرض الساحر الذي بدأته منذ عدة أيام..

اليوم الجزء الثاني

ثم نظر إلى رد فعلهن.. لم تغضب ماتيلدا كما حدث في المرة السابقة.. حيث ازدادت ثقتها في بوريس.. وصارت تفهم طريقته في المزاح.. لكنه مزاح لا يخلو من الجدية وعدم الإهمال وتحمله للمسئولية.. وتفهمه الكامل بكل الظروف التي تمر بها.. ابتسمت ماتيلدا قائلة: لقد جعلتني أحب فقرة الساحر.. رغم أنني لم أكن أنجذب لها في طفولتي..

بوريس: بمساعدة بعض الزملاء المتطوعين لمساعدتكم، تمكنا من معرفة معلومة هامة للغاية.. وهي أن الأب ديمتري الكاردينال قد بدأ حياته وإتحاقه بالكاتدرائية وهو في بدايات

العشرين من عمره.. وعلمنا أنه كان قادمًا من روسيا.. فهو ليس
من أصول سويدية..

تبعنا تاريخه وحياته منذ أيام كان في روسيا عبر مراسل
الجريدة في موسكو وبالأمس فقط جاء لنا بالخبر اليقين..
هل أتن على استعداد لسماع المفاجأة.. اسمه بالكامل
ديمتري ازجينوف

كان يعمل محاسبًا بأحد البنوك.. وتمكن من إختلاس أموالاً
كثيرة من البنك بمساعدة ابن عمه فيكتور..
فتح الجميع أفواههن.. ماذا؟ فيكتور ابن عم الأب ديمتري
!!!!!!

بوريس: نعم.. دعوني أكمل
واستطاعا ترتيب امورهما من خلال مكتب التصدير الذي
مد لهما يد العون واستطاعا عن طريقه من أن يقوموا بغسل
الأموال عن طريق شراء صفقة من الجلود والفرو وتصديرها
إلى السويد.. ثم حضرا هنا وقاما ببيعها.. وجنيا أموالاً كثيرة..
والتحق ديمتري بالكنيسة ليغسل سمعته كما غسل أمواله.. ولم

يلتحق فيكتور بأي عمل ربما لاحظته يا ماتيلدا أنه لا يعمل على الإطلاق وهذا غريب، حيث كان ينفق طوال السنوات الماضية من الأموال المختلصة والمغسولة بعد أن اقتسامها فيما بينهما وعندما اقتربت أموالهم أن تفرغ، خاصة أن فيكتور مدمن للخمر ولعب القمار وقد خسر مبلغ لا بأس به من أمواله..

أما ديمتري فهو دائم الشره لشرب الخمر عندما يختلي بنفسه في آخر اليوم وقد استطاع طيلة السنوات الماضية أن يتصرف ككاهن وراع للكنيسة واستطاع كسب وثقة من حوله.. والإبقاء على منصبه دون أن يكتشف أمره.. لذا وصلت إلى مسامعه أبناء عن تطوير المنطقة وتحويلها إلى منتجع سياحي فاخر للغاية لذا حاولوا شراء الكثير من المنازل بثمان بخس، وبيعها للشركة العقارية بثمان أكبر بكثير ومن دورها تجني الشركة الكثير من الأموال بعد أن تقيم عليها المشروعات الفاخرة السياحية وتقوم ببيعها بأثمان خرافية.. فمثلاً منزلك هذا يا ماتيلدا دفعوا لك فيه مائتي ألف كورونا رغم أنه يساوي الآن أكثر من اثنين مليون كورونا سويدي.

لدي جميع المستندات التي تثبت صحة كلامي ومعلوماتي ..
ولدي صورة من قضية الإختلاس من البنك وبعض الأوراق التي
تخص تصدير الجلود والفرو للسويد واستطعت أن أحصل على
صورة لشهادة ميلاد كل من ديمتري وفيكتور، ونحن جاهزون
لتقديم تلك المستندات للجهات المختصة وإرفاقها بالدعوى
التي نتهمهما فيها بالخداع والغش التجاري .. والتجسس من
قبل فيكتور وإنتهاك خصوصيتكما .. وأيضاً أن كليهما مطلوباً
على ذمة قضية شرف .. قضية إختلاس من البنك .

خيم الصمت على كل من ماتيلدا وكارين وإيزابيلا ..
المفاجأة كبيرة وغير متوقعة .. والمعلومات كثيرة .. ولولا ثقتهم
في بوريس لظن الجميع أن كل هذا من تأليفه ..

تم الإتفاق على تكليف محامي برفع الدعوى المطلوبة والتي
تضع الأمور في نصابها .. وإمداده بكل المعلومات والوثائق التي
بها يكشف كلا من ديمتري وفيكتور وشركة التسويق العقاري
وأيضاً إرجاع حق ماتيلدا في إعادة تسعير وتثمين منزلها وفق

المعطيات والمستجدات الراهنة والتي ترفع سعر البيع إلى أكثر من عشرة أضعاف ما تم عرضه من قبل شركة التسويق العقاري المتأمرة مع ديمتري وفكتور وأيضا مخاطبة الكاتدرائية بتاريخ ديمتري الإجرامي وهروبه بالأموال بعد إتهامه في قضية إختلاس حكم فيها ضده..

نامت ماتيلدا ليلة من أفضل ليالي حياتها.. رفع الظلم هو انتصار للحق والله هو الحق.

أمسكت بصورة يوهانسن التي بجانبها على الطاولة الصغيرة.. وحدثتها كالعادة.. يوهانسن حبيبي أعلم انك دعوت لي كثيرا وطلبت مباركة الرب في كل ما نسعى إليه للخروج من ازمنا وان لك يدًا في كشف الحقائق.. استوحشتك كثيرا لكن روحك دائما بجواري وصوتك مسموع في أذني.. وابتسامتك الحانية لا تفارقني..

تم تحديد ميعاد للمحكمة.. وقام القاضي بإلزام شركة التسويق العقاري بدفع مبلغ اثنان مليون كورونا سويدية لماتيلدا

وفوقهم مائتي ألف أخرى على سبيل التعويض عن الضرر
المعنوي الذي تعرضت له هي وابتتها..

وهنا طلب ممثل شركة التسويق العقاري أن يدفع نصف
المبلغ الآن والنصف الآخر بعد خمس سنوات..

سكت القاضي لبعض الوقت ثم أصدر قراره:

تمت الموافقة على أن تدفع شركة التسويق العقاري نصف
مبلغ شراء المنزل الذي يساوي مليونان كورونا في غضون
ثلاثة أيام وتدفع أيضاً التعويض المادي والذي يبلغ مائتي ألف
كورونا.. أي تدفع الشركة مبلغ مليون ومائتي ألف كورونا في
غضون ثلاثة أيام من الآن.. وتدفع بعد خمس سنوات مبلغ
مليون كورونا أخرى لكن لن يتم تسليم المنزل إلا بعد خمس
سنوات مع تسليم ماتيلدا المبلغ المتبقي..

هنا بهت مندوب شركة التسويق العقاري فقد ظن أنه سيدفع
النصف الآخر بعد خمس سنوات لكنه سيستلم المنزل فوراً..
لهدمه وإقامة وإستكمال المشروعات على الأرض.. لكن
القاضي وكأنه وضع خنجرًا في صدره..

هذا يعني أن ماتيلدا سوف تحصل على مليون ومائتي ألف كورونا وسوف تحتفظ بالمنزل لتقييم فيه لمدة خمس سنوات ثم تحصل على مليون أخرى وبعدها تغادر المنزل..

عقل طاهر لم يتوقف عن التفكير.. موت عمه أيقظ حين غير عادي تجاه أبيه وأمه.. شعر أنه يفقد أفراد أسرته واحداً تلو الآخر..

ومن لم يفقده بسبب الموت الذي لا يد لأي انسان في رفضه أو قبوله.. أو تأجيله.. يفقده بسبب البعد.. أو فتور العلاقة.. الخاله فاطمة.. جمعت حنان أمه صافية مع حنان وحكمة أبيه مسعود.. وقدمته له في كوب يشرب منه كل يوم.. حتى صار في سن صغيرة يتمتع بحكمة وتحمل مسؤولية قلما تجدهم في صبي آخر..

هو الآن قارب على الخامسة عشرة ويشعر بمسئولية كبيرة
تجاه أولاد عمه والخالة فاطمة.. نفس المسؤولية التي يشعر بها
تجاه عم عبد القدوس..

أول من علمه مهنة الطهي وأعطاه من الأسرار ما لم يعطه
لأحد.. ثم أهداه الأدوات وأطقم المطبخ والتي هي مصنوعة
من الفضة الخالصة ومحفور فيها أول حرف من اسم الملك
فاروق بالانجليزية..

لم يشعر بأنه جرح يده اليسرى وهو يقطع ثمرة بصل.. مرت
السكين الحامي للغاية فوق إحدى أصابعه فجرحه..

هرع سريعاً ليضع ضمادة فوق أصبعه وقت دخول أ/ علوي
الذي بدا الفرح والسرور على وجهه قائلاً: يا طاهر اليوم كانت
محاكمة زكريا وتوحة،

زكريا عوقب بالسجن لمدة خمس سنوات عن مجمل
قضاياه، أما توحة فعوقبت بثلاث سنوات

بعد مرور عدة سنوات

تدرس كارين في السنة النهائية في كلية الصيدلة حيث وجدت ضالتها وسط الأعشاب والأدوية والتركيبات الكيميائية، علم شيق للغاية..

صارت أنسة.. طويله القامة بجسد ممشوق نحيف، بشرة بيضاء مع حمرة في الوجنتين، شقراء الشعر، شفتان ورديتان، وأسنان بيضاء لامعة تظهر مع كل إبتسامة ساحرة.. تضيء المكان من حولها..

ورغم مرور سنوات إلا أن ماتيلدا ازدادت جمالاً وجاذبية وكأن تأثير السنوات توقف أمامها ورفض أن يترك آثاره عليها.. فلا تجاعيد بالوجه، ولا انحناء بالظهر ولا شيب بالرأس، بل على العكس عاشت أجمل أيامها.. ولم تتوقف خلالها عن الذهاب اسبوعياً كل يوم أحد في الصباح بعد الصلاة في الكنيسة التي لم يتواجد بها ديمتري أو فيكتور.. اللذان تم تسليمهما للسلطات

الروسية عبر اتفاقية لتسليم المجرمين.. موقعة بين السويد وروسيا..

تنتظر بلهفة كالعادة ربما يظهر يوهانسن، وبصحبتها كارين والتي انتقلت إليها العدوى وصارت متلهفة أكثر من ماتيلدا على لقاء أبيها للمرة الأولى..

وطوال تلك السنوات.. كانت الريشة الحمراء مصاحبة لكارين في كل تفاصيل حياتها؛ فهي الوحيدة التي تأتمنها كارين على أسرارها فهي تضمن أن الريشة لن تبوح بأسرارها عكس البشر ربما يفعلون..

قدمت الجامعة للطلاب المتفوقين منهم منح دراسية لعمل أبحاث على النباتات في البيئة الطبيعية وتكون على نفقة الجامعة وتم تحديد ثلاث مناطق على مستوى العالم، على أن يقوم الطالب بتحديد المكان الذي يرغب في عمل أبحاث فيه وبالتعاون مع الجامعات المختصة في تلك الدول وبالتنسيق مع الجامعة في السويد..

المنطقة الأولى هي شيلي في أمريكا الجنوبية

والمنطقة الثانية هي تايلاند في آسيا
والمنطقة الثالثة هي مدينة أسوان بجنوب مصر في افريقيا..
وبعد أن قرأت كارين أسماء الثلاث دول قفزت في الهواء
فرحاً حيث ساعدها القدر أن تدرس علم النباتات الذي تحبه
وأيضا تتمكن من التعرف عن قرب من الحضارة المصرية
القديمة، والتي استحوذت على وجدانها منذ الصغر.
وهنا ابتسمت وهي تتذكر الأب ميخائيل، القس المصري،
فهي تعلم أنه من مدينة أسوان يا للمصادفة، هل يتسنى لي
مقابلته مرة أخرى.. ولكن هذه المرة في مدينة أسوان حيث
المعابد والمزارات الفرعونية الشهيرة والتي نمت على ضفاف
النيل أعظم وأطول أنهار العالم..
هل يتذكرها الأب ميخائيل، هي مازالت تحتفظ بالورقة التي
دون فيها اسم الكنيسة وعنوانها وأيضاً أرقام تليفوناته..
بالفعل.. قدمت أوراقها للمنحة وحسمت اختيارها مصر،
إنها أسوان.. مدينة التاريخ والحضارة والعلوم الإنسانية..

في السنة النهائية من كلية السياحة والفنادق، يقوم طاهر بالدراسة النظرية داخل أسوار الجامعة ثم يقوم بالدراسة العملية داخل احدى الفنادق وبين هذا وذاك فهو منتظم في إدارة شئون المطبخ في البنسيون.. وكانت هذه أهم الأشياء التي تعلمها من عم عبد القدوس.. وهي كيفية تنظيم الوقت، تنظيم الأولويات، كيفية تحمل المسؤولية وتحقيق النجاح على صعيد الدراسة والعمل وحتى الهواية..

وبدوره.. فقد تعلم عم عبد القدوس هذه المبادئ والمعاني خلال فترة تتخطى الثلاثين عامًا قضاها بالقرب من ملك مصر.. الملك فاروق وعائلته وكل العائلات الارستقراطية في مصر في ذلك الوقت..

أ/ علوي توسع في عمله كمرشد سياحي ففتح مكتبًا سياحيًا لتنظيم العمل مع الأفواج السياحية التي تصل إلى أسوان عن طريق شركات السياحة الأجنبية والتنسيق فيما بينهم لإبعاد

وتذليل كل العقبات لضمان إقامة سعيدة وممتعة لكل سائح
يصل إلى مدينة أسوان..

أما/ عدلي فقام بإفتتاح عيادة خاصة به، فيعمل في
المستشفى صباحًا وفي عيادته الخاصة في المساء..

والتي أختار لها موقع متميز أمام محطة أسوان وقد صار
معروفًا لدى أهل أسوان وبات محل ثقة المرضى؛ فيحضرون
إلى عيادته خصيصًا العنوان سهل في ميدان المحطة أمام محطة
القطار مباشرة بياطرة كبيرة مضيئة بالعربية والانجليزية.. عيادة
د/ عدلي غبريال



قامت كارين بالإتصال برقم التليفون المدون في الورقة
الصغيرة بخط الأب ميخائيل أجاب الأب ميخائيل الهاتف
وكانت المفاجأة أنها كارين..

فقد نسى أنه منذ بضعة أعوام تقابل معها في الكاتدرائية في
ستوكهولم - السويد.

ذكرته بنفسها ولم تمض إلا لحظات حتى تذكرها وكان سعيداً للغاية لسماع صوتها وتلقيه مكاملة منها، اطلعت على آخر التطورات وأنها اختارت أن تقوم ببعض الأبحاث في مدينة أسوان، وهي تطلب مساعدته في ترتيب إقامتها، أغلق الأب ميخائيل الهاتف وهو سعيد للغاية، ثم اتصل بالإستاذ علوي ليطلب منه حجز حجرة لضيافته السويدية..

مرت الأيام سريعاً.. وها هي كارين تجلس في الطائرة المتجهة من ستوكهولم إلى باريس في فرنسا، ثم عليها أن تلحق بطائرة مصر للطيران والتي تقلع بعد ساعتين والمتجهة من باريس للقاهرة..

وكانت كارين قامت بعمل جميع ترتيبات الحجز عن طريق شركة سياحية.. حجزت من ستوكهولم عن طريق الطيران الاسكندنافي «ساس» إلى باريس، ثم حجزت أيضاً من باريس للقاهرة وايضاً استطاعت أن تحجز قطار النوم المتجه من القاهرة لأسوان والذي سوف يصل لأسوان في الثامنة صباحاً في اليوم التالي لوصولها لمطار القاهرة..

وكان الأب ميخائيل.. اتفق معها أن تهاثفه من مطار القاهرة
كي يرتب استقبالها في محطة قطار أسوان..

هبطت طائرة الخطوط الجوية الاسكندنافية (ساس) في مطار
باريس (شارل دي جول) الذي تجولت فيه كارين بعض الوقت
لشراء بعض الهدايا الفرنسية، ومنها بلوزة لطيفة لونها وردي
وعليها صورة ضخمة لبرج أيفل باللون الأسود، ثم توجهت
إلى حيث البوابة التي ستستقل منها طائرة شركة مصر للطيران
المتجهة للقاهرة..

بعد أن حادثت أمها ماتيلدا هاتفيًا للإطمئنان عليها؛ حيث
كانت هذه المرة الأولى التي يفترقا فيها منذ ولادة كارين منذ
أكثر من عشرين عامًا..

جلست كارين بجوار النافذة في الطائرة وهي سعيدة للغاية
ومتشوقة لزيارة البلد التي طالما حلمت بزيارتها، وقد جمعت
معلومات كثيرة عن الأماكن الهامة للزيارة في القاهرة وفي مدينة
أسوان حيث سيستقر بها الحال، وكانت أيضًا متشوقة للتعرف
عن قرب على عادات الشعب المصري ملابسهم ومنازلهم

العادات النسائية، ثم الأطعمة المصرية التي يستخدم فيها الثوم والبصل بكثرة كما سمعت، كذلك كانت شغوفة لمعرفة معلومات عن اللغة العربية وتعلمت كلمة شكرًا وكلمة صباح الخير وكانت ترددهما بكثرة خوفًا من النسيان خاصة أنها تواجه صعوبة في نطق حرف الخاء والعين..

وعندما جاء ميعاد تقديم الطعام في الطائرة، كان مكون من أرز أصفر مع بعض قطع صدور الدجاج المخلية مع بعض البازلاء المسلوقة..

لم يكن هذا ما توقعته.. أنه طعام يشبه ما تأكله في السويد، كانت تمنى نفسها بطعام مصري..

مر الوقت في الطائرة سريعًا، وكارين بين قراءتها لمجلة حورس المتاحة مجانًا، على متن الطائرة وبين التفحص في وجوه بعض الركاب، ومضيفات الطائرة اللائي كن على أعلى درجات المهنية والترحاب بالركاب وتلبية طلباتهم..

سمعت كارين صوت قائد الطائرة يعلن أن الطائرة تدخل الآن الأجواء المصرية..

وبعدها بلحظات سمعت قائد الطائرة يعلن مرة أخرى أنهم يطيرون فوق الأهرامات الثلاثة ومن وراءهم نهر النيل، وكان هذا المنظر الساحر بألوانه الصفراء البرتقالية وقت غروب الشمس، لتشهد أهرامات الجيزة قابعة وراسخة في مكانها وحولها الرمال تحيط بها وأمامهم الحارس الأمين.. تمثال أبو الهول المهيب برأس انسان وجسم أسد قابعا بشموخ العظماء حاميا للأهرامات والشمس تلقى بألوان الغروب فوق قمم الأهرامات لتضيئها وتضيء جوانب منها..

أخرجت الكاميرا سريعا والتقطت لقطات كثيرة متلاحقة قبل أن تبعد الطائرة إلى أن وصلت الطائرة بالقرب من نهر النيل، وشاهدت النهر بطوله وشعاع الشمس ساطع فوقه بألوانه البرتقالية والحمراء وتحولت صفحة مياه النهر كأنه مرآة تعكس الشمس المقاربة على الإختفاء وما تبقى منها من ضوء فتحول معها النهر كأنه عقد طويل من الذهب، شعرت كارين بقشعريرة تسري في بدنها بعد مشاهدة تلك المشاهد المهيبة..

ظل هذا المنظر الرائع الخلاب ملئ عينيها حتى أعلن قائد الطائرة عن هبوط الطائرة على مدرج مطار القاهرة الدولي.. استقلت سيارة أجرة إلى محطة قطار رمسيس.. وهناك أمام محطة القطار.. اشتمت رائحة شواء ودخان كثيف ينفث من مطعم أمام المحطة.. لم تستطع مقاومة الرائحة وأن تمنع شغفها لتذوق الطعام المصري..

إلتهمت الكثير من اللحوم المشوية والكبدة على مختلف أشكالها وأصنافها.. إلى أن شعرت بالإمتلاء ثم سارت إلى داخل محطة القطار لتستقل القطار المتجه إلى أسوان.. كانت الحجرة الصغيرة أو الكابينة في قطار النوم بها سرير صغير وطاولة وحوض صغير شعرت بالسعادة وأنها مقبلة على مغامرة تبدو ممتعة..

قضت ليلة سعيدة للغاية، حيث تركت الكابينة واتجهت إلى العربية المطعم وهناك احتست كوباً من الشاي مع بعض الحلوى الشرقية.. التي أعجبتها للغاية وطلبت منها كمية أكبر..

وما أن حل الصباح وأشرف القطار على دخول محطة أسوان ووجهته النهائية حتى شعرت كارين ببعض الإعياء وسارت ببطء وهي تجر وراءها حقيقتان كبيرتان بهما أمتعتها..

وفي خارج المحطة، تفحصت في وجوه المنتظرين على الرصيف الممتد شاهدت رجلاً أسمر اللون تبدو على ملامحه الطيبة والهدوء.. ويحمل يافطة مكتوب عليها بالانجليزية كارين يوهانسن توجهت إليه على الفور..

وما أن ألتقت به وعرفته بنفسها إلا وآلام حادة في بطنها، شعرت بإعياء شديد وكادت أن تسقط على الأرض..

نظر الرجل الذي يعمل كسائق الخاص لدى الأب ميخائيل حوله فوجد يافطة دكتور باطني أمام المحطة، فساعد كارين على الوصول إلى عيادة الطبيب وكانت مواعيد العمل هي من الخامسة مساءً إلى التاسعة.. وكانت الساعة تدق الثامنة والنصف صباحاً.. فالعيادة مغلقة الآن لكن السائق أمعن النظر ثانية ليجد باب العيادة مفتوحاً وبه أصوات بالداخل.. كان د/ عدلي حاضرًا مرتدياً سترته وليس معطف الأطباء وبصحبته

أثنان من عمال إصلاح أجهزة التكييف، حيث حضر خصيصًا لإصلاح بعض العيوب في أجهزة التكييف..

دخل السائق وأخبره أن معه مريضة في حالة أعياء شديدة هنا تفرغ د/ عدلي لمساعدة كارين للدخول إلى العيادة وإلى حجرة الكشف، وبعد عمل اللازم اكتشف أنها تعاني من تلبك معوي نتيجة لتناول كمية من الأطعمة الدسمة والتي ربما جسدها وجهازها الهضمي غير معتاد عليها..

مرت الليلة على ماتيلدا وكأنه أسوأ كابوس يمكن أن تراه طيلة حياتها.. أول مرة تعرف معنى الوحدة الحقيقية، طيلة السنوات الماضية، ظنت أن أسوأ ألم هو ألم فراق الحبيب ولكنها اكتشفت أن غياب الأبنه هو ربما أسوأ بكثير..

ظلت قابعة في فراشها.. تخاف أن تبرحه حيث سببت لها الوحدة نوع غريب من الخوف.. لا تفعل شيئاً إلا أنها تضع الغطاء فوقها وهي تمسك بصورة يوهانسن.. وضمت إلى جوارها صورة اخرى لكارين..

صار فراشها تحت حماية كارين بجانب الحراسة المعهودة
والحماية والدفء الذي كانت تستمده من وجود صورة
يوهانسن وروحه التي دائماً ما تحوم حولها لتوفر لها الدفء في
أيام الشتاء البارد..

فعلينا الآن أن تواجه برودة الطقس بجانب الوحدة الحقيقية
هربت بعض قطرات من الدمع الذي ملأ مقلتيها.. وكأنه يريد
ترك عينيها ليفسح المجال لدموع جديدة تريد أن يكون فيها
العوض والمواساة عن غياب كارين الجميلة..

لم تكن لتعلم أبداً أن سفرها لعمل أبحاث عن النباتات في
مصر، سوف يترك فراغاً هائلاً في البيت وفي حياتها لدرجة أنها
فكرت أن تلحق بها وتسافر إلى مصر.. لكنها تراجع بعد أن
تلقت منها مكالمة من مطار باريس..

تقترب فاطمة من الدخول إلى البوابة الرئيسية للمقابر، المدافن التي فيها زوجها وحبيبها جعفر وما أن اقتربت من مرقد الأخير.. المقبرة المدفون فيها جثمانه سمعت صوت بكاءً ونحيبًا، سمعت من تقول اتوحشتني يا بوي، رغم أنك حكمت علي بالإعدام في أيامك الأخيرة رضيت بنصبي لكن من الواضح أن القدر لا يرضى لي بالراحة والهناء، جئت لاشتكي إليك ظلم الدنيا لي، صرت زوجة في الرابعة عشرة، ثم أمًا في الخامسة عشرة، والآن لدي ثلاثة بنات.. جئت أشتكي إليك من زوجي هذا الرجل الذي استبدل قلبه ووضع مكانه قطعة من الطوب العفن.. سيتزوج للمرة الرابعة الحاج ذو الملابس الأزهرية المعمم سيتزوج الرابعة ولن يتزوج حبًا في الزواج أو أنه يهيم حبًا في العروس الجديدة؛ إنما سيتزوج حسب ما صرح لي لكي يجهز علي لكي يقتل ما تبقى بداخلي فقط لأنني انجبت ثلاثة إناث وكأنه ذنب يجب أن أكفر عنه أو غلطة يجب أن أندم عليها وأدفع ثمنها من كبريائي يقابل خلفه البنات الجميلات

البريئات بالكيد لي وإيقاظ نار الغيرة واللوعة داخلي، ياله من أحرق ادخلتني في صفقة تبادلية أنا بروحي وقلبي وجسدي مقابل القرض من رجل اخذني دون رغبة، دون حب أو حتى موافقة مني، وكرهته منذ أول لحظة رأيته فيها، وكرهته أيضاً ليلة الدخلة أسوأ ليلة في عمري فقد قتل طفولتي أنوثتي وهو جاثم فوق بدني وفوق روحي بجسده التنتن..

سقطت فاطمة على ركبتيها وهي تبكي بشدة، لكن بكاء بلا دموع حيث جفت دموعها على مر السنوات، ولم تعد في مقلتيها أي مخزون من الدمع الغدد توقفت عن إفراز أي دمع..

لم يتبق لها سوى كسرة النفس وجرح القلب والنحيب بصوت مسموع وأحياناً أخرى بصوت مكتوم وكأنه يرفض أن يخرج.. تعانقتا طويلاً.. وجلستا مستندتان بأظهرهن على جدار المقبرة وبعجوار قطعة الرخام المكتوب عليها اسم المتوفي المرحوم جعفر وكأنهن ليس لهن سنداً إلا جعفر حتى بعد موته بسنوات.. أخرجت لبيبة كل ما بداخلها إلى أن شعرت بالإرتياح، ثم استمعت لأمها فاطمة والتي بدورها تحدثت في كل شيء وعن

كل شيء إلى أن ارتاح قلبها قليلاً وكان أغرب خبر أخبرت
(فاطمة) به (ليبية) هو موقف إبنها الكبيران عبد الهادي ورشيد،
فقد استحوذوا على قطعة الأرض ورفضوا أن يكون لأحد السلطة
عليها وصار يقبضان ربحها بالكامل ويعطيان (فاطمة) مصروف
البيت كما كان يفعل جعفر مما أثار غضب (بكري)..

الذي حاول أن يطلب إقتسام ربح الأرض بينهم جميعاً،
وأيضاً (أسماء) إلا أنهما رفضا عندها صارحتهما فاطمة أن طاهر
تنازل عن نصيبه لها حاولت أن تثني عبد الهادي ورشيد عن
موقفهما لكنهما مازالا على رفضهما وأن هذا هو الأمر الواقع
ولن يتبدل لذا تقبلت فاطمة الأمر وكذلك أسماء لكن بكري لم
يقبل ولا تدري ما يحدث غداً.

استطاع (د/ عدلي) أن يسيطر على الحالة الصحية لـ (كارين)
التي بدأت تتماثل للشفاء ودار بينهما حديث تخلله تعارف،
عرف (عدلي) أن (كارين) تدرس الصيدلة فأثار هذا اندهاشه
وأسر لها أن أولى اهتماماته كانت دراسة الأعشاب والنباتات

عن قرب خاصة أن أسوان تحوي كنوزاً من النباتات والأشجار النادرة..

شعرت (كارين) بسعادة غامرة أن ألتقت بمن يشاركها اهتمامها بعالم النباتات والأعشاب وهذا العلم المتسع بحره.. في هذه الأثناء، قام السائق بإجراء مكالمات هاتفية للاب ميخائيل ليطلع على أحوال كارين ولم تمض بعدها أكثر من عشرون دقيقة حتى حضر الأب ميخائيل إلى عيادة د/ عدلي للإطمئنان على كارين واصطحبها للبنسيون وقبل أن تغادر اتفق عدلي وكارين على اللقاء بعد عدة أيام لاصطحبها إلى بعض أماكن تجمع الأعشاب والنباتات النادرة حول ضفاف نهر النيل..

وما أن غادرت (كارين) عيادته حتى وجد عدلي نفسه في حالة غريبة من السعادة لم يشعر بها من قبل وبدأ يتمتم ببعض أغنيات عبد الحليم حافظ العاطفية ثم نادى على الممرضة المساعدة له وأعطاه مبلغاً من المال سألته لما هذا المبلغ قال أنها مكافأة اسمها مكافأة السعادة..

دخلت (كارين) من الباب الخشبي القديم للبنسيون وتلفتت حولها لترى كل شيء نظيفاً مرتباً ديكور بسيط وأنيق ومعظم الأشياء وكأنها صنعت خصيصاً لهذا المكان مكان يدعو فعلاً بالراحة ..

وفي وسط الصالة كان يقف (أ/ علوي) وفي يده باقة ورد صغيرة ورقيقة قدمها إلى (كارين) مع ابتسامة عريضة وهو يقول حمداً لله على سلامتك مرتان، مرة لوصولك لأسوان بالسلامة والمرة الثانية لشفائك من الوعكة الصحية التي ألمت بك ..

دخلت حجرتها وهي في قمة السعادة وأول شيء فعلته هو فتح حقيبة يدها وأخرجت دفتر مذكراتها وفتحته لترى بداخله الريشة الحمراء قبلتها برفق، وصارت تحدثها عن مدى سعادتها بتواجدها على أرض مصر وتحديدًا أسوان المدينة الجميلة ولقاءها بأناس طبيين بدءاً من السائق (عم بخيت) والدكتور (عدلي) الطبيب الماهر والمحب للنباتات ثم (الأب ميخائيل) بنقاء قلبه وعطاءه اللامحدود ..

ثم أخيراً هذا المكان الرائع للإقامة البنسيون وصاحبه (أ/ علوي) وتلك الورود الخلافة يا له من استقبال ملئ بالدفء والحنان وماذا بعد يبدو أن أيامي هنا سوف يحيطها الحب والسعادة.. ما هذا أشعر بالجوع.. نعم أنا جائعة فتحت باب الحجرة لتطلب الطعام .

بعد أن استمع لنصيحة أمه (فاطمة): أن أترك الأمور لرب الكون يدبرها ولو لك حق الله سوف يرسله لك أينما كنت شاء من شاء وأبى من أبى..

شعر بكري أنه يفقد بجانب حقه في أرض أبيه يفقد كرامته ايضاً يشعر بالإهانة والمهانة من الاخوان الكبار (عبد الهادي ورشيد) خاصة أنه توجه إليهما محاولاً التفاهم وإذا برشيد يخبره إنهما أخوان متحدان للغاية أي هو وعبد الهادي ولا يحق لأي فرد التدخل فيما يفعلونه وعليه نسيان مسأله الأرض هذه للأبد ولا يتحدث فيها ثانية هما أكبر منه سنناً ولهم دراية عنه وكل مالهم هو و(أسماء) وأمه فقط مصروف البيت...!!!

ذهب (بكري) للأرض وشمر عن ساعديه وأمسك بالفأس وبدأ العمل في جزء من الأرض في تمهيدها قبل نثر البذور وتقليب التربة ثم تركها فترة في الشمس كي تقوم بتطهيرها وتخلل الهواء فيها..

وإذا به وهو ممسكاً بالفأس ويعمل بكل جد يظهر أمامه (عبد الهادي) ومن خلفه (رشيد): ماذا تفعل يا (بكري) اترك الفأس وعد من حيث أتيت..

بكري: لن أترك الفأس، ولن أعود من حيث أتيت، أنا أخوكم ووريث في هذه الأرض مثلكم وهذه أرض أبي وأبي هو أبوكم فلماذا أغادر فلنقتسم الأرباح جميعاً وأعمل معكم في الأرض بدلاً من العمل في أرض الغريب لماذا تريدان أن تتحدان سوياً وتتجاهلا أنني أخوكم ماذا فعلت لكل هذا..

عبد الهادي: للمرة الثانية أرحل يا بكري وعد إلى المنزل ليس لك مكان هنا ومسألة أخونا هذه هي مسألة احساس أنا أشعر أن (رشيد) فقط هو أخي أنا طول عمري لم أتعامل معك ولم يكن

بيننا أي مواقف أخوية أرحل وليس لك عندي إلا المصروف
الذي نرسله لأمناء..

بكري: أنا متمسك بحقي في الأرض ولن أرحل ومن
سيحاول التصدي لي أو منعي من العمل فلن يجد إلا فأسى هذا
في رأسه..

لم تمر لحظات على إنهاء (بكري) لجملته الأخيرة وليته لم
يقلها إلا وإنهالت عليه ضربه قوية على ظهره بعصا غليظة كان
ممسكاً بها أخيه رشيد..

سقط (بكري) على الأرض يتلوى من الألم وشدة الضربة
على ظهره رقد على بطنه وهنا إنهالت الضربات أكثر وأكثر على
ظهره ورأسه إلى أن شعر بدوار وأن الدنيا تدور من حوله بسرعة
كبيرة بلا توقف وبدأ ضوء الشمس يتلاشى ويختفي من عينيه
شيئاً فشيئاً ولم يسمع إلا بعض السباب والتهديد والوعيد من
الرجلان أو الاخوان (عبد الهادي ورشيد)..

استسلم جسده وعقله وراح في إغماءه وكأن جسده يسكت
لديه الاحساس بالألم..

لم يمهل القدر (فاطمة) لأخذ قسطاً من الراحة وكأنه مكتوب على قلبها أن يتمزق إرباً.. وليس حسرتها على فقد زوجها.. إنما تمزق وفرط عقد باقى أفراد الأسرة ها هي (لبية) ضاعت وقد انقطعت أخبارها في بيت زوج لا يعرف رحمة ولا دين..

والآن أولادها الصبيان أثنان ضد واحد، ولا تعلم ماذا يخبئ لها القدر ما أن دخلت الشارع الذي تسكن فيه وقبل الوصول إلى بيتها والحزن يملأ وجهها بعد لقاءها ب (لبية) أمام مقبرة زوجها جعفر..

تلقاها بعض الجيران وأخبروها خبر محزن وفاجع جديد لتكتمل سلسلة الأخبار السيئة ويزداد جسدها نحولاً، وتزداد أعينها جفافاً وقلبها كسراً فوق كسرتة..

ابنك (بكري) في المستشفى بين الحياة والموت وجدوه ملقى على الطريق الزراعي بجوار الترعة الرئيسية وهو في حالة صعبة للغاية

استدارت (فاطمة) بسرعة كبيرة واطلقت قدميها للريح
وركضت بأقصى سرعة ولم تشعر بتلاحق أنفاسها وحنجرتها
التي تحجرت من ندرة شرب الماء وقلبها يدق بسعة عالية
وبدأت رأسها تتصدع وكأنها توشك على الانفجار تتمم بالدعاء
استر يارب، يارب سترك، اعفو عنا يارب، ابعد عنا البلاء، خليك
جنبي يارب، ليس لي سواك..

جلست (كارين) على مقعد مريح حول طاولة الطعام في
البنسيون وبدأت تتذوق الأصناف المتعددة التي صنعها الشيف
(طاهر)..

أصناف من الأطعمة الشرقية وأصناف قليلة من الأطعمة
الغربية،

تتذوق بتلذذ واستمتاع لكنها تعلمت الدرس، فلم تتناول
كمية كبيرة من كل صنف بل القليل للتعرف على هذه الأنواع
وايضاً كي تتلذذ وتستمتع..

وقبل أن تنتهي حضر (أ/ علوي) للاطمئنان عليها، جلس إلى جوارها وتبادلا الحديث وازدادت سعادتها عندما علمت أنه يعمل كمرشد سياحي وأنه دارس جيد لعلم الآثار وتحديداً الحضارة المصرية القديمة والتي بدورها قالت:

سوف احتاجك في آلاف الأشياء ولدي نقاش طويل معك هل تقبل أن تكون معلمي ومرشدي للتعرف على حضارتكم وحضارة أجدادكم الرائعة.. مع ابتسامتها الرقيقة وأدبها الشديد.. لم يستطع (علوي) إلا أن يقبل المهمة الجديدة التي أوكلت إليه وتواعدا على اللقاء ظهر الغد بعد أن تنهي بعض الأمور لدى وزارة الزراعة المصرية تنفيذاً للبرتوكول المعقد بين جامعتها في (استوكهولم) ووزارة الزراعة المصرية..

وقبل أن ينهض (علوي) سألته (كارين) من الطاهي الرائع الذي قام بعمل كل تلك الأصناف أود أن تعرف عليه وأقدم له الشكر..

هذه هي عادات الشعوب الغربية الشكر والإمتنان والعرفان لطهاة الطعام..

أطل (طاهر) بجسده فارع الطول الممشوق وبشرة سمراء
نقية صافية وبشعر مجعد لكن لامع ومنمق وابتسامة هادئة تدل
على طيبة الأصل والثقة بالنفس أسنان بيضاء ناصعة البياض
وشفتان ورديتان وأيدي نظيفة وأظافر نظيفة للغاية..

كل هذا لاحظته كارين وهي ترفع رأسها أثناء تناولها الحلوى
التي صنعها (طاهر)..

ظلت تنظر إليه لمدة طويلة، وظل هو مثبت نظره تجاهها
وتحديداً إلى عيناها الزرقاوتان وبشرتها البيضاء وشعرها
الأشقر الناعم..

بادلته الإبتسام دعتة للجلوس لكنه اعتذر بأدب أنه لا يستطيع
مجالسة النزلاء أثناء وقت عمله قدمت له الشكر على الطعام
الرائع وأبدت اندهاشها لإتقانه الأطعمة الشرقية وأيضاً الغربية
وكذلك الحلوى فهي تعلم على قدر معلوماتها القليلة أن الطهارة
متخصصون في فرع واحد من صنوف الطعام.. إما الحلوى أو
الأطعمة الشرقية أو الغربية أو الآسيوية أو اللاتينية..

وقبل أن ينصرف (طاهر) أشارت إلى طبق الحلوى أمامها
وأضافت أن طعمه شهى ورائع للغاية وأنها تشعر أنها لا تستطيع
التوقف عن تناول ملعقة تلو الأخرى، أجابها بالإبتسام والأدب
الجم هذا ياسيدي اسمي «أم علي» ..

وكما توقع لم تفهم ماذا يقصد أعاد عليها الاسم مرة أخرى
أم علي ثم قام بترجمته بالانجليزية أبدت إعجابها بالطبق لكنها
لم تفهم ما معنى هذا الاسم ..

هنا استأذنها (طاهر) إن كان لديها بعض الدقائق من الوقت
ليقص عليها سبب تسمية هذا الاسم والتي تعود إلى بضع مئات
من السنين مضت ..

أبدت ترحيبها بشدة فهي مغرمة بكل ما هو تاريخي وله أصل
واقعي وحدث بالفعل ..

قص عليها قصة (شجرة الدر) ملكة مصر التي كانت أرملة
لـ (الملك الصالح نجم الدين أيوب) بعد وفاته ونظرًا أنه كان
من الصعب عليها الاستمرار في إدارة شؤون البلاد لكونها امرأة
فلقد قررت أن تتزوج من رجل يمتلك النفوذ والقوة وكان أمامها

خياران أحدهما (عز الدين أييك) والآخر (فخر الدين أقطاي) مال اختيارها ناحية (أييك) الذي أظهر لها التعاون واحترامه للمرأة وتقديرها لها شخصياً وبعد إتمام الزواج وبفترة ليست بالطويلة انفرد (أييك) بالسلطة تماماً ووضع (شجرة الدر) مع الحريم مما أغضبها ولم تجد حلاً أمامها إلا التخلص منه بالقتل وبالفعل استعانت بمن قام بقتله..

ظهرت زوجته الاولى وأم ولده (علي) لكي تنتقم لزوجها (أييك) من زوجته الجديدة التي قتلتها فقامت كما روى في التاريخ بجمع عدد من النساء وقمن بضربها بالنعال الخشبية إلى أن ماتت..

بعدها أقامت الزوجة الأفراح ونشرت البهجة احتفالاً بالانتقام لزوجها (أييك) وقامت بعمل حلوى مصنوعة من قطع الخبز والسكر والحليب ومن يومها أطلق عليها (أم علي) نسبة إلى زوجة (أييك) الاولى وأم ولده (علي)..

أجابت (كارين) بتشوق وشغف: ها وماذا حدث بعد..؟

حيث أنها انجذبت لحديث (طاهر) وسرده التاريخي لدرجة جعلتها لا تريده أن يتوقف عن القص والحكي ثم أضافت: لا بد وأن لديك كنز من المعلومات عن أصول أصناف الطعام لا بد أن نتقابل ونجلس سوياً كثيراً لتحكي لي عن كل صنف طعام بجانب أنك حكاء ممتاز وأسلوبك شيق..

شكرها (طاهر) وانصرف عائداً إلى المطبخ..

دخلت حجرتها وأخرجت دفتر مذكراتها وأمسكت بالريشة الحمراء وصارت تحدثها عن ضربات قلبها المتسارعة منذ أن وقعت عينها على هذا الطاهي المصري الاسمر ذو الإبتسامة الساحرة بأسنان بيضاء وشفاه وردية وأسلوبه في سرد التاريخ هذا بجانب طعم الطعام الرائع برائحة ذكية وطعم يأخذ العقل إلى خارج المجرة الكونية..

شعرت برغبة جارفة للتحدث إلى أمها، هاتفتها وتحدثتا طويلاً ونزلت تلك المكالمة برداً على قلب ماتيلدا عاد إليها الدفء والحنان مرة أخرى بجانب اطمئنانها على أحوال (كارين) وسعادتها بأنها في أحسن حال وفي أمان وأنها وجدت

ماكانت تحلم به تواجدها وسط صناع الحضارة المصرية
العظيمة..

هنا حضر (الأب ميخائيل) للبنسيون لتحية كارين والإطمئنان
عليها والترحيب بها.

مر الوقت على (طاهر) في حالة غير معتادة ما بين السعادة
وشعور غريب في قلبه وارتياح لما دار بينه وبين الوافدة الجديدة
السويدية (كارين)..

أنهى عمله في هذا اليوم الذي شهد ولادة بذرة جديدة لم
يكن ليعرف لها مكاناً في داخله لكن القدر أوجد لها هذا المكان
والاهتمام..

شعر برغبة عارمة في الذهاب للخالة (فاطمة) والإرتواء في
حضانها مثلما يفعل وهو طفل عندما يتعرض لأي موقف يزلزل
وجدانه وما بداخله يرتمي في أحضان مصدر الحنان الوحيد
حوله الخاله (فاطمة)..

وقبل أن يتوجه إلى منزل عمه عرج إلى الصخرة القابعة على
ضفاف النيل وحفر خلفها أخرج العلبة، فتحها ليمسك بالريشة

الحمراء ليقبلها ويحدثها عما مر به اليوم كيف أنه تقابل مع روح ملاك أو إنسانة في صورة ملائكية أحدثت هزة جميلة بداخله اليوم عرف الجمال، اليوم التقى البراءة، اليوم أحب الطهي أكثر وأكثر اليوم صار يعشق عمل «أم علي» اليوم أحب التاريخ، أحب شجرة الدر، أحب أيبك، أحب علي وأمه، أم علي.. وبعد أن عرف أن اسم الوافدة الجديدة الحسنة السويدية هو (كارين) فكر أن يغير اسم طبق الحلو من «أم علي» إلى طبق الحلو (كارين)..

ظل يحتضن الريشة الحمراء إلى أن شعر ببرودة تسري في جسده نظراً لهبوب بعض الرياح وضع الريشة في مكانها ثم وضع التراب فوق غطاء العلبة الخوص واتخذ طريقه إلى الخالة (فاطمة)..

بلهفة سأل موظف الاستقبال عن مريض اسمه (بكري) جعفر..

وجد الخالة (فاطمة) متكومة كجوال فحم ترتدي السواد وقابعة على كرسي صغير يبدو واسعاً وكبيراً عليها حيث تضاءل جسدها صار هزياً نحيلاً ترى بعض عظام وجهها ويديها بشكل يدعو للشفقة والحسرة في آن واحد.. أهذه هي الخالة (فاطمة) النشيطة المرحة.. التي كانت تملأ الدنيا كلها بهجة وسعادة ولديها مخزون من الحب والحنان يكفي العالم بأسره..!!؟

لم يرتمي (طاهر) في حضن الخالة (فاطمة) كما كان يتمنى بل أخذها بين ذراعان مفتوحان وقلب ملىء بالحنان يريد أن يرد الجميل لمن ربتة ولم تحرمه حنانها طيلة سنوات وسنوات كانت له فيها الأم والأب، لم يشعر بجوارها وفي كنفها باليتم دائماً ما كانت له الأولوية حتى قبل أولادها في كل احتياجاته الآن قد تبدل الحال وتبادلا الأدوار الآن هو يشعر بأبوية لها.. وكأنها طفلة الصغيرة التي تقسو الدنيا عليها وتسلبها الحياة السعادة وراحة البال وكأن قد كتب اسمها ضمن كشف من لن ينعموا بالراحة أبداً..

ضمها لصدره وفي هذه اللحظة عاودت الغدد الدمعية عملها
وتكونت دموعاً كثيفة بللت ملابسه أطلقت معها (فاطمة) صرخة
تنفيث لما هو مكبوت ومحبوس داخلها ولم تمالك نفسها وهي
تجهش بالبكاء مع صرخات متقطعة شفت يا (طاهر) شفت ما
حدث لـ (بكري) بكري يموت يا (طاهر) ..

أخبر الطبيب المسئول عن بكري الخالة (فاطمة) أن الكشف
المبدئي لا ينم عن تعرض (بكري) لحادث سيارة دهسته
وهربت بعيداً كما صرح من حضروا به إلى المستشفى حيث
وجدوه ملقى على جانب طريق الترععة بل يعتقد أنه تعرض
لضرب مبرح وتحديداً في منطقة الظهر والحوض وضربة قوية
على مؤخرة الرأس ..

لا يدري أن كان سيظل على قيد الحياة هل يتأثر المخ بما
حدث وتأثير الضرب على الرأس هل يفقده الذاكرة هل يدخل
في غيبوبة طويلة؟! ليس لديه أي إجابة الآن فقط ادعيه يا حاجة
هذا ما بلغ به الطبيب الخالة (فاطمة) قبل حضور طاهر بدقائق ..

ظلت بين ذراعيه تهذي وتتمتم بكلمات وتنطق باسم (بكري)
بين اللحظة والآخرى إلى أن مالت برأسها فوق ذراع (طاهر)
مغشياً عليها تم نقلها لاحدى الغرف وأثناء عمل الإسعافات
اللازمة لها مع وضع المحاليل الممزوجة بالمسكنات
والمقويات ..

قال الطيب جملة كسرت قلب طاهر نصفين هذا القلب هو
نفسه الذي كان في حالة من السعادة والفرح لم يتذوق طعمها
من قبل ..

قال الطيب: لم أر في حياتي طوال سنوات عملي جسداً
هزيلاً نحياً كهذا ويظل على قيد الحياة ..
آه يا خالة (فاطمة) زفر طاهر.



جلسة ودودة يسودها الحب والاحترام والرعايه الحقيقية
بلا مصالح أو أهداف جمعت بين (كارين) و(الأب ميخائيل)

اطمئن فيها على أن (كارين) الضيفة العزيزة بين أيدي أمينة
يقصد بنسيون (أ/ علوي)..

وبعد أن علم أن كارين لديها تطلعات لزيارة جميع الأماكن
الاثرية والمتاحف وشراء الهدايا المصرية الفلكلورية عرض
عليها أن يترك السيارة و(الاسطى بخيت) تحت أمرتها لحين أن
تتعرف على البلد أكثر..

وقصت عليه (كارين) ما كان من أمرها وأمها مع (الكاردينال
ديمتري)..

شعر (الأب ميخائيل) بالأسف الشديد أن هناك أناسًا ينظرون
للحياة بنظرة سطحية وكأنهم ينظرون تحت أقدامهم مع أن النظر
للحياة الآخرة هو أولى أن نفكر فيه ونعمل له ولا ندخر جهداً
لأن نحيا بشرف وأمانة..

في صباح اليوم التالي توجهت (كارين) إلى مبنى وزارة
الزراعة لتبدأ التنسيق مع المشرفين هناك على أبحاثها..

وبعد أن تقابلت مع (علوي) الذي اصطحبها لاحتاح المتاحف
الذي كانت تحلم بالتعرف عن قرب بالقطع الاثرية المصرية

القديمة وأوراق البردي الأصلية والتمثيل بأحجامها المختلفة والأدوات المنزلية المستخدمة وأشكال الملابس وبعض أدوات الزينة والحلي التي كانت النساء تستخدمها..

كان (علوي) في غاية الرقي والادب مع (كارين) ولم يدخر جهداً ليشرح لها كل شيء عن الفراعنة وكانت سعيدة للغاية كانت تصرح له قائلة: أنها وقعت على كنز من المعلومات..

كانت (كارين) كالفراشة الرقيقة لا تتدخل فيما لا يعنيهها ولا تسأل أسئلة شخصية وكانت مختلفة عن الكثير ممن يقابلهم في جولاته مع الأفواج السياحية..

شعر (علوي) أنها مختلفة وأن بها الكثير مما يبحث عنه في فتاة أحلامه وشريكة حياته وتذكر الصور التي كانت عمته (سميرة) تحضرها له ليختار عروسة ضحك كثيراً وإذا بـ (كارين) تنظر إليه مبتسمة ولكن بتعجب وكأنها تريد أن تسأله لما يضحك فجأة هكذا شعر بالفضول بداخلها فأجابها بالحقيقة وشرح لها موقف عمته.. وإذا بـ (كارين) تتعجب للغاية.. وسألته.. أهذه هي طقوس الزواج وإختيار العروس لديكم، ضحك (علوي) ثانية قائلاً: لا

إطلاقاً إنها فقط بعض الطرق القديمة مازالت الأجيال السابقة تستخدمها لكنني لا أؤمن أن هذه هي الطريقة المثلى للوصول للشريك المناسب والزواج السعيد..

ظلاً يتبادلاً الآراء والحديث يأخذهم إلى أمور كثيرة ثم يعود بهم ثانية للحديث عن حياة المصريين القدماء..

مر الوقت سريعاً حتى دخل الليل وعادا سوياً إلى البنسيون.. وما أن دخلت (كارين) حجرتها حتى أخرجت الريشة الحمراء لتحكي لها عن حياة المصريين القدماء وما عرفته من معلومات عنهم اليوم.

ضمت حجرة واحدة في المستشفى كلا من فاطمة وبكري كل على فراش خاص به فاطمة على فراش عادي أما (بكري) فهو على فراش مخصوص مجهز لمثل حالته حيث قام الأطباء بإجراء عملية جراحية في منطقة الحوض لترتيب شرائح ومسامير ووضع جبيرة جس وقاموا بعمل خياطة في الرأس لعلق جرح غائر..

وكان (طاهر) يلازمهم بعد أن يفرغ من العمل في البنسيون أو فترة تدريبه في إحدى الفنادق فكان يحضر في المساء وكانت (أسماء) حاضرة في الفترة الصباحية..

بدأت (فاطمة) تسترد عافيتها قليلاً بفضل الفيتامينات والمقويات التي تناولتها وكانت تشعر ببعض الراحة عكس ما كانت عليه في الأيام الماضية..

والشيء الذي ساعد على ارتفاع معنوياتها هي وجودها وأولادها في حجرة واحدة (بكري) على الفراش الآخر بجوارها و(أسماء) تأتي في الصباح و(طاهر) متواجد في المساء لكنها تعجبت من عدم حضور (عبد الهادي ورشيد) لزيارتها أو زيارة أخيها (بكري) والإطمئنان عليه لقد كان قريباً من الموت..

لم تكن تعلم أن اثنان من أولادها كادا أن يقتلا ولدها الثالث أخوهما كل هذا بسبب الأرض، الميراث، النقود..
أحياناً يختار لنا القدر ألا نعلم أفضل كثيراً من أن نعلم..



فتحت (لبية) باب بيتها الصغير في الدور الثاني المكون من
حجرتين صغيرتين بعد أن سمعت طرقاً..

فإذا بزوجتي الحاج / بدوي الاخريتان ضرائرها بعد أن جلسا
وتبادل ثلاثهم أطراف الحديث شعرت (لبية) أن هناك شيئاً ما
أتى بهن..

بدأن الكلام بأن هناك أخبار عن نية (الحاج / بدوي) من
الزواج للمرة الرابعة أي أن هناك عروساً في الطريق العروس
الرابعة وأن كلا منهما لن تتحمل أن تشهد مثل ذلك اليوم، ثم
ألقين باللوم على (لبية)

الاولى: كله بسببك.. لولا عملتك السوداء ما كان فكر في

الزواج

الثانية: نعم انه يعشق العند ولا ينهزم أبداً أنجبت أنتِ ثلاثة
بنات ومصمم هو نكايه فيك على الزواج من الرابعة..

لبية: ماذا تقولان ليس بسببي وليس لي ذنب أن أنجب ثلاثة بنات.. ليس لي دخل في هذا، الله وحده يهب الذكور ويهب الإناث ويجعل من يشاء عقيمًا..

أليس هذا ما ورد في القرآن ملابس أزهر ايه التي يرتديها والجميع يلقبونه بالحاج..

استشفت (لبية) نوايا شريرة من قبل هاتان السيدتان فلم تعر لهن انتباهًا

وفي اليوم التالي، كانت لبية تعد طعام الغذاء فقد أعدت صنية بطاطس باللحم مع الارز الأبيض كانت تعلم أن الحاج/ بدوي يحبها رغم أنها كانت تمقته وتبغضه إلا أنها كانت دائمة القول أنا بعامل ربنا..

وقبل ميعاد الغذاء بوقت قليل وقبل وصول (الحاج/ بدوي) لتناول طعام الغذاء

وكان اليوم يوم لبية الدور على (لبية) فقد كان كل يوم يتناول غذاؤه وعشاؤه ويبيت عند واحدة من إحدى زوجاته..

حضرتا كلا من الزوجة الاولى والثانية وهما يحملان صينية
بها بعض الفطائر والجبن

توجهت الزوجة الثانية إلى المطبخ حيث أخرجت لبيبة صنيه
البطاطس لتوها من فوهة الفرن وهي ساخنة شهية تسيل اللعاب
من الرائحة فقط أخرجت الزوجة الثانية كيسًا صغيرًا فيه بودرة
رمادية اللون ووضعتها فوق وداخل صنية البطاطس بالكامل..

ارتجفت (لبيبة) وهي تقول: ماهذا ماذا تفعلين ما هذا الذي
وضعتيه في صنية البطاطس..!؟

الزوجة الثانية: هس لا بد أن نفعل هذا، هذه بودرة مكافحة
الفئران والقوارض سم فئران يعني لا بد من التخلص منه وأنا
وضعتها هذه البودرة أمامك كي لا تأكلي من صينية البطاطس
هذه، أحضرنا بعض الفطائر والجبن لثلاثتنا..

وضعت (لبيبة) يدها على فمها محاولة أن تكتم صرختها بعد
أن سمعت صوت (الحاج/ بدوي).. قائلًا: السلام عليكم هل
الغذاء جاهز اني جائع!!

افتروشوا الأرض ووضعت الأطباق ووضعت صنية البطاطس
أمام الحاج/ بدوي وقلن له هذه الصينية لك وحدك فنحن
الثلاثة نشتهي الفطير بالجبن..

ابتسم (الحاج/ بدوي) ابتسامته المعهودة حينما يرى الطعام
وكانه لم يأكل في حياته قط..

شمر عن ساعديه وقبل أن يمد يده في الصينية لأخذ قطعة
لحم ومعها بطاطس حيث اعتاد أن يأكل بيديه..

نهضت (لبية) مسرعة وركلت صينية البطاطس بقدمها في
حركة لا إرادية جرح اصبع قدمها أثر ارتطامه بجسم الصينية
الألومنيوم..

ساد الصمت وتحول جميع من جلس حول الطعام إلى
الصمت وكانهم تماثيل قديمة..

كان (الحاج/ بدوي) فاتحاً فاه من هول المفاجأة لقد اقترب
أن يضع اللحم والبطاطس في فمه حرمة هذه اللعينة من
الطعام.. وتركل الطعام بقدمها آه يا لبية اللعينة..

نهض (بدوي) من مكانه وإنهال عليها ضرباً بيده وركلا بقدمه في أماكن متفرقة من جسدها ووجهها وأصبع قدمها لا يزال ينزف دمًا وهو يسب ويلعن: يا فاجرة يا ملعونة تركلين نعمة ربنا تحرميني من طعامي وتضيعين أموالى هباء ثمن البطاطس وثمر اللحم هل تعلمين كم كلفتني تلك الصينية التي ركلتها بقدمك النجسة هذه حسناً سأريك ماذا أفعل ستدفعين ثمن فعلتك هذه غالياً جداً..

ثم ترك المنزل غاضباً..

وإذا بالزوجة الأولى والثانية تنهالان على (لبية) بالسباب والدعاء عليها كاد أن يأكل كاد أن يموت كدنا نرث الأموال أمجنونة أنت، لماذا خالفنا لماذا فعلت ذلك أنت ملعونة وتعشقين الضرب والإهانة الآن يتزوج الرابعة ومن يعلم ماذا تفعل معه وماذا سوف تحصل عليه من وراءه..

انصرفتا.. وهم مستمرتان في كيل السباب واللعنات لها.. (لبية) متكومة على الأرض وهي تهذي وتتمتم القتل حرام لن أقتل حتى لو كان أسوأ رجال العالم القتل حرام خايفة من ربنا..

ظلت على هذه الحال وهي متكومة على الأرض والكدمات
تركت آثارها وعلاماتها على وجهها من شدة الضرب..
أوجاع في بطنها وظهرها.. كل شيء يهون كي يرتاح الضمير
ولا تقرب من فعل وإتيان الكبائر القتل انقذت (بدوي) خوفاً
من الله وليس حباً في هذا البدوي فالله وحده يعلم مدى بغضي
وكرهي له لكن لن اقتل لن ارتكب جرماً ولن آتي كبيرة من
المحرمات القتل حرام حرام..
لو كان فقط على الحب كانت هي أولى من قامت بقتله
والتمثيل بجثته منذ زمن بعيد تذكرت أمها (فاطمة) أنها دائماً
ربتها على البعد عن المحرمات والصبر على الأذى إلى أن يحل
عقاب الله على الظالم ونصرة الله للمظلوم ولو بعد حين..

حينما حل الظلام على المكان حاولت (ليبية) النهوض من
مكانها وبسرعة جمعت البطاطس واللحم الملقى على الأرض
ووضعت كل شيء في كيس وأحكمت إغلاقه وخوفاً من أن
تندوقه إحدى بناتها فتنقذ (بدوي) لكي تموت بناتها يا للفاجرة..

أخذت كيس الطعام المسموم وأبت أن تضعه في صندوق القمامة خوفاً أن تأكله كلاب الشوارع أو القطط الضالة والتي دائماً ما تبحث عن طعامها بين أكوام القمامة..

فتحت الكيس الذي به البطاطس واللحم المسموم وأضافت عليه كمية من الكيروسين السائل كي تنفر منه القطط والكلاب ثم أحكمت غلقه ثانية وألقته إلى القمامة وإذا بها تشاهد (بدوي) قادماً على عربته التي تجرها حصانان وهو في حالة سكر ثمل للغاية وبجواره امرأة لا تبدو من ملامحها أنها مصرية..

وما أن رآها بدوي بعد أن ألقته بكيس الطعام المسموم إلى القمامة قال: زوجتي الجديدة اللي حاتربيكم..



طلبت (كارين) من الاسطى بخيت أن يأخذها إلى عيادة (د) عدلي) تنفيذاً لتوجيهاته حيث طلب منها أن تزوره في استشارة ليطمئن أن حالتها مستقرة وأنها شفيت تماماً..

بعد توقيع الكشف أخبرها أن كل شيء على ما يرام وأنها شفيت تمامًا ولا داعي لتناول أي أدوية..

وقدم لها كوبًا من القهوة وتبادلا الحديث الذي كان أغلبه يدور حول دراسة الصيدلة والنباتات عرض عليها أن يأخذها إلى مكان سوف تسعد بتواجدها فيه سألته أين لكنه أخبرها أنها مفاجأة وتوعدا أن يلتقيان في الظهر بعد أن ينهي عمله في المستشفى وتنتهي هي عملها في مركز البحوث الزراعية وبالفعل في اليوم الثاني كان في انتظارها بسيارته حسب الموعد وقاد بها في طرقات مدينة أسوان الجميلة وهو يشرح لها ما يعرفه عن الشوارع والمباني القديمة التي يمرون بها إلى أن وصلا أمام بوابة على أجنابها سور رائعة الجمال قرأت ما هو مكتوب جزيرة النباتات..

تهللت فرحًا نعم نعم قرأت عنها قبل السفر إلى مصر كم أنت رائع يا عدلي كنت فعلاً في حاجة إلى زيارة هذه الحديقة أشكرك.

عدلي: أعلم أن ميولك وذوقك يتوافق مع ميولي وذوقي لهذا
اصطحبتك هنا أنا أعشق هذا المكان يوم واحد لا يكفي للزيارة
تحتاجين لأيام وأسابيع..

دخل (طاهر) على حجرة (بكري وفاطمة) وهو يحمل
في يده كعكة كبيرة نصفها من الشيكولاتة ونصفها الثاني من
الكريمة البيضاء والفواكه..

طاهر: هل تعلمون ما مناسبة هذه التورتة؟!

إنها احتفالاً بتخرجي باقي اسبوعان فقط وأتخرج ويحق لي
العمل في أفضل الفنادق خاصة أن تقديراتي ممتازة وكذلك
التقارير المكتوبة عني من الطهاة المشرفين على تدريبي العملي
جميعها أكثر من رائعة.

فاطمة: مبروك يا ولدي أنت تستحق كل خير ومعروف..

بكري: مبروك يا ولد عمي، أنت أطيب انسان قابلته ولا
تقابل السيئة بالسيئة وأكد أنت تعلم ما أقصده وحب لي تقديم

الاعتذار لك عن كل مضايقاتي لك السابقة كنت فعلاً أشعر
ببعض الكره لك لا بد وأنت تعلم أن الأيام تداوي جروحنا
وتبدل قلوبنا ونتحول من النقيض للنقيض الآن أحبك كثيراً
وأشعر أنك أخ حقيقي ربما أفضل ممن هم من دمي ولحمي ..
ظاهر: لا عليك أنا لا أعني أو اذكر شيئاً غير أنني أحبكم جميعاً
أنتم أهلي توليتموني وشملتوني بالرعاية منذ أن كنت يتيماً في
سن صغيرة بعد رحيل أبواي الشكر للخالة فاطمة وكل فرد فيكم
ولعمي جعفر رحمة الله عليه هيا دعونا نتناول الحلوى ..



قضت (كارين) وقتاً رائعاً في جزيرة النباتات التي تحوي
أشجاراً نادرة ليس لها مثيلاً كثير ويرجع تاريخها لعشرات من
السنين مضت ..

وكذا (عدلي) الذي شعر بحب كارين يزرع داخل وجدانه كما
ترزع البذرة في التربة الصالحة بذرة حبها استقرت في قلبه بعد أن

خطفته برقتها وبراءتها.. تنصت لحديثه باهتمام دون أن تقاطعه كثيراً أو تضطره للحديث بسرعة كي لا يضايقها وهذا عكس ما عهده في كثير من الفتيات المصريات اللواتي يستحوذن على الأفراد بالحديث ولا يتركن إلا القليل من المساحة لمن معهم للحديث بدوره والإدلاء برأيه

كل هذا بجانب البساطة الشديدة في ملابسها الأنيقة النظيفة للغاية وعدم استعمالها إلا للقليل للغاية من المساحيق وأدوات التجميل

فهي جميلة للغاية على طبيعتها ولا تحب التكلف أو المغالاة الوقت معها يمضى ممتعاً بجانب مهارتها في إلتقاط الصورة وعلمت عدلي كيف يوظف الكاميرا ويضبط عدستها ومراعاة اتجاه الشمس والاضاءة لكي يحصل على أفضل صورة..
افترقا على اللقاء القادم بعد عدة أيام لاستكمال التجول في جزيرة النباتات حيث ما زال أمامهم الكثير لمشاهدته..

طلبت كارين من عدلي أن يتوقف بالسيارة على كورنيش النيل بعد أن أخبرته أنها تريد أن تتجول على الكورنيش قليلاً قبل العودة إلى البنسيون وأنها تعرف طريق العودة جيداً..

ذهب عدلي متجهًا إلى العيادة حيث أن ميعاد العيادة قد قرب سارت كارين وهي تنظر إلى حركة مياه أطول وأعظم أنهار العالم وتذكرت ما كانت تقرأه عن نهر النيل أيام القدماء المصريين وكيف كانوا يقصدون النهر وان من يلوثه فهو مرتكب لأفظع الجرائم..

وأن هناك قسم يقسم عليه أفراد الشعب أمام ماعت آلهة العدل عند المصريين ومن ضمن بنود هذا القسم ألا ألوث مياه النهر. شعرت بالجوع حيث لم تتناول أي طعام منذ الصباح حيث تناولت كوبًا من القهوة مع قطعة صغيرة من الكيك..

توقفت أمام فندق يبدو عليه القدم وشاهدت يافطة في الدور الثاني يوجد مطعم يقدم المأكولات الشرقية..

دخلت وجلست بجوار النافذة الزجاجية الكبيرة المطلة على نهر النيل طلبت بعض الأصناف القليلة بعد أن قام النادل بشرح وافي عن كل طبق ومكوناته.

ظلت تراقب حركة المراكب الشراعية البيضاء بأشعرعتها البيضاء المرتفعة لأعلى إلى أن حضر الطعام وبدأت تشتم بأنفها أذكي رائحة وشاهدت أجمل طريقة تقديم لم تصادفها من قبل تكونت حالة من الغزل والعشق مع كل قضمة وكل قطعة من الطعام الشهوي للغاية ازداد الولع في وجدان كارين فوقعت في غرام هذا البلد أكثر وأكثر بحضارته العظيمة وناسه الكرماء الطيبون الودودون..

وطعامهم الشهوي المتنوع شعرت أنها تنتمي لهذا المكان أكثر وأكثر على الأقل ليس به فيكتور أو ديمتري..

كم كانت تتمنى لو كانت أمها ماتيلدا هنا بصحبتها لتشاركها كل هذه المتعة البسيطة للغاية لكن الغنية بمذاقها ومعانيها..

لقد عانت أمها كثيراً عانت من الوحدة والصبر على العيش دون زوج والصبر على تربية ابنه بمفردها فتكون لها الأب والأم..

والغريب أن الأمل لم يفارقها يوماً من عودة زوجها أبي يوهانسن حاول الكثير إقناعها انه ربما فُقد في البحر أو مات غرقاً أو تكسرت به المركب وصار طعاماً للأسماك المفترسة لكنها لم تقبل بهذا ومازالت متمسكة بالأمل والرجاء في عودته وظهوره حتى لو كان فاقداً للذاكرة أو هزياً حطاماً ..

انتبهت على صوت النادل وهو يسألها هل كل شيء على ما يرام، الطعام.. المكان.. هل تطيبين أي شيء آخر..

كارين: نعم كل شيء رائع وأنا في غاية السعادة، وفعلاً اطلب شيئاً واحداً أريد مقابلة الشيف هذا الطاهي الرائع لأشكره..

سمعت كارين صوت أقدام تأتي من خلف مقعدها.. توقفت الأقدام خلفها وسمعت من يقول: أنا الطاهي.. الشيف.. تحت أمرك يا فندم..

التفتت خلفها.. آه.. هو.. أنه هو فعلاً.. نفس الصوت.. لم أكن أتوقع أنه طاهر.. الشيف الأسمر الجميل.. طاهي البنسيون..

كيف هذا.. بادلها طاهر التعجب وتلقى المفاجأة بفرحة
شديدة..

فقد كان معتاداً أن الكثير من الاجانب يطلبون الحديث معه
وشكره وأحياناً التقاط الصور معه لكنه لم يكن يتخيل أنها كارين
الوافد الجديد على قلبه.. النزيل الجديد في البنسيون..

انفجرا من الضحك سوياً.. وكانت الفرحة والسعادة الغامرة
ظاهرة على وجه كل منهما.. كم هذه الدنيا رائعة.. تجمع
القلوب والأرواح دون أن تطلب أو تشترك في ترتيب.. يرتب
القدر اللقاء بالميعاد والمكان المناسب لكليهما خاصة أن وردية
طاهر لم يتبق عليها إلا بضع دقائق وتنتهي ويستطيع الإنصراف..
خرجا سوياً من الفندق بعد أن دخلته كارين منذ ساعتين
بمفردها قام طاهر بدعوته لتناول طبق الحلو من أحد الباعة
على الكورنيش.. يقدم أشهى وأطيب آيس كريم في أسوان
كلها..

قضايا سوياً أجمل أوقات وأمتع لحظات.. الحبيب والنهر
العظيم والاييس كريم..

كان كلامهما سعادة.. وصمتها اعترافاً بالحب والإعجاب..

مرت ثلاثة أيام والحاج/ بدوي قابع في بيته مع عروسه الجديدة الأجنبية لم يغادرا المنزل..

وفي صباح اليوم الرابع استيقظ الجميع على الحاج بدوي يطل من نافذة منزله وهو يصرخ ويستغيث بأعلى صوته هرولت زوجته الأولى والثانية ومن خلفهن لبيبة كان باب المنزل مغلق بالمفتاح من الخارج والحاج بدو لا يستطيع فتح الباب أو الخروج استطاع ثلاثتهن كسر الباب وفتحه عنوة..

وإذا بالحاج/ بدوي فياض في ملابس النوم ووجهه أحمر للغاية.. وكان يهذي.. الحرامية سرقنني وهربت.. أغلقت علي الباب من الخارج كي لا ألحق بها أخذت كل الفلوس والقطع الذهبية.. السارقة.. سأقتلها..

وضعت لبيبة يدها على جبهته فوجدته محمومًا وساخنًا للغاية.. وبعض البقع الحمراء على وجهه.. وأثناء ما كان يهزي.. وقع على الأرض مغشيًا عليه..

استطعن الثلاث زوجات نقله إلى المستشفى بمساعدة بعض الجيران وأمام مكتب الاستقبال طلب الموظف أن تملأ إحداهن الاستمارة الخاصة بالدخول وكتابة بيانات المريض.. كانت لبيبة هي من تعرف القراءة والكتابة على خلاف الزوجة الاولى والثانية.. لم تكن على أي قدر من التعليم المدرسي وهنا سأل الموظف ووجه كلامه للثلاثة: في أي درجة تردن أن يمكث المريض.. الدرجة الاولى.. أم الثانية.. أم الثالثة.. أم الدرجة المجانية؟

بادرت لبيبة بالحديث.. لكن جذبتها الزوجة الاولى من ذراعها.. وأشارت لها ان تنتظر.. فهي من سيتحدث.. وأجابت الموظف وما الفرق بين هذه الدرجات..

أجاب الموظف وشرح الفروق، ثم أضاف بالطبع الدرجة الاولى هي الأفضل حيث يحصل المريض على حجرة خاصة به

وحده وملحقًا بها حمام خاص به وبداخلها جهاز تلفاز وثلاجة صغيرة وكنبة وطاولة وأيضًا سريرًا إضافيًا للمرافق وهذا بجانب أن الفراش هو فراش طبي هيدرولك مجهز بكل وسائل الراحة بالإضافة إلى التكييف المركزي المزود بالغرفة..

وبالطبع الطعام والخدمة مميزة للغاية فهي أشبه بغرفة فندقية فخمة مع العناية الطبية..

ثم بدأ يمدهم بلائحة الاسعار لكل غرفة..

هنا قالت الزوجة الاولى وتضامنت معها الزوجة الثانية..

ضعه في القسم المجاني

تدخلت لبيبة.. كيف هذا أنه الحاج/ بدوي فياض من الأعيان

كيف يعالج بالقسم المجاني..

الزوجة الأولى موجهة حديثها للبيبة: أنتِ لا تعرفي شيئًا إنه

أكثر الناس بخلاً وشحاً يؤمن بدخول النقود إلى جيبه ولا يؤمن

بخروجها أياً كانت الأسباب والظروف ثم تعالي نسأل أنفسنا

لو كانت واحدة منا هي المريضة في المستشفى.. هل تعتقدين

أنه كان سيختار الدرجة الاولى لنعالج فيها مستحيل بل من

المستحيل أن يذهب بنا إلى المستشفى من الاصل إذا احتاجت
إحداً للعلاج..

أذكر كم من مرة أصبت بوعكات صحية متفاوتة.. لم يحنو
علي قط وكل ما كان يقوله أنه مشغول.. وينصحني بالذهاب
عند أمي وهي سوف تهتم بي، حتى عندما كنت في حالة ولادة
وأنا في حالة وضع لم يدفع تكاليف الولادة وكانت أمي الله
يسترها هي من كانت تتكفل بي دعيني صامتة ولا أتكلم أكثر من
هذا.. والله لن يدخل إلا القسم المجاني..

وبالفعل تم نقله إلى أسوأ قسم بالمستشفى.. العنبر المجاني..
صالة واسعة تحوي ستة عشر سريرًا حديدًا قديمًا.. بنوافذ
مكسورة ورائحة العطن تملأ المكان.. وأصوات المرضى تتعالى
والمرضات يقومون بزج المرضى والزعتق في وجوههم..
وكانت هناك بعض قطط الشوارع المتجولة حول السراير..

شعرت لبيبة برغبة في التقيؤ بعد أن شاهدت الحاج/ بدوي
وهو يوضع على هذا السرير القذر وسط هذا العنبر.. وهو ما يزال

يهذي ويحكي عن الزوجة الجديدة الاجنبية التي سرقتة وهربت

ثلاثة أيام متعة بعدها السرقة...!!

وعند هطول الظلام قامت المستشفى بإجبار جميع الزائرين

على المغادرة على أن يستطيعوا الحضور في الصباح..

خيم الهدوء بعض الشيء على العنبر وبدأ الحاج بدوي

يستفيق بعض الشيء بعد أن أعطوه بعض المسكنات وخافضات

الحرارة..

وإذا به يسمع صوت من يحدثه من فراش بجواره..

أهلاً يا حاج.. حاج بدوي.. شرفت العنبر..

ثم تعالت ضحكة بصوت مسموع رج أركان العنبر..

الحاج/ بدوي: مين.. من انت.. وهل تعرفني.. هل أنت

مريض هنا مثلي..

الصوت: نعم.. طبعي أنك لن تتذكرني.. هكذا هو حال

الظالمون لا يتذكرون من يظلمون..

وأنا واحد من ضحاياك ممن مارست فيهم ظلمك.. لن

أنساك وإن تناسيتني أنت..

الحاج/ بدوي: من أنت أيها الحاقد الحاسد.. من دسك هنا
ووضعك بجابني.. هل أنت من طرف المعلم صالح ألد أعدائي
هو من أرسلك هنا للانتقام مني.. لكن لن تفلح.. سوف أتعافى
وانتقم منكم جميعًا.. فأنا الحاج/ بدوي.. بدوي فياض
ظل الخوف يحاصر بدوي طوال الليل.. وظل متوجسًا خيفة
من جاره الذي يدعي أنه مظلوم ويمكنه في الفراش الملاصق
له..

ازدادت الحمى.. وارتفعت درجة حرارته ثانية وكان الحمى
كانت في حالة هدوء بعد تناول المسكنات وما أن انتهى مفعولها
حتى أرسلت جيوشها لتهاجم جسد بدوي مرة ثانية.. وأحمر
وجهه أكثر وأحمرت القرون أو الزوائد الجلدية التي تزين جبهته
ويراها ويشمئز منه كل من يراها وهو يحدثه..

بدأت الكوابيس في مهاجمة عقله وخياله وقضت الليل بطوله
تفترس جسده وتنهش فيه.. كوابيس لم ير مثلها في حياته.. يلتف
حول فراشه مخلوقات غريبة بلون أسود.. ينزعون جلده قطعة
قطعة.. ثم يرفعونه ويقذفون به في الهواء ليصطدم بالسقف..

ثم يلقفونه ويقذفونه ثانية ويصطدم بالسقف.. ثم ينزعون مرتبة السرير ويضعون مكانها أشواكاً.. فيضعونه فوق الأشواك.. ويقلبونه على بطنه.. وهو يصرخ ويستغيث.. والناس تتحرك من حوله وكأنها لا تسمعه ولا تراه.. وكأن ما يحدث له من عذاب غير مرئي ولا مسموع للآخرين.. الدم ينزف من أجزاء متفرقة من جسده.. فيأخذون هذا الدم ويجمعونه ويسقونه له في فمه.. يزداد تعرق بدوي مع استمرار الكوابيس وتكرار مشاهدتها.. وتزداد الحمى وترتفع درجة حرارته.. ينتفض مستيقظاً من نومه.. وإذا بمن حوله من المرضى في العنبر يوجهون السباب له.. أن اصمت وكف عن هذا الصراخ لا نستطيع النوم في وجودك.. كف وأصمت عن عويل النساء هذا..

أدرك بدوي أن ما يحدث له ما هو إلا كوابيس.. حاول أن يتماسك لكنه لم يستطع النوم خوفاً من عودة الكوابيس المرعبة مرة أخرى إلى ان أشرقت الشمس وملاأت العنبر نوراً.. وبدأت الحركة تدب في المستشفى وبدأت الممرضات في الظهور

لقياس حرارة أو قياس ضغط بعض المرضى أو تناولتهم
للعقاقير..

نظر بدوي إلى فراش الرجل جاره الذي كان يدعي أنه مظلوم..
كان الطبيب يحدثه ويقف حائلاً بينه وبين ذاك المريض.. فلم
يستطع رؤية وجهه.. لكنه سمع الطبيب يقول له: اطمئن انت
أصبحت في حالة ممتازة وتعافيت من كل شيء.. صحتك ردت
إليك ولم يعد هناك فقر دم أو ضعف وأجهزة جسمك وأعضاءك
تعمل بكفاءة.. وكأنك أصبح مني أنا شخصياً.. سوف أكتب لك
خروج اليوم..

أخرج وعد لأولادك ومارس حياتك واستمتع بكل لحظة
فيها.. بعد أن انصرف الطبيب.. نظر بدوي إلى جار الفراش..
وجهه مألوف لديه كأنه رآه من قبل.. بادلته الجار النظرات إلى
أن قال:ها..هل تذكرني.. أم الظالم لا يتذكر المظلوم.. أنا
شعلان.. هل تذكر ذاك الرجل النحيل المسكين الذي ربطته في
الشجرة في بيتك لأجل خمسمائة جنيه.. وانهلت علي بالضرب
واللسع بصوت في يدك.. واطلقت علي كلابك.. أقصد أولادك

الحفاة ليقدفوني بالحجارة وهم يتلذذون عند إصابتي وإسالة
دماعي.. ولولا عم جعفر لكنت في ذمة الله منذ وقت طويل
وصار أولادي يتامى..

بدوي: لا.. أنت من أرسلك المعلم صالح.. هو يكرهني
شعلان: أنا لا أعرف صالح ولا طالح.. أعرف من ظلمني
وأساء لي وأهدر كرامتي.. كما أعرف من أحسن إلي وأصون
جميله.. أنا لن أنتقم منك.. لكن سوف أتركك للمتقم الجبار..
وكفى أن أراك في هذا السرير القذر وأنت ذليل بلا زائر ولا
أنيس.. لم تنفعك أموال الربا التي كنت تأكلها من الناس..
ودعوات كل من ظلمتهم سوف تعود عليك في الدنيا والآخرة..
لعلك اليوم تعي ما قاله الله تعالى.. يمهل ولا يهمل..
بدأ بدوي يتذكر شعلان وما كان يفعله فيه.. لكن الكبر والعناد
سمة لا تغادر شخصه..

بدوي: سوف أتعافى وأخرج وأعود لممارسة أعمالتي
وأحوالي.. وأربطك في النخلة مرة أخرى وأنهال عليك
بالضرب بنفس السوط..!!!

حضرت لبيبة وتوجهت لحجرة الطيبة المعالجة لحالة بدوي وكانت لبيبة بمفردها حيث أبت كلا من الزوجتان الأولى والثانية أن يزورا بدوي ولو لدقائق..

الطبيبة: ست لبيبة.. لدي أخبار غير سارة على الإطلاق.. لبيبة، وهي تضع يدها على قلبها والقلق ظاهر على وجهها الرقيق: ماذا هناك.. يارب خير

الطبيبة: لا.. ليس خيراً على الإطلاق.. وأشارت إلى ورقة في يدها.. لقد تسلمت نتيجة التحاليل من المعمل الآن..

للأسف زوجك يعاني من إتش.. أي.. في..

لبيبة: لا أفهم.. يعاني من ماذا؟!

الطبيبة: الإيدز.. يعني مرض الإيدز.. هل تعرفين هذا المرض حركت لبيبة رأسها وأجابت بالنفي..

الطبيبة: دعيني أشرح لك في عجالة.. أنه مرض ضعف المناعة في الجسم.. المناعة يا ست لبيبة.. مثل الجيش المسئولة عن الدفاع عن الجسد ضد أي أجسام غريبة أو فيروسات تهاجمه..

حالة بدوي زوجك .. هذا الجيش ليس موجود لديه الآن أو لا يعمل لأي أجسام غريبة أو فيروسات ولو ضعيفة .. تستطيع أن تتمكن منه ولا يستطيع مقاومة أي مرض ولو كان بسيطاً مثل نزلات البرد أو الانفلونزا..

لبيبة: يا خرابي .. وهل هذا المرض له علاج يا دكتورة ..
الطبيبة: للأسف .. العلاج يحتاج وقت طويل ومكلف مادياً
للغاية غير أنه غير متوفر لدينا..

أنصحك بأخذ زوجك من هنا والذهاب به للقاهرة .. ربما
يكن هناك حلول لديهم ..

وقبل أن تكمل الطبيبة جملتها الأخيرة سمعت صرخة من
احدى الممرضات وهي تركض بسرعة متجهة للعنبر المجاني
الذي يرقد به بدوي .. فقد كانت متواجدة بالقرب من حيث
تحدث الطبيبة إلى لبيبة وسمعت كل ما دار بينهما..

الممرضة بعد أن دخلت العنبر: الحقوا .. هذا الرجل عنده
إيدز .. إيدز .. إيدز

صار هرج ومرج في العنبر.. الجميع خائف.. تركوا سرايرهم
والتصقوا بجوار الحوائط.. وهم في حالة رعب وهلع من ذاك
الوافد الجديد بدوي وصاروا يقذفونه ببعض المطهرات..
وزجاجات الكحول.. كأنه أجرب.

سألت لبيبة الطيبة ولم تكن تعلم ما فعلته الممرضة بعد..
ومن أين جاءه هذا المرض.. لقد كان حتى آخر وقت في
صحة جيدة للغاية.. وقد تزوج منذ حوالي اسبوع وحسب علمي
أنه قضى ثلاثة أيام في سعادة مع عروسه الأجنبية الجديدة..
الطيبة: هذا المرض ينتقل عن طريق الإتصال الجنسي أو
عن طريق نقل دم مصاب بالمرض لانسان سليم فيصاب مثله..
وحسب ما سمعته منك.. ربما تكون زوجته الاجنبية هذه هي
من نقلت له المرض أثناء ليلة الدخلة..

للأسف بعض الاجانب يحملون هذا المرض.. والسلطات
هنا تحاول جاهدة أن توقع الكشف الطبي على الوافدين.. لكن
التحكم في هذا الامر والسيطرة عليه صعب للغاية..

هنا حضرت احدى الممرضات لتخبر الطبيبة عن العنبر المجاني في حالة هياج شديدة وأن المرضى خائفون وفي حالة هلع من مريض وفد إليهم بالأمس ويقولون إنه مصاب بالايذز والجميع خائف منه.. وربما يحاولون الفتك به أو التخلص منه..

وقبل أن تصل الطبيبة إلى العنبر.. تطوع أربعة من المرضى وألقوا بملاءة على جسد بدوي وحملوا الملاءة من الأطراف وهو داخلها وساروا به خارج العنبر وألقوه بجوار صندوق القمامة والنفايات الطبية وسط كلاب الشوارع والقطط الضالة والذباب وحشرات أخرى كثيرة لا يعلم بها إلا الله..

هرعت لبيبة إلى حيث بدوي ممدداً بجوار القمامة.. ساعدته على النهوض وأجلسته على الرصيف النظيف المقابل.. الآن صار الرصيف نظيفاً مقارنة بركاده بجوار مقلب النفايات وفي كنف القمامة والحشرات..

أطعمته بعض الفطائر التي أعدتها خصيصاً له..

نظر إليها وعيناه مغرورقان بالدموع.. وتذكر يوم ضربها
وركلها عندما هم بتناول صينية البطاطس.. وكال لها السباب..
وفي المساء أحضر زوجته الجديدة وتعهد أن تراه معها..
سأل عن الزوجة الاولى والثانية.. وقبل أن تجيب لبيبة أنها
لا تعرف أين هما وكأنه سحب سؤاله.. واستطرد.. لا يهم..
وأنا في هذا الموقف المذل المهين ترى عيني الحقيقة التي لم
استطع أن أراها طيلة حياتي وأنا بكامل صحتي ونفوذتي وسط
أملاكي وأموالي..

وإذا بأحد العاملين بالمستشفى ينادي على لبيبة..
تعالى إلى الداخل يا سيدتي.. مصيره معلوم.. انقذي نفسك
أنت.. الكلب الأجرى في هذه الحالة مأمون عنه..
بكى بدوي وهو يسمع ما سمع.. لم يكن يعلم أنه أصيب
بعدوى الايدز من الزوجة الجديدة.. وإذا به يسأل لبيبة.. هل أنا
مصاب بالطاعون..

أنهى علوي الجولة السياحية مع أحد الأفواج البريطانية.. ثم اتخذ طريقه عائداً للبنسيون وفي طريقه كانت المستشفى التي يعمل بها عدلي.. ليست بعيدة.. مر عليه حيث كانت عاداته دائماً عندما يكون سعيداً أن يشارك أخاه سعادته.. جلسا الاثني يتناولان أكواب الشاي.. والسعادة ظاهرة.. واضحة جلية على وجه كلاً منهما..

علوي: لدي أخبار طيبة للغاية.. أخيراً يا عدلي.. تحقق حلمي وتحققت صحة نظريتي.. وجدت الفتاة الاجنبية التي بها كل الصفات التي أحبها.. بجانب تعلق قلبي بها منذ اللحظة الأولى..

كم كنت أتمنى أن يكون أبي وأمي على قيد الحياة ليفرحا لفرحي.. لكن الآن ليس لي سواك..

نهض عدلي واحتضنه وأضاف قائلاً: مبروك.. اخبار رائعة.. لا بد وأن تعرفني عليها.. انا أيضاً لدي أخبار طيبة.. بدأت أو من بصحة نظريتك.. أن الزواج شيء جميل.. بعد أن كنت متخذ

الوحدة والعزوبية منهج حياة.. الآن تراجعتي.. وأؤيد رأيك أن
الاجنبية أنسب لنا كثيرًا..

علوي: هل قابلت الفتاة المناسبة

عدلي: نعم أرق وأجمل من رأيت عيني.. مريضة عندي كنت
أعالجها في عيادتي..

تبقى أيام قليلة على خروج ومغادرة تحية أو توحة لقلاع
السجن الحصينة فقد تم توقيع قرار الإفراج عنها..

طلبت توحة من إحدى السجنانات.. الاتصال بزوجها مرجان
البارمان والذي ترك عمله هربًا من الفضيحة والتزم البيت..
والغضب يكاد يقتله.. ولم يستجب لكل من شار عليه من أقاربه
وإصدقاءه بأن يقوم بتطليق تلك الخائنة.. التي خانته مع الشيف
زكريا.. الذي كان أحد زبائنه الدائمين في البار.. وكان يدافع عنه
أمام من يريدون إهانتته أو الفتك به نتيجة خلافات مالية حول
طاولة لعب القمار.. وايضًا كان يعمل طاهيًا في نفس البنسيون
الذي تعمل به..

وبعد فضح أمرهما.. اتضح أنها متزوجة منه عرفياً وهي لا تزال زوجة لمرجان فجمعت بين زوجين.. وقامت بسرقة محتويات ومخزون الطعام في البنسيون بمساعدة عشيقها، زوجها أو شريكها.. زكريا.. لذلك قامت بإرتكاب جريمتين..

مازالت طيلة هذه السنوات توحه زوجة لمرجان.. حيث لم يقم بطلاقها بعد أن أقرت المحكمة ببطلان الزواج العرفي من زكريا..

تلقي مرجان اتصالاً من السجانة.. تخبره أن تحية سوف تغادر السجن بعد يومان وتطلب منه العفو والغفران وأن ينتظرها أمام باب السجن.. حيث ليس لها مأوى أو مكان تذهب إليه إلا سواه..

لم يرد على السجانة بكلمة واحدة.. فقط استمع ثم أغلق الهاتف..

عندما علمت توحه من السجانة أن مرجان استمع ولم يرد بكلمة واحدة.. انتابها القلق الشديد.. يبدو أنه مازال غاضباً ولم يسامحها أو يعطيها فرصة جديدة.. إلى أين تذهب ليس لها مأوى أو مكان إلا بيت مرجان.. طلبت من السجانه أن تقوم بإجراء مكالمة أخرى.. آخر مكالمة.. بعد أن أبدت السجانة

ضيقها وضجرها من طلبات توحه.. حتى ولو كانت تدفع بعض الأموال للسجانة مقابل إجراء المكالمات..

اتصلي بهذا الرقم واطلبي منه أن يعفو ويسامح ويعطني فرصة أخرى ويسمح لي أن أعود إلى عملي.. كان هذا بالطبع رقم تليفون أ/ علوي الذي أجاب المتحدثة السجانة على الفور.. أنه من المستحيل أن تعود تلك اللصة.. السارقة.. الخائنة للعيش والملح.. على حد تعبيره.. أن تعود إلى البنسيون مرة أخرى.. وأنه لا يريد سماع أي أخبار عنها بعد اليوم.. ولا يهتم إذا خرجت من السجن أم تم إعدامها.. ولا تتصل به مرة أخرى.. ثم أغلق الهاتف بعنف في وجه السجانة التي بدورها كالت توحه السباب واللعنات أنها السبب في أن أحدهم يغلق الهاتف في وجهها..

ثم أدارت لها ظهرها وهي تصرخ.. إياكِ أن تطلبي مني شيء آخر.. متى يأتي اليوم الذي تغادرين فيه السجن.. كان يوم أسود يوم ما حضرتي إلى هنا.. يا زوجة الاثنين.. واحد بياع خمرة والآخر حرامي مطابخ..

فتح باب السجن الضخم الخشبي.. أحدث صوتاً مسموعاً..
وبدأت بعض المسجونات تخرج إلى أن أطلت تحية برأسها
وسارت بخطوات بطيئة وهي تنظر وتتفحص في جميع
المنتظرين أمام البوابة شاهدت مرجان يقف على الجانب الآخر
وهي مازالت تقف بجوار البوابة أمام أحد حراس السجن ركض
مرجان بسرعة تجاهها وهو يخرج سكيناً كبيراً للغاية من سترته
وأقرب منها ورفع السكين موجهاً إياه إلى صدرها.. وإذا بيد
قويه تمسك بيده وتضرب كفه الذي يحمل السكين.. الذي سقط
على الأرض.. وجذب مرجان بشدة وأوقعه أرضاً.. ثم صرخ
في توحه: أهربي أنتي بعيد عن هنا.. ركضت توحه في الشارع
هرباً من مرجان الذي لم يحضر في استقبالها كما ظنت عندما
رأته على الجانب الآخر المقابل للسجن.. بل أتى ليقتلها..
ساعد الحارس مرجان بالنهوض قائلاً أحمد ربنا أني
لحقتك.. لما فعلت ذلك.. لماذا تريد قتلها..

مرجان: وهو يبكي في حالة انهيار.. لماذا منعتني.. أتحميها؟
تحمي خائنة.. فاجرة.. أنت لا تعلم ماذا فعلت.. هي تستحق
القتل ألف مرة

الحارس: أعلم قصتها جيداً.. أعرف كل نزيهه لهذا السجن
وأعلم قصصهن جميعاً لكن.. ليس هذا هو الحل.. تلك الحلول
نشاهدها في أفلام السينما عندما تخون الزوجة.. يأتي الزوج
ليقتلها.. وكأنه بذلك عالج الأمر.. أو غسل شرفه واسترد كرامته..
ثم يوضع هو في السجن.. المفروض إنه الضحية.. يتحول
لقاتل.. جاني.. يوضع في السجن بقية سنين عمره أو يعدم..
مرجان: لكن.. لكن.. ثم انهار في البكاء ثانية..

يأمر الحارس زميل له أن يحضر كوباً من الماء.. بعد أن
أجلسه على دكة خشبية بجوار بوابة السجن..

مرجان وهو يشرب الماء والكوب يرتعش في يده وجسده يتنفض..
أريد أن أغسل شرفي وأمحو.. عاري.. لماذا منعتني..

السجان: منعتك لأحميك من نفسك ليس لحمايتها هي..
هي كما قلت أنت تستحق كل ما يحدث لها.. لكن ليس على

حساب نفسك .. أنت لا تؤذيها هي .. أنت تعاقب نفسك .. هل أنت تستحق أن توضع في السجن في اليوم الذي تخرج هي منه .. عقابها الأشد هو أن تتركها للعالم .. للزمن .. لترى فيها العقاب الحقيقي .. عندما تذلل وتهان ولا تجد من يحنو عليها عندما يلتف حولها ناهشوا وبائعوا أجساد النساء من أمثالها .. هنا فقط .. تعلم أن الانتقام حل بها .. وتعرف حينها قيمتك .. وأنها كانت في كنف زوج لا يعوض .. أعقل يا صاحبي ..

تسلمت ماتيلدا الدفعة المالية الأخيرة من ثمن بيع المنزل .. وتم إعطاءها مهلة ثلاثة أشهر لتغادر البيت وتتسلمه شركة التسويق العقاري ..

كانت سعيدة بالأموال .. لكن شعورها بالوحدة قتل كل فرحة بداخلها .. أين كارين وأين يوهانسن ..

وبينما هي تواسي نفسها بوحدتها تلقت اتصالاً من كارين من أسوان أجابت على الفور: كارين ابتسي الجميلة .. كأنك تشعرين بي .. كنت أفكر فيك للتو وأتمنى لو كنتِ معي الآن ..

الوحدة تقتلني.. احتاج وجودك واحتاج أباك يوهانس ليكون
إلى جوارى..

كارين: أمي.. اشتقت إليك كثيرًا.. لا تقلقي لن تكوني وحدك
لفترة طويلة فأنا أقوم بترتيبات لنظل سويًا كما كنا.. لكنني أود
أن أخبرك أنني هنا في أسوان المدينة الساحرة.. أعيش أجمل
أيام حياتي.. ويبدو أن قلبي قد عرف الحب.. دقائقه تختلف عما
ذي قبل.. قابلت شابًا مصريًا.. دخل إلى وجداني.. وسار في
جوارحي.. أرتاح إليه كثيرًا وأشعر أن الله وضعه في طريقي..
ماتيلدا: هذا خبر رائع.. لا بد وأن اتعرف عليه يومًا ما..

ظلت كارين تحدث أمها لفترة طويلة وهي ممسكة بالهاتف
بيد وباليد الأخرى الريشة الحمراء.. كاتمة أسرارها.. صديقتها
الصدوقة..

دخل الطبيب المتابع لحالة بكري إلى الحجرة المقيم فيها بالمستشفى وبجواره فاطمة على الفراش المرافق بعد أن استردت عافيتها تمامًا..

ومن خلف الطبيب.. دخلت ممرضة وهي تدفع أمامها.. كرسياً متحرّكاً على عجلات ووجه الطبيب كلامه لكلا من بكري وأمه فاطمة..

الطبيب: الآن قد أصبحت في أحسن حال وسوف اسمح لك بمغادرة المستشفى في الغد.. حاول أن تتمرن وتندرب على استعمال هذا الكرسي اليوم كي تستطيع الإعتماد على نفسك بعض الشيء..
بكري: حسناً.. سأفعل.. شكراً يا دكتور..

فاطمة: ما هذا أنا لا أفهم.. لماذا هذا الكرسي المتحرك يا دكتور.. الم تقل.. أنه تعافى وصار في أحسن حال..
نظر الطبيب إلى بكري.. ثم أطرق برأسه للأرض.. ثم قال محدثاً بكري:

يبدو أن الست الوالدة ليست على دراية بحالتك ويبدو أيضاً أنك لم تخبرها..

أوماً بكري برأسه.. أن.. نعم كنت أخاف عليها وأخشى
عليها من الخبر وخاصة لم تكن في صحة جيدة.. أما عني
أنا فلقد تقبلت الامر.. تقبلت مصيري وحالتي الجديدة التي
سأكمل عليها حياتي.. أقصد الباقي من حياتي.. لم تكن هذه
طموحاتي وأحلامي لكن نحمد الله على كل شيء.. الإبتلاء
مكتوب علينا.. وقضا أخف من قضا..

ظهر الهلع على وجه فاطمة.. ماذا أنتما تلمحان إليه.. لا
زلت لا أفهم..

الطبيب: يا ست فاطمة.. بكري ابنك تعرض لضرب مبرح
على أجزاء متفرقة من ظهره ومنطقة الحوض بجانب جرح في
الجمجمة.. لم تكن حادثة دهس بسيارة كما أخبرونا عندما
حضر.. أول يوم.. وقد أدى الضرب إلى تأثر جهازه العصبي..
والذي أدى بدوره لعدم قدرته على التحكم في الساقين..
ببساطة.. لن يستطيع الوقوف أو السير على قدميه مرة أخرى..
صار مشلولاً أو قعيداً.. سيظل بقية حياته يحتاج للخدمة
والمساعدة ولن يستغنى عن هذا الكرسي المتحرك بالعجل..

صرخت فاطمة وهي تضرب صدرها بيدها.. استر يا رب..
سترك يا رب..

استدار الطبيب مغادرًا الحجرة حيث لم يتحمل أن يسمع أو
يشاهد ردة فعل فاطمة بعد ذلك..

قفزت فاطمة وكأنها في العشرين من عمرها من فراشها
إلى فراش بكري ممسكة بملابسه وجذبه بقوة.. ما هذا الذي
سمعته؟ لم تكن حادثة سيارة.. ضرب.. ضرب يا بكري.. من
قام بضربك.. وكيف تخفي علي كل هذا.. صرت مشلولاً يا
ولدي.. لا أدري أأحزن عليك أم أغضب منك؟ من فعل هذا
بك؟ نحن لا نترك ثأرنا يا ولدي.. لا بد أن تخبرني من هو؟؟!!

والغضب يملك كل خلية من خلايا فاطمة الذي يرتعد حزناً
وخوفاً على أولادها وأسرتها التي تفككت.. بدءاً من المسكينة
لبيبة التي لم تعرف من حياتها إلا لهو الطفولة.. ثم واجهت
مصيراً مرعباً مع خنزيراً لا يرحم ولا يعرف الشفقة.. ودُفعت
ثمناً لصفقة تبادلية كانت هي الخاسر الأكبر ودفعت ثمناً غالياً..

لم تكن لها يدًا في شيء ولم يؤخذ رأيها في شيء.. فقط هي ضحية وتدفع الثمن..

إلى موت الزوج والأب الذي نظر إلى الدنيا من جانب من يأمن غدر الزمن لكن القدر والزمن لم يمهلها ولم يعطه الفرصة ليتفوق عليه ويهزمه.. لن تستطيع أن تعاند القدر وأن تهزم الزمن وما قد كتب وقدر لك.. مهما كانت مهارتك أو درجة ذكائك أو خبراتك في الحياة..

وها هو يدفع الثمن من حياته وخسارة ما بعدها خسارة..
ينفرط العقد من بين يديها أكثر وأكثر والخسائر تزداد..
وطعم الشقاء والبؤس يحل محل السعادة القليلة التي كانت تحوط أسرتها..

المسكين بكري ظن أنه له ظهرًا يستند عليه بعد فقدان الأب والأخت القريبة له والتي كانت تلهو معه طيلة الوقت.. كانت الأخت والصديقة.. حاول منع هذه الزيجة اللعينة لكن أيضًا حين يتكلم القدر فأمره نافذ على الجميع..

ذهب إلى الظهر الذي يستند عليه ليطالب بحقه أو إشراكه في العمل فيصرون ثلاثة بدلاً من اثنان أخوة.. فلفظاه كما يلفظ الجسم العضو الغريب وكأن بكري ليس بشقيقهما.. عبد الهادي ورشيد.. اتحدا سويًا ضده.. ونسيا أنه من نفس الأب وعاش وتغذى من نفس رحم الأم طيلة ٩ أشهر مثلهم..

في الأوراق الثبوتية يحملان اسم الأب والأم والعنوان.. البيت واحد.. التربية واحدة.. التغذية والطعام واحد.. الأب واحد.. الأم واحدة..

لكن الروح مختلفة.. كل له روح تحركه.. وتجعل في وجدانه الحنان والرحمة أو تضع مكانهما السواد واللون القاتم.. اقتربت فاطمة من الأرض التي هي تملك نصفها بعد ان تنازل لها عنها طاهر.. بجانب جزء آخر يمثل نصيبها من الميراث بصفتها الزوجة..

انزعج رشيد بعد أن شاهد أمه تسير في الأرض قادمة إليهما فهذه هي المرة الاولى التي تحضر فيها فاطمة إلى الأرض..

نظرت حولها إلى الأرض.. التي وضع لبتتها وحفر ترابها
وشكل طينها بيده زوجها جعفر.. رب الأسرة.. الذي رحل
وتركها تواجه الدنيا وحدها وتشاهد الإنهيار للأسرة من
حولها.. لم يتبق من العقد الذي انفرط سوى «أسماء» الطيبة
الوديعه.. التي ورثت عن أبيها الصبر والجلد وأخذت عن أمها
رحمة وحنان يملأان الكون بأكمله..

ليتك معي هنا يا أسماء.. استمد منك بعضاً من كياسة
عقلك.. افتش عنها داخلي لا أجدها.. ضاعت الحكمة
داخلي.. عقلي يشت.. ربما استطاع الأطباء مساعدتي أن استرد
صحتي في المستشفى.. عادت العافية لكن أخذت مقابلاً لها
العقل والحكمة وكأنها صفقة تبادلية أخرى خاسرة كتلك التي
عقدها جعفر مع الخنزير الملعون.. بدوي فياض..

وما أن وقفت فاطمة أمام رشيد نسيت كل ما كانت تريد
قوله.. واستعدت لهذا الموقف جيداً..

لم تستطع الكلام.. إلا أنها رفعت يدها إلى أعلى ارتفاع
وانهالت بكفها الصغير على وجه رشيد ولدها.. قائلة: هذا جزء

من حق بكري.. كدت أن تقتل أخيك يا فاجر.. كيف تكون ابني وتهين وتضرب ابني.. ابني لا يُهان ولا يُضرب حتى ولو كان الفاعل أيضاً ابني.. بطني تندم على شهور وأيام حملك.. وصدري يندم على سنوات رضاعتك وإيدي وعقلي يندمان على رعايتك إلى أن صارت لك قوة وعنفوان تستخدمهم لضرب ابني..

وإذا بعبد الهادي يظهر من خلفه بعد أن سمع ما دار ورأسه مطقطة إلى الأرض، قائلاً: ليس لك شيء هنا يا أمي.. عودي إلى الدار وسوف نرسل لك مصروفك الشهري المعتاد.. هذه الأرض أرضنا.. عودي.. ليس لأحد مكان هنا..

لم تصدق ما سمعته من أول وأكبر أبناءها.. الابن البكري.. أول فرحة.. هو من يقوم بأول طرد لها من الأرض.. أرضها.. استدارت فاطمة تحملها أقدامها بصعوبة.. عائدة من حيث أتت.. لا تكاد تصدق أنها تُطرد من أرضها.. أرض زوجها.. وأرضها حالياً.. وممن..؟! من قام بطردها.. ولداها الكبيران اللذان سوف يعوضانها غياب الزوج.. اللذان سوف يتحملان المسؤولية بعد جعفر.. عبد الهادي ورشيد

عبد الهادي ابنها الكبير من يحمل اسم جده أول احساس
بالحمل .. أول احساس بحركة جنين في احشائها .. كانت تشعر
بركلة أرجله .. كانت تغني له وهو مازال في احشاءها .. وعند
ولادته .. شعرت أنها ملكت الدنيا وما عليها .. صمم جعفر أن
يطلق عليه اسم عبد الهادي .. لأبوه .. أبي جعفر .. فهذا الأبن
العاق الآن بعد أن نضج وصار رجلاً .. يحمل اسم جده .. لكن
لا يعرف جده ولم يرث منه إلا الاسم .. مجرد حبر على الورق ..
لكن صفات جده .. الشهامة .. الرجولة .. تحمل المسؤولية ..
العطاء .. الايثار هي أبعد الصفات عنه الآن ..

كم نحن الامهات مظلومات .. طيلة حياتنا مظلومات لكنه
ظلم مختبئ في مكان ما بداخلنا .. ينير هذا المكان ويظهر
ويشعر بالظلم .. عندما نعامل ونقابل بالجحود .. الجحود يظهر
الظلم ويضعه في المقدمة أمام عينك .. وجحود الأبن ليس أي
جحود .. أنه جحود قاتل .. يشعرك بالندم على كل ما فعلته ..
رغم أنك لا تؤمن بالندم على فعل الخير ..

سارت فاطمة عبر الطرقات مقهورة.. مطرودة.. ليس من الارض فقط.. لكنها مطرودة من شفقة ورحمة ولداها.. مطرودة من يد حانية تربت على كتفها وأصابع فيها الطيبة تمسح دمعها.. هل كنت أمًا سيئة لهما؟ هل أهملت..!؟

هما من أختارا طريقة العمل في الأرض مع الأب.. توقفا عن الاهتمام بالتعليم في منتصف الطريق.. فضلًا العمل والبحث عن المال.. ربما أخطئت عندما وافقت أن يكونا عونًا لأبيهما ويساعدان أب ضحى بكل شيء لآجلنا.. ربما يحتاج مساعدة أكبر أولاده.. شعرت بالتعب يحل عليها وهي تسير ولا تدري إلى أين تذهب.. توقفت فاطمة وأوقفت سيارة أجرة.. ليسألها السائق على وجهتها.. لم ترد عليه.. يسألها السائق ثانية.. لم تجب.. كأن عقلها يرفض أن يعمل.. يرفض أن يُصدم مرة أخرى حتى ولو كان من سائق سيارة أجرة لا تعرفه ولا يعرفها.. ولم لا؟ لقد أهينت وطردت من ولداها.. أول فرحتها.. فلم لا يهينها هذا السائق.. حاولت التركيز وهي ترى السائق بوجهه ينظر إليها بعد أن أستدار ويكرر نفس الكلمات.. إلى أين؟..

وأخيراً استجمعت قواها وهي تقول.. إلى المستشفى..
المستشفى..

ذاهبة إلى المستشفى لتلحق ما تبقى من هذه الأسرة التي
انفردت عقدها.. لكن إلى أي مستشفى.. إلى المستشفى التي
يرقد بها بكري المسكين الذي ينتظره كرسي أسود بعجلات..
أم إلى المستشفى.. القسم المجاني حيث لبيبة تحاول
الإستمرار في طاعة الله ورعاية زوجها حتى لو لم تر معه يوم
حلو.. كما يقولون..

بصرها.. شاخص.. تنظر من النافذة والسيارة تشق الطرقات
في طريقها إلى المستشفى حيث بكري في انتظارها بعد أن
اعترف لها ولم يتحمل ضغوط مارسستها عليه لتعلم وتعرف من
قام بضربه وسبب له الشلل..

وبينما هي تنظر من النافذة والسيارة تمر من شارع كورنيش
النيل بأسوان.. شاهدت ابتها أسماء.. تجلس على سور
الكورنيش وبجوارها شاباً.. لا تعرفه..

أطالت النظر إلى أسماء وهي جالسة على الكورنيش.. إلى أن انحدرت السيارة جهة اليسار.. مقتربة من شارع المستشفى.. هكذا طار عقلها.. سوف تتخيل أولادها وبناتها في كل مكان.. استجاب بصرها لنداء عقلها أنه يعمل بدون ائزان أو انتظام.. وبدأت التخاريف تلاحقها.. والتهيوآت تتلاعب برأسها.. إلى أن دخلت المستشفى.. للحاق بكري..

أخبرته أسماء بعد أن نهضت من فوق سور الكورنيش.. أنها لا بد أن تغادر.. بالفعل إنها أسماء بصحبة أحد الرجال على سور الكورنيش..

لم تكن فاطمة في غياب تام عن العقل.. ماشاهدته حقيقي.. رغم أنها ظنت أنها تخيلات ولوثة عقل من أثر ما مرت به.. وقبل ساعتين وتحديداً في نفس الوقت الذي اعترف فيه بكري لأمه فاطمة بما حدث من أخواه عبد الهادي ورشيد.. كانت أسماء على موعد و لقاء.. مع أول رجل يدق له قلبها.. وفوق كورنيش النيل.. في صباح يوم جميل.. جلسا يتبادلان أطراف الحديث

أسماء: لكن لماذا أطلق عليك أباك اسم جمال.. أنت
اخبرتني أن أباك هو من اختار اسمك حين ولادتك..
جمال: نعم أبي الذي أراه أعظم أب.. ربنا يشفيه.. ويشفي
أخيك بكري
أختار اسم جمال لأنه كان..

هنا أوقفته أسماء بإشارة من يدها..

أسماء: نعم لا تكمل.. أنا أعرف.. أكيد منحك اسم جمال
نسبة إلى الزعيم جمال عبد الناصر.. معظم أبناء جيلكم
والأجيال التالية كان اسم جمال نسبة إلى الزعيم الخالد..

ضحك جمال قائلاً: أعترف لك بذكائك النادر.. لكن
للأسف لم يطلق أبي على جمال نسبة إلى جمال عبد الناصر..
ولكن نسبة إلى جمال الدين الأفغاني.. هل تعرفينه..؟

أسماء: نعم.. أسمع عنه فقط لكن لا أعرف عنه غير الاسم..
مثله مثل كل من كان يرد أسمهم في كتب التاريخ..

جمال: حسناً أنه جمال الدين الأفغاني ولد عام ١٨٣٨ وتوفي
عام ١٨٩٧.. فقد عاش ٥٩ عاماً.. فهو أحد البارزين في النهضة

المصرية ومن أعلام الفكر الإسلامى المجددين فقد تخصص في علوم العقيدة وكان يتحدث العربية والتركية والبشوتية وقد أفنى حياته في محاولة مواجهة الخطر الغربي والتأكيد على الوحدة الإسلامية وكان له موقف قوي وداعم للثورة العربية.. وقد تم نفيه إلى الهند، ثم عاد ثانية بعد فترة وأستمر في كفاحه ونضاله.. ومن أشهر من تتلمذ على يديه الإمام محمد عبده..

أسماء: تعرف كم أنا فخورة بك، القليل من الناس من يعرف أصل اسمه أو ما يعني هذا الاسم، ربما دراستك هي السبب في ذلك صحيح لماذا اخترت دراسة الفلسفة تحديداً..

جمال: منذ صغري وأنا أميل إلى الدراسات الأدبية ووجدت في الفلسفة وفي آراء الفلاسفة حكمة دائماً ما تغيب عني وسط زحام الحياة الدائم،

لكن للاسف الفلسفة في بلادنا ليس لها أي أهمية أو وزن وليس لها أي مردود مادي يُعين الانسان على أن يحيا حياة كريمة مناسبة فيستطيع تكوين أسرة..

لذا حصلت على الشهادة، وعدت إلى ورشة أبي لأعمل معه
ومساعدته في تحقيق أحلامه التي صارت أحلامي أنا أيضاً
أسماء: رائح، هكذا ضمنا أن يكون لدينا أثاث قوي ومتين
حجرة سفرة قوية وكبيرة وحجرة نوم وأخرى للأولاد..
ضحك جمال: أعتقد يا أسماء أنك أخطأت فهمي، ورشة
أبي صحيح إنها ورشة نجارة، لكن ليس لصناعة الأثاث كما
تظنين إنها ورشة نجارة لعمل المراكب الخشبية الشراعية منها
والتي تعمل بالماكينه وأيضاً لعمل العوامات ومراسى المراكب
المقامة على نهر النيل..

أسماء: ما معنى هذا؟ هل سنتزوج في مركب..؟!
ضحك الاثنان.. وبعدها نهضت أسماء للمغادرة وتوجهت
بصحبة جمال إلى المستشفى دخلا سوياً وافترقا في الدور الرابع
حيث توجهت أسماء إلى حجرة بكري أخيها، بينما سار جمال
إلى نهاية الردهة واختفى داخل الغرفة الأخيرة المقابلة للدرج..

أمام الفندق الذي يعمل فيه طاهر ويتلقى فيه تدريبه العملي، وعلى ضفاف النيل وقفت كارين سارحة وشاردة بخيالها غير مصدقة أنها الآن تقف أمام هذا النهر.. النهر العظيم.. في نفس البقعة التي عاش عليها القدماء المصريين و أسسوا أعظم حضارات العالم على الإطلاق..

وهو نفسه هذا النهر كما قرأت في بعض الكتب التي وضعت فيه أم النبي موسى عليه السلام - رضيعها موسى داخل سلة - يتهادى في مياهه.. لتحميه من بطش رجال فرعون وتحمله نفس هذه المياه التي تنظر إليها الآن..

وبجوار النهر وعلى ضفافه سارت أخت موسى مع حركة السلة التي بها الرضيع موسى.. لتعرف مصير الرضيع داخل السلة. شعرت بقشعريرة في بدنها.. واخذت نفساً عميقاً بعد أن هبت بعض الرياح الخفيفة المعبأة بهواء معبئاً بالتاريخ والعتق والقدم.. وإذا بياقة من الزهور أمام وجهها إلتفتت انه طاهر حضر في مياعده كما اتفقوا وتواعدا زهور عصفور الجنة يحبها طاهر للغاية

ولم تكن كارين تعرفها جيداً أو معتادة عليها لكن منذ أن عرفت
طاهر وهو يقدم لها باقة من عصفور الجنة
صارت تهيم بها حباً اللوان الرائعة.. البرتقالي والأخضر..
التصميم الغريب ربما ليست لها رائحة نفاذة، لكن جمالها
يغطي على كل شيء..

قضت بصحبة طاهر أجمل أوقات حياتها عرف قلبها معنى
دقة القلب تذكرت أمها وأدركت لماذا هي في حالة حب لأبيها
يوهانسن رغم غيابه لسنوات طويلة، وكيف ومن أين لها كل هذا
الوفاء؟..

تمتت قائلة: يا حبيبي يا أمي.. كان عندك حق.

سمع طاهر بعض الحروف وسألها ما تقولين..

قصت عليه حكاية أمها وحبها لأبيها النادر وإخلاصها
ووفائها له الذي لم ترى أو تسمع مثله وأنها مازالت حتى هذا
اليوم تتوجه إلى المرفأ صباح كل أحد بعد إقامة الصلوات في
الكنيسة وتنتظر على رصيف المرفأ والامل يملأؤها ولم يغادرها

قط رغم الإحباط الذي أحاطه البعض من حولها لكنها مازالت على العهد باقية..

وأثناء حكيها أمتدت أصابع طاهر لتداعب أصابعها على استحياء.. ورويداً ورويداً.. تشابكت الأيدي مع قصة ماتيلدا المخلصة الوفية وكأن وفاء ماتيلدا انتقل إلى أصابعهما ثم ايديهما ثم إلى الوجدان مباشرة والذي يحتفظ بالوفاء إلى الأبد..

سارا سويًا دون دراية بالوقت أو المكان.. وهي ممسكة بالزهور وتقول: عصفور الجنة.. عصفور الجنة.. كم أحبها.. إلى أن استقر بهما المطاف أمام المستشفى..

والدموع تزرف من عينيها طلبت فاطمة من أسماء أن تضمها إلى صدرها ضميني يا أسماء.. أشعر أنني أفقد ما تبقى لدي من العقل.. الهلاوس والخيالات تلاحقني تخيلي انني رأيتك.. نعم.. انتِ.. شاهدتك من نافذة سيارة الاجرة والغريب أنك كنت ترتدين نفس الملابس هذه.. وكنت على نفس الهيئة

أشعر أنني أضيع.. وربما يغادر المستشفى هنا لا توجه إلى
مستشفى الأمراض العقلية..

نظرت أسماء إليها في شفقة مشوبة بمسحة من الحزن..
أسماء: لكن ما شاهدتية يا أمي حقيقي.. نعم أنا.. أنا كنت
اليوم على سور الكورنيش

فاطمة: حقًا لم أكن أهذي.. كان حقيقة.. لكنك لم تكوني
وحدك كان بصحبتك شاب ما.. هل هذا أيضًا كان حقيقة
أسماء: وهي مطرقة رأسها إلى الأرض وتجيب على
استحياء..

نعم يا أمي.. كان معي شاب يجلس بجواري، سأشرح لك..
فاطمة: تشرحين ماذا.. تخرجين مع شاب.. أخيك مشلول..
وأختك مكلومة في زوجها الذي يحتضر بجوار مقلب قمامة
المستشفى.. وأخواك طرداني من الأرض.. أرضي.. وأنتي
تخرجين مع الشباب

ثم رفعت يدها وفتحت كفها لتضرب خدها، لكن يدها توقفت في الهواء.. وهي تبحلق إليها.. ثم انزلت يدها وهي تقول:

لا.. لن أضربك.. ربما أنتِ أفضل من الكثيرين.. على الأقل لم تكذبي علي.. كان بإمكانك أن تحتفظي بأسرارك لنفسك.. على الأقل مازلتِ تتذكري أني أمك وتعامليني معاملة الأم.. التي تبوح إليها ابنتها بكل أسرارها..

أسماء: وهي تبكي وتحتضن أمها.. أنا لم أفعل ولن أفعل أي خطيئة يا أمي.. اطمئني.. إنه شاب محترم للغاية.. من أسرة طيبة.. تعرفت عليه هنا في المستشفى في أول يوم زيارتي لبكري.. فقد دلني على طريق الحجرة.. فهو يعرف المستشفى جيداً والده يُعالج هنا أيضاً وفي نفس هذا الطابق في الحجرة الاخيرة المقابلة للدرج.. بعض كسور في قدمه حيث سقطت عليه حزمة من الأخشاب..

وبالمناسبة طاهر.. طاهر ابن عمي.. يعرف كل شيء.. لقد صارحته وأخبرته.. وهو يعرفه جيداً.. فقد كان يدرس معه في المدرسة الابتدائية وأخبرني أنهم أناس طيبون.. وهو يريد الحضور

بصحبة والده بعد مغادرته المستشفى ليتقدم إليك ليطلب يدي..
هدأت فاطمة.. وأرتاح قلبها.. واستعادت توازنها بعد أن
شعرت أن هناك بعض الأمور ما زالت تسير في الطريق الصحيح..
سمعوا طرقاً على الباب.. ليدخل طاهر.. ومن خلفه فتاة
أجنبية شقراء..

بعد التعارف بين كارين والخالة فاطمة.. بكري وأسماء
بواسطة طاهر كان الجميع سعيد بالتعارف واللقاء ويتبادلون
الحديث في أمور متعددة.. إلا فاطمة التي كانت تشترك معهم
بنصف عقلها.. والنصف الآخر.. ممزق بين ما سمعته من
أسماء وعن ذلك الوافد الجديد جمال هل هو انسان جاد أم
يتلاعب بقلب وعقل أسماء لكن الجزء الذي بعث الطمأنينة
بعض الشيء إلى قلبها هو دخول طاهر كطرف وأنه مرحب
ومبارك لتلك العلاقة وهو يعرف جمال منذ الطفولة..

شعرت أسماء بذكائها الفطري ما يدور في قلب ووجدان
أمها فاطمة وكان واضحاً أن الكلام وحده لن يضع فاطمة في
حالة من الأمان الداخلي..

مالت أسماء على أذن طاهر الذي كان يجلس إلى جوارها
وهمست في أذنه ببعض الكلمات أستأذن طاهر بعدها الجميع
للذهاب إلى الكافتيريا لإحضار بعض المشروبات للجميع ..
انصرف طاهر وكانت كارين تعيش حالة فريدة وغريبة
من السعادة التي كانت تسمع عنها وتحلم بها لكن لم تتذوق
طعمها.. ألا إنها حالة جو الأسرة.. أسرة كاملة بأعضاء كثر..
عاد طاهر ببعض المشروبات.. ولكن استأذن الجميع أن
بصحبه ضيف يقف على باب الغرفة.. يستأذنها في دعوته..
فتح الباب قائلاً: أتفضل يا جمال..

اطمئن قلب فاطمة تمام الاطمئنان بعد جلستها وبقيّة الأسرة
مع جمال وشعرت كأنها تعرفه من قبل أو أنه واحد من أفراد
الأسرة.. وأثناء الحديث..

أفصح جمال لفاطمة عن رغبته في الزواج من أسماء.. فعندما
يعودون إلى المنزل تحدد له موعد لكن بعد اسبوعين على الاقل
حيث هذا هو ميعاد مغادرة أبيه للمستشفى..

مد طاهر يده لتمسك بيد كارين وهما يغادران المستشفى ..
وكانت كارين تشعر بالسعادة الغامرة .. سعادة الجلوس وسط
أسرة طيبة بسيطة وسعادة لاقترب طاهر منها أكثر .. فتح لها باب
التعارف مع أسرته ..

هي تدرك جيداً .. أن الرجل المسئول الجاد المحب الحقيقي
يشرك حبيبته في كل أمور حياته .. أسرته، عمله، هواياته،
اهتماماته، ذكرياته، طفولته، وكل الأشياء الهامة للغاية أيضاً ..

دخولها وسط أسرة طاهر أشعرها بأهميه العلاقة الجميلة
الوليدة مع طاهر .. وانه الحبيب الذي أحسن قلبها حين دق له ..
وفي الطريق أستوقفته أمام مكتب اتصالات .. طلبت منه
إجراء مكالمة لامها ماتيلدا للاطمئنان عليها .. وبعد الحديث
معها لفترة أمسكت بالسماعة وناولتها طاهر قائلة: هيا .. تحدث
لامي .. هي تريد التعارف عليك ..

كنت أحكى لها عنك، الآن أمسك طاهر السماعة وهو يشعر
بكل ما شعرت به كارين ..

أغلقت ماتيلدا سماعة الهاتف بعد أن انتهت أهم مكالمة في حياتها.. مع زوج ابنتها المنتظر طاهر..

ارتسمت إبتسامة عريضة على شفتي ماتيلدا تحولت إلى ضحكة خفيفة ثم استمر الضحك المصحوب بالدموع.. تضحك من قلبها وعيناها تدمع في ذات الوقت.. كسطوع الشمس وسط هطول الأمطار..

امسكت بصورة يوهانسن.. وتحدثت إليه قائلة.. الآن.. الآن.. يا يوهانسن الآن استطيع أن.. ولم تكمل جملتها..

لم تغادر ماتيلدا بيتها منذ أن سافرت كارين، حيث كانت تذهب للعمل في مكتب البريد في الصباح.. وتعود للبيت ولا تغادره حتى صباح اليوم التالي..

حتى صلوات يوم الاحد.. توقفت عنها.. وكذلك الذهاب إلى المرفأ لانتظار قدوم يوهانسن.. توقفت أيضاً عنه..

كان الجميع حولها يتعجب.. بعد أن حصلت على أموال طائلة من بيع بيتها الخشبي الصغير، فلما تحتاج إلى الاستيقاظ

مبكرًا في هذا الطقس البارد والذهاب إلى العمل في مكتب البريد..

لم يكن الجميع يعلم مدى قسوة الوحدة التي عاشتها ماتيلدا ولولا وجودها في العمل وبجوار زملائها ووسط مرتادي مكتب البريد.. لكانت فقدت حياتها بالكامل هي تكره الوحدة وتكره تقلبات الزمان.. واليوم فقط تقبلت فكرة سفر كارين وابتعادها عنها في بلد آخر.. بعد أن وجه طاهر الدعوة إليها لتعيش معهم في أسوان.. في مصر..

استطاعت كارين تنظيم حياتها ومواعيدها..

في الصباح تلتقي طاهر في البنسيون لتتلقى منه تحية الصباح يعد لها طعام الإفطار ومعه زهرة عصفور الجنة..

ثم تتوجه أحد الأيام إلى مركز أبحاث النباتات ثم مقابلة عدلي للتجول في جزيرة النباتات للتعرف على النباتات النادرة..

وأيام أخرى تذهب إلى مركز الأبحاث أيضًا وبعده تتقابل مع علوي لتزور متحفًا جديدًا أو معبدًا أثريًا فرعونيًا جديدًا وتستمع

لشرح علوي المستفيض واجابتها على كل الاسئلة التي تدور
بداخلها..

وفي مساء كل يوم تنتظر طاهر على كورنيش النيل أمام
الفندق الذي يعمل به يقابلها بزهرة عصفور الجنة ثم تتشابك
الأيدي ويسيران على ضفاف النهر في سعادة.. وتسير كارين
إلى جواره في راحة وطمأنينة وأيضاً في فخر، حيث تشعر أنها
قريبة من الانبياء حقاً، فهذه الأرض قد سار عليها الأنبياء منذ
آلاف السنين وشربوا من ماء نيلها وأكلوا من خيرات أرضها..
وربما ماتوا ودفنوا فيها..

نشروا رسالات التسامح والحب والاخاء... ومعرفة الله ..
ونبذ العنف والحقد والكراهية.. انه السلام.. نعم السلام ..
لذا تستحق هذه المدينة أن تكون مدينة الحب والسلام.

فكرت كارين أكثر من مرة في أن تطلع طاهر حبيبها على
أهم سر في حياتها أو ربما السر الوحيد.. هو صديقه الصدوقة
وكاتمة أسرارها الريشة الحمراء لكن في كل مرة كانت تتردد
وترجى هذا الامر لوقت آخر..

بينما طاهر اتخذ قرار انه سوف يقدم لها ريشته الحمراء
الفريدة وكاتمة أسرار ه.. في يوم الزفاف لتكون ريشتها وهو
يدرك تمامًا انها لن تستخف به لمجرد انها ريشة طائر.. اكيد
سوف تتفهم أهميتها لديه وسوف تعتنى بها وتحبها كما يحبها
ويجلها هو..

وبعد أن أنهيا جولتهما وقبل أن يوصلها طاهر إلى البنسيون..
أستأذنها انه يريد زيارة أهم انسان في حياته ويريدها أن تتعرف
عليه.. أبيه الروحي.. عم عبد القدوس..

طيبة وحنان الأب.. حكمة العجوز.. مهارة الطاهي.. تواضع
العظماء.. كل هذا وجدته كارين في شخص عم عبد القدوس..
استمعت بكل الإهتمام وحب لبعض ذكريات أيام عمله في
قصر أهم ملوك مصر والشرق الأوسط .

استمر الوقت يمضي في حوار يشوبه الحب والضحكات
البريئة.. إلى أن انصرفا وتوجها إلى البنسيون..

فكانت أول انسان كارين تراه حين تستيقظ .. هو طاهر
وزهرة عصفور الجنة وآخر انسان تقع عليه عينها هو طاهر
وزهرة عصفور الجنة ..

لا يتفوه كل من يمر بالقرب من لبيبة إلا بكلمة واحدة ..
نصيحة

ابتعدي عنه سوف تصابين بالعدوى ويصير مصيرك مصيره ..
تصرخ بأعلى صوتها وهي تضع الكمادات على رأس بدوي
المحموم والمسند على أرجلها وهو ممدد على الارض ..
أرحموا عزيز قوم ذل .. انتم لا تعرفون كيف كان هذا الرجل ..
زوجي والد بناتي ..

يمر الناس من حولها .. هم ينظرون إلى رجل نحيل أكل عليه الزمان
وشرب وفعل فيه الدهر فعلته وفمه مفتوح وهو في النزاع الأخير ..
لا تريد الروح مفارقتة في هدوء وسلام .. إنما يتعذب لتخرج
روحه .. ظل على هذا العذاب يومان إلى أن فارقتة الروح وكأنها
كانت تنتقم لكل من عذبه وأكل حقوقه .. لكل من اغتصب

أرضه.. لكل من ظلمه وأبكاه وقهره وأذله.. الآن تنادي لبيبة
الزوجة الملكومة ارحموا عزيز قوم ذل..

مات بدوي فياض.. الذي لم يفيض بأي خير طيلة حياته بل
كان رمزاً للإنتهازية وكنز الأموال.. وجرح كل من حوله..

مات وسط أكوام القمامة بصحبة الحشرات والكلاب الضالة
والتي لم يستطع الناظر إليه من بعيد أن يفرق بين جسد بدوي
وجسد كلب شارد ممد على الأرض.. لم يترك ذكرى عطرة أو
حميدة.. لا في الأرض ولا في السماء.. ثم دُفن في مقابر من لا
أهل لهم.. في مقابر الصدقة..

لم تحضر الزوجة الاولى ولا الثانية دفنته ولا عزاءه..
بل توجهتا بعد أن أبلغتا لبيبة بأنهما سوف يبدأن إجراءات
حصر الميراث بواسطة محامي وما عليها إلا التوقيع على
الأوراق وإستلام نصيبها وبناتها عندما تنتهي الإجراءات..

لم تصدق ولم تتخيل لبيبة ما كانت فيه.. وما فعلته.. الطبيعي
أن تتصرف مثل الزوجة الاولى والثانية وربما اكثر فلقد قهرها..
أهانها.. أهدر انوثتها.. قتل فيها أحلام الأنثى الرقيقة.. ذلك

البدوي.. الذي سرق شبابها ودفن روحها في دهايز حياة
سقيمة.. حياة ينتهي صاحبها معها إما إلى الجنون أو الموت..
تحاول علاجه وإنقاذه من الطعام المسموم من قبل.. ثم لا
تهتم ولا تكثرث بذلك المرض اللعين.. الايدز.. والإشاعات التي
أطلقها الكثيرون أنها سوف تنتقل إليها العدوى بمجرد وجودها
بجانبه.. وما الذي لا يعلمه الجميع أن لبيبة كانت تشعر وتعلم
أنها سوف تموت حتماً على يد هذا الرجل.. أو تموت بسببه..
أرادت أن تزيد من صالح أعمالها خوفاً من حساب اليوم الآخر..
هكذا هو حال المؤمن.. الذي يخاف الآخرة فيقبل أن يقوم
بأعمالاً لا يفكر فيها سواه.. النظر إلى الآخرة يبدل نظرنا
للحياة.. وإنها فعلاً دنيا.. وليست عليا... العليا هي السماء..
هي الآخرة.. هي الجنة..

لم يستطع عدلي الإنتظار قبل أن يصارح كارين بحبه لها ويتوجه
خطوة جادة نحوها.. فضل لقاء أخيه علوي لاستطلاع رأيه في
الأمر وأخذ موافقته قبل الإقدام على خطبة كارين والتي تستشعر

بالطبع ما يدور داخل قلب ووجدان عدلي.. حين تمضي معه الوقت في فحص النباتات والأشجار النادرة في حديقة النباتات وهي تدون وتكتب معلومات كثيرة وتلتقط الكثير من الصور..
التقيا كلا من علوي وعدلي في ظهيرة أحد الأيام على طاولة الطعام في أحد المطاعم..

فسأل عدلي علوي عن فتاته الأجنبية التي دق قلبه لها.. وكيف تسير الامور.. أجابه علوي والسعادة تغمره هذه أول مرة أشعر بحبي لمهنتي وحيي لكل ما هو قديم ويمت للحضارة المصرية القديمة بصلة.. إلى أن قابلتها.. أشعر بروحي تطير في الهواء وتحلق حولها وأنا أشرح لها عن القطع الأثرية وحياة المصريين القدماء..

عدلي: وهل نسمع خبر حلوق قريباً..

علوي: نعم، أنا فقط انتظر الوقت المناسب لأعلن لها عن حبي وأفصح لها عن حقيقة مشاعري.. وبعدها نتقابل سوياً لتتعرف عليها..

عدلي: هذا رائع.. أنا أيضاً وقعت في حب جارف مثلك مع فتاتي الشقراء.. ولم أعلن لها عن حبي حتى أتلقى موافقتك

ومباركتك لهذا الأمر أولاً.. ثم أطلعها.. وأحدثها بما يدور في قلبي وعقلي ووجداني..

أخيراً وجدت من دق لها قلبي.. فنحن بيننا أشياء رائعة تجمعنا أولاً حب النباتات والأعشاب وعلم الصيدلة..

عموماً أنا أعطيها ميعاداً لتحضر هنا لتناول الطعام معنا وتتعرف عليك سوف تحضر بعد نصف ساعة تقريباً..

ربت علوي على كتف شقيقه عدلي وهو في حالة فرح وسرور، قائلاً:

ألف مبروك.. ربنا يكتب لكم السعادة.. يمكن أنا وأنت نعمل فرحنا مع بعض في يوم واحد.. حفلة واحدة..

لم يكده علوي يفرغ من جملته الأخيرة.. وإذا بكارين تقبل بإبتسامة رقيقة.. لتقف أمام طاولتهما..

نهض عدلي بسرعة ماداً يده ليسلم عليها ويقبل يدها، ثم قدمها إلى شقيقه علوي.. هذه هي فتاتي يا علوي.. كارين..

سويدية الجنسية.. مصرية الهوية.. عاشقة للنباتات..

تسمر علوي في مكانه من هول المفاجأة.. لم يستطع حتى النهوض لتحية كارين التي أجابت سريعاً.. يا لها من مصادفة غريبة.. هل علوي أخيك يا عدلي أنه صاحب البنسيون الذي أقيم فيه وأيضاً المرشد السياحي الرائع الذي يطلعني على أسرار حضارتكم العظيمة..

شعر علوي باختناق وصعوبة في التنفس.. لم يستطع الجلوس أستأذنهما إلى الذهاب إلى الحمام..

وقف أمام المرأة.. ونظر بعمق في وجهه الذي اكتسى بالحزن الشديد وإزداد إحمرار عينيه وهبطت الدموع من عينيه..

أخيه.. يحب فتاته.. هل هذا معقول.. ألهذه الدرجة يسخر القدر مني ويتلاعب بمشاعري.. لم يجد أخي من بين كل الجاليات الاجنبية إلا كارين.. وأنا؟ أتقابل يومياً مع عشرات الفتيات من كل الجنسيات في الأفواج السياحية.. لم يدق قلبي إلا لنفس الفتاة.. كارين.. كيف هذا.. كيف لم انتبه.. أين كان عقلي.. وقلبي لم يستطع الربط بين حب عدلي لفتاة وحبى لفتاتي.. وفي الأخير هي نفس الفتاة التي يقع في حبها

شقيقان.. وهي.. هل تحب عدلي حقًا.. ظننتها تبادلني حبي
ومشاعري.. معاملتها ورقتها الشديدة معي توحى بالإهتمام
والرعاية.. وما الإهتمام إلا حب مستتر.. حب خفي.. يظهر في
الوقت المناسب.. ماذا عساني أن أفعل.. هل اتقبل حب عدلي
لـ كارين؟.. هل أصارحه بحبي لها؟.. لا.. لا.. هو من سبق..
لا بد أن أراجع وأكتب مشاعري داخلي.. وإن استطعت أن أقتل
تلك المشاعر.. فلسوف أفعل..

أستأذن علوي كل من عدلي وكارين في المغادرة حيث تذكر
موعدًا هامًا يريد اللحاق به.. بالطبع لم تكن تلك الحقيقة.. إنما
كان الصراع الدائر داخله بين الفتاة التي طالما حلم بها وأخيرًا
وجدها.. وبين أخيه الذي سبقه وأعلن عن حبه لها وأنه أيضًا
سلم مشاعره وقلبه لحبها..

قلبه وحبه لكارين.. أم أخيه عدلي.. حاول أن يفكر في أي
شيء آخر كي يوقف الصراع والتناحر الداخلي الدائر بلا توقف..

لماذا..؟ لماذا نفس الفتاة..؟ كيف للقدر أن يتلاعب بقلوبنا
هكذا.. وكيف لم يشعر عدلي أنني أحب نفس الفتاة.. وكيف
لها أن تعلق قلب شقيقين بها..

بالتأكيد هي لا تعلم.. ليس لها أي ذنب.. هي تتعامل بكل
لطف وبراعة مع كل منا..

لا بد وأن أضع حجراً ثقيلاً على قلبي واكتم مشاعري.. ولا
أبوح بها لأحد ولا حتى لنفسي.. خوفاً على أخي.. وإنقاذاً لما
تبقى داخلي من كبرياء..

لكنني أشعر أنني سوف أنفجر.. أريد الحديث.. أفرغ ما
بداخلي من قبلة تريد أن تنفجر وتفرغ شحنتها..

لم يشعر إلا وأقدامه تقوده إلى الكنيسة.. يدخل والحزن يملأ
وجهه ليقابل الأب ميخائيل.. ويبوح له بما في داخله.. وبعد
فترة يخرج من الكنيسة.. وقد شعر بالراحة بعد حديث الأب
ميخائيل.. وتقبل القرار الإلهي..

في الوقت الذي حاول علوي أن يخمد النار الموقدة داخله ولم يفلح في هذا إلا بعد اللجوء للكنيسة والاستماع إلى نصيحة وحديث الأب ميخائيل ..

بدأ عدلي يشعل ناره ويسمح لها بالوهج والظهور.. بدأ حديثه على نفس الطاولة بعد مغادرة علوي مع كارين.. صرح لها بمشاعره تجاهها.. وحبه وتعلقه بها.. وأن هناك أمورًا كثيرة وصفات مشتركة بينهما.. وأنه لم يكن ليقابل فتاة مثلها من قبل.. لكن المفاجأة.. هي إبتسامة كارين الهادئة الودیعة.. والتي تحدثت بشكل مباشر دون العبث بالكلام أو التلاعب بالألفاظ.. أخبرته أن قلبها وعقلها ووجدانها متعلقان برجل آخر.. ولا ترى نفسها إلا معه.. وإنها ترى فيه أعظم رجل في الوجود.. ليس لصفاته الشخصية فحسب ولكن لأن قلبها انتفض له وحده.. وعندما يشير القلب.. وعندما ينادي القلب.. فلا بد أن نجيب النداء..

نداء القلب لا يؤخر.. ولا يؤجل ولا نستطيع تجاهله أو نسيانه.. فهذا الرجل.. دخل إلى أصغر مكان في جسدي واحتله.. وقبع فيه.. أفكر فيه ليل نهار.. وأحلم بمستقبلي معه وحده.. وهو يبادلني نفس المشاعر..

استمع عدلي وتقبل لكن الغيرة كادت أن تقتله..

طلبت فاطمة من لبيبة أن تذهب معها إلى نفس المحامي المتولي أمر ميراثها من زوجها الراحل بدوي فياض.. وأطلعته على كل ما حدث بعد وفاة جعفر.. ما حدث من أخوها عبد الهادي ورشيد.. وبكري.. وما حدث مع أسماء والعريس القادم جمال.. وأمر طاهر وصديقه اللطيفة كارين.. وأخبرتها أيضاً انها تريد أن تقوم بعمل إعلام وراثه كي يحصل كل فرد من الأسرة على ميراثه الشرعي..

عقدت فاطمة وبحضور لبيبة جلسة مع المحامي وأعطته ورقة التنازل بنصف الأرض الموقع عليها طاهر.. وكل الأوراق المطلوبة.. وتركته على وعد بإنهاء الإجراءات بأقصى سرعة.. تسلمت لبيبة ميراثها بعد أن تم حصر جميع أملاك بدوي فياض وبيعها بالكامل.. وتقسيمها بين الورثة.. حصلت لبيبة وبناتها على مبلغ كبير للغاية..

استأذنت أمها فاطمة في رغبتها للعودة للعيش والإقامة معها هي وبناتها.. وكان هذا أسعد خبر تلقته فاطمة.. حيث شعرت معه أن العقد الذي انفرطت حباته.. ربما سيعود ويلتئم ويتجمع مرة أخرى.. وربما تكون هذه هي البداية.. عودة لبيبة.. وخروج بكري من المستشفى.. وتحديد موعد لحضور جمال وأبيه عم صبحي لزيارتهم للتقدم لخطبة أسماء..

وها هو طاهر وجد فتاة أحلامه.. تلك الفتاة الرائعة التي أحببتها فاطمة منذ أول لقاء بينهما في المستشفى..

بدأ قلبها وروحها تهدأ بعد أن استقر حال الجميع..

وقف (زكريا) داخل المبنى الإداري في السجن يتسلم أغراضه من الأمانات.. تلك الأغراض التي يتركها السجن يوم دخوله السجن.. ويتسلمها وقت مغادرته.. ملابسه التي حضر بها وكل ما كان في حوزته.. ذاك الوقت..

تسلم أمواله وساعة يده وعلبة سجائر وولاعة وحافظة أوراقه الشخصية.. خرج من باب السجن بعد أن حصل على الإفراج.. بعد قضاء فترة سجنه..

نظر حوله تجاه اليمين واليسار.. لم يكن هناك أحد في
انتظاره..

أين أقاربه.. أين أصحابه.. أين توحة التي كانت زوجته..
الكل هرب وتنكر له بعد أن كانوا يتوددون له ويقترضون منه
الاموال، شعر بالغضب والحقد الشديد على كل الناس تقريباً..
واشتعلت داخله ناراً لن يطفئها إلا الانتقام من كل من تخلى
عنه وقت محنته وشدته.. هكذا هو حال الناس.. يتقربون إليك
وانت في وهجك ومجدك العالي.. وعندما تدير الدنيا ظهرها
إليك.. يستدير الجميع مع استدارة الدنيا.. فيعطوك ظهورهم
وكانهم مربوطون بحبل واحد مع حركة الدنيا.. عندما تضحك
لك الدنيا.. يضحكون لك.. فهم أصحابك وأحبائك وخدامك..
أما إذا غضبت عليك الدنيا.. تركوك ورحلوا وهم غاضبون
ويصبون عليك لعناتهم ولا يتذكرون إلا عيوبك ومساوءك وكل
موقف مخزي صدر منك..

أخرج طاهر العلبة الخشبية.. أمسك بالريشة الحمراء وهو جالس خلف الصخرة التي دائماً ما يحتمي بها.. ولأول مرة يشعر برغبة في أن يستعمل الريشة الحمراء كالقلم..

أمسك بها كما يمسك القلم.. وبدأ يخط بها على الرمال.. وجد نفسه يخط حروفاً دون إرادة منه.. فالريشة كانت تتحرك بيده.. وكأنه فقد السيطرة على الريشة.. وكتبت أول ما خطت.. حرف الكاف.. ثم حرف الالف.. وبجواره حرف الراء.. ثم تلتته بحرف الياء.. وأخيراً كتبت حرف النون..

نعم (كاري ن) كارين.. الريشة ترجمت ما بداخله.. كان سعيداً للرؤية إسم كارين المحفور على الرمال.. مسح الريشة بيده وأزال ما علق بها من الرمال.. ثم قبلها ووضعها في العلبة ثانية..

على قدر سعادة طاهر بوجود كارين في حياته.. على قدر حزنه بما حدث اليوم في المبنى الإداري في الكلية.. لقد تخرج بالفعل.. وإدارة شئون الطلاب تساعد الطلاب على إيجاد العمل المناسب لكل تخصص.. أخبروه أنه تم تدبير مكان له يحتاجون فيه إلى شيف مبدع.. فرح أشد الفرح.. وعندما تسلم

الخطاب الذي فيه العنوان الذي سوف يتوجه إليه في الصباح
ليتسلم عمله الجديد.. أنه أحد الفنادق العائمة التي تجوب نهر
النيل.. بين الأقصر وأسوان..

تذكر حادثة وفاه أبيه وأمه.. وهذا المركب الفندق العائم..
يصطدم بمركبهم الصغيرة ليهشمها تمامًا.. ويتسبب في غرق
الأب والأم..

لا.. لا.. لا أستطيع التواجد هناك ولو لثواني.. لن أعمل
هناك وليكن ما يكون..

عاد طاهر.. سائرًا حزينًا.. حيث عادت ذكرياته السيئة
وفتحت جرحًا كان قد ظن أنه أغلق من زمن بعيد.. أبيه مسعود
وأمه صفية..

لا يزال يتذكر.. ضحك أمه ولا زال يتذكر قوة وعنفوان أبيه
وهو يحمله طيلة الوقت ويلاعبه.. ويذكره وهو يشعل النيران من
خشب الأشجار الجافة أمام المنزل داخل حفرة في الأرض..
ويضع فوقها الأسماك الطازجة بعد تنظيفها.. يقوم بحملها
بنفسه وتحضير طبق السلطة الخضراء.. ويتناول طعام الغداء

ثلاثتهم حول نار الحطب التي لا تنطفئ .. وجبة سمك مشوي شهي ساخن .. يعقبا الشاي على الحطب.

اذكر أن كانت أمي تقوم بتقطيع الأسماك لقطع صغيرة حرصًا على ألا يوجد بها أي أشواك صغيرة .. وبعد الغذاء يقوم أبي بشي الذرة الطازجة والبطاطا .. نتناول في المساء الذرة المشوية والبطاطا المشوية .. ويقوم أبي بعمل الشاي على الحطب ..

أذكره وهو يرشف الشاي من الكوب الزجاجي وهو في كامل استمتاعه ويقول: أجمل شاي .. الشاي اللي على نار الحطب .. رحمة الله عليك يا أبي .. وبارك روحك يا أمي .. وجمعني بكما في الجنة ..

عاود النظر في خطاب التعيين .. لا .. لا استطيع صعب للغاية أن أعمل في مكان قاتل أبواي .. السبب في يتمي وحرماني من اغلى مالي في الحياة .. كيف لي أن أركز في عملي وأطعم النزلاء أشهى الأكلات وأبدع في تزيين أطباق الطعام والحلوى .. وأنا بهذا الحزن داخلي .. كم أكره هذا المكان جرحي عاد ينزف من جديد ..

طرق باب بيت عم عبد القدوس الذي قام من مكانه متكئاً على عصاه.. واحتضن طاهر.. وأطال في احتضانه وضمه إلى صدره.. لا تخف يا ولدي.. هون على نفسك.. ما كتبه الله علينا سنراه.. هناك أسباب تؤدي إلى الفشل وأسباب تؤدي إلى النجاح.. وعوامل تبعث على الحياة وأخرى تؤدي إلى الموت.. فلا يصح يا ولدي أن نكره مصيرنا ونعتزل الاسباب..

إذا مات أحدهم وهو نائم.. هل معنى ذلك سوف نكره النوم.. ونعتزله ونخاصمه ولا ننام أبداً.. هل يقدر انسان على فعل ذلك.. لا بالتأكيد وإذا مات أحدهم في المستشفى.. وهذا يحدث يومياً تقريباً.. فهل سوف نبتعد عن المستشفيات.. ولا نطلب العلاج فيها..

يا ولدي ما حدث وتسببت فيه تلك المراكب العائمة || مجرد حادثة.. حدثت بقدر من الله.. وكل شيء مكتوب علينا.. ليس لنا اختيار فيه.. وتلك هي المعضلة الأزلية..

هل الانسان حقاً له اختيار وإرادة في تشكيل حياته وكل ما يدور حوله.. هل نحن مخيرون أم مسيرون..

هناك أشياء لنا فيها الاختيار لذا منحنا الله القدرة والتمكن من
الاداة التي نختار بها ألا وهي العقل والذي يفرقنا عن الحيوان ..
وهناك أشياء أخرى ليس لنا فيها إرادة أو اختيار.. فلا بد أن نقبل
بما حدده لنا القدر.. نقبله ونشكر الله على نعمه كافة.. وقتها
فقط نستطيع أن نتذوق نعمه بالرضا..

انتظر طاهر للصباح بعد أن أحدث منطلق عم عبد القدوس
تأثيراً ايجابياً داخله وأحمد ثورة الغضب المشتعلة بين ضلوعه ..
وحل السلام وملاً جنباته.. وجعله ينظر إلى الامور من وجهة
أخرى غير الوجهة التي دائماً ما نزن أنه الوجهة الوحيدة وأنها
المتفردة للأمور.. ثم أعطى عم عبد القدوس مثلاً في نهاية
كلامه..

يا ولدي.. الآراء دائماً ما تكون متعددة لمن هو خارج حلقة
المشكلة.. أما صاحب المشكلة نفسه فلا يرى إلا وجهة واحدة..
لكن لو حاولت أن تقيم الأمور بواقعية.. تخيل أن مشكلتك
هذه.. هي مشكلة صديق لك تحبه وتحب له الخير.. وسألك
النصيحة.. هنا.. وهنا فقط سوف تستطيع أن تنظر للأمور من

جهات متعددة.. مثل الشكل الهرمي.. الأهرامات التي بناها
أجدادنا العظام.. إذا شاهدتها من جانب.. تظن أن هذا هو الجانب
الوحيد المثلث الذي له قاعدة وقمة مدببة.. أما إذا استدرت قليلاً
حوله.. لوجدت جانباً آخر.. وربما به فتحة دخول داخل الهرم..
تختلف عن الواجهة الأولى التي كنت تظن أنها الوحيدة.. وتدور
دورة أخرى لترى وجهة ثالثة.. ربما بها بعض الاختلاف..

وهكذا.. انظري يا ولدي لمشكلتك من منظار بعيد.. من
أعلى.. لا تقترب وإلا سوف ترى وجهة واحدة.. وعندها
تتعصب لرأيك وتظن واهماً أنك دائماً على صواب..

أعد طاهر طعام الإفطار لكارين ومعه زهرة عصفور الجنة..
والتي لاحظت شيئاً من الوجوم على وجه طاهر.. وأن هناك
أمر ما هام يشغل تفكيره..

طلبت من طاهر أن يوصلها.. إلى مركز أبحاث النباتات.. سيراً
على الأقدام.. لتخلق فرصة للحديث معه ومعرفة ما يمر به..

وسط سطوع الشمس التي تعشقها كارين.. معانقاً يد كارين
الناعمة الرقيقة.. سار طاهر بجوارها وقص عليها ما حدث معه

من أمر استلام العمل في المركب العائم والمخاوف الداخلية من الذكريات المؤلمة ..

ثم أطلعها على رأي عم عبد القدوس وقدرته على تحويل نظرة طاهر للأمور، استمعت إليه كارين والتي أبدت اعتراضها وعدم الموافقة برأي عم عبد القدوس قائلة: اتفق تمامًا أن أحياناً لكل معضلة وجهات نظر متعددة وأوجه كثيرة.. لكن عندما يتعلق الأمر بمشاعر داخلية.. هنا نفقد جزء كبير من سيطرتنا على الأحداث.. فالمشاعر الداخلية تعجز عن تشكيل الأحداث أو تغيير الواقع..

وما تمر أنت به يا طاهر هو خوف داخلي.. رهبة وخوف تشكلت منذ الطفولة وهذا الخوف تحول لغضب جارف وحنق على تلك الأحجام الكبيرة من المراكب التي قهرت المركب الصغيرة التي كان عليها أبواك.. تمامًا كالأسماك المتوحشة الكبيرة التي تهاجم وتتغذى على الأسماك الصغيرة.. ولكسر هذا الخوف ليس الصواب هو الاقتراب.. بل البعد هو الاولى حيث يحقق نوع من الراحة والطمأنينة.. أنت لن تستطيع أن تنسى

أو تغفل مشاعر الكره والغضب الداخلي.. وفي نفس الوقت لن تستطيع الإنتقام والثأر لموت أبواك.. وكل ما تستطيع فعله هو كبت ودفن ما تشعر به بداخلك.. وربما يزداد هذا الكبت مع ازدياد الغضب وتحديداً عندما تشعر أنك بخبراتك ومهاراتك تساهم في نجاح هذا الكيان الذي تسبب في يتمك وانت طفل.. حرمك من أهم اثنين في حياتك.. الأب.. والأم..

أوقع حديث كارين في نفس طاهر الكثير.. وأعادته إلى النقطة الاولى وأيقظ داخله مشاعر الرهبة والخوف والغضب الشديد.. خاصة عندما قالت أنه سوف يساهم بعمله في نجاح هذا الكيان.. وهذا ما لم يتمناه.. لينجح هذا المركب العائم.. لكنه بعيداً عنه ليس بمشاركته ولا تواجده ولا إبداعه في فنون الطهي..

تمكنت منه الحيرة.. وما أن أنهى وقته الجميل مع كارين لم يستطع أن يفعل أي شيء أو يتخذ أي قرار.. شعر أن روحه تقوده إلى حضن أمه الثانية إلى حب وحنان الخالة فاطمة..

تمنى وجودها.. وتمنى ذراعها المفتوحان.. وتمنى أن يلقي بكل ثقله عليها.. لكنه أشفق عليها.. لأن حملها ثقيل للغاية ولديها من الهموم ما يكفي أمة بأكملها..

لكن ومع كل هذا لم يستطع إلا مواصلة السير فقادته قدماه إليها.. يتنازل الانسان عن أي شيء إلا حضن الأم..

آه يا طاهر.. انت ولدي.. الذي ربما لم تنجبه بطني.. ربما لم أحملك في أحشائي.. ربما لم أرضعك من صدري.. لكن بعد رحيل أمك.. الغالية صافية.. أخذت عهداً على نفسي أن أكمل مسيرتها.. شعرت بحبك وحنوك علي.. وأنت لا زلت طفل صغير.. كنت أنت أحن علي من أي حنان قدمته لك..

كنت وانت ترتمي في أحضاني.. أشعر أنني ملكت الدنيا وما فيها..

يعتصر قلبي حزناً وألمًا.. وأنا أراك في حيرة وأن جرحك القديم بعد ما جف ولا طاب.. يفتح الجرح مرة أخرى.. ينف.. تعاودك الآلام التي كنت ظننت إنك نسيتها أو تناسيتها.. فيؤلمك ويؤرق منامك..

يا ولدي لن تستطيع التخلص من الاحساس بالخوف والغضب والكره لمن تسبب في حرمانك من أبويك.. مهما نظرت للأمر من أي جهة.. أنها مشاعر داخلنا تتحكم هي فينا.. ولا نتحكم فيها.. ليس لنا رفاهية الاختيار.. ليتنا نستطيع اختيار ما يدخل قلوبنا وما يستقر فيها وما نستطيع إخراجه منها..

تعالى نتخيل.. أنك قبلت بهذا العمل وحاولت أن تفصل إحساسك الداخلي عن وظيفتك.. وبدأت أول وثاني وثالث يوم.. ماذا لو لم تستطع التخلص من إحساسك الداخلي بكره المكان.. جرحك يدفعك للرحيل.. لن تستمر.. ماذا انت فاعل.. إنك وقعت على تعاقد.. يلزمك أن تعطي صاحب العمل مهلة ثلاثة أشهر إذا أردت ترك العمل.. كيف لك أن تقضي تسعين يوماً وانت لا تتحمل وجودك لثلاثة أيام.. لا يا ولدي.. من الافضل الابتعاد عما يثير الجروح داخلنا..

ظل عدلي يتردد على البنسيون كثيراً بعد أن كان لا يقربه من قبل ومن النادر جداً أن يذهب إلى هناك.. صار يتدخل في

أمور الحسابات وأمور المطبخ والنزلاء.. فقد كان قبلاً بالإتفاق مع علوي يترك له كامل إدارة البنسيون بجانب عمله كمرشد سياحي حيث أنه هناك تقارباً كبيراً بين الوظيفتين.. الإدارة الفندقية والإرشاد السياحي..

وباقى الإتفاق هو أن يتفرغ عدلي للمستشفى في الصباح وتأسيس العيادة والنهوض بها في الفترة المسائية..

مع كثرة تردده على البنسيون.. بدأ عدلي في ملاحقة كارين ومراقبتها في كل تحركاتها.. إلى أين تذهب؟ ومع من تكون؟ وحاول أكثر من مرة زيارتها في حجرتها في البنسيون.. لكنها كانت ترفض حيث ترى أن حجرتها هي من الأماكن الخاصة التي لا تحب الغرباء الدخول إليها حتى لو كان هذا الغريب يوماً ما صديقاً..

وعرف عدلي كثرة خروج كارين مع طاهر.. الطاهي والشيف في البنسيون.. فأدرك أنه هو من استحوذ على قلب كارين.. هو الشيف المستخدم لديهم.. هذا من فضيلته كارين عليه.. دق قلبها له على حسابه هو..

تعمد عدلي إساءة معاملة طاهر وإهانتته وإحراجه أمام النزلاء والتقليل من شأنه وإبداء الملاحظات السلبية على الطعام والأصناف التي يقدمها.. وهذا مغاير تمامًا عن معاملة علوي له، حيث كان يعامله كأنه فردًا من الملاك أو من الأسرة ويحسن معاملته وإحترامه للغاية ودائمًا يبدي انبهاره بالأطعمة التي يقدمها.. ومنذ ظهور ومكوث عدلي بالبنسيون وإساءة معاملة طاهر.. جعل طاهر يفكر في ترك البنسيون.. بعد أن اقتنع بكلمات الخالة فاطمة ومنطق كارين..

اتخذ طاهر قراره بعد قبول مكان تعيينه وبرفض العمل في الفندق العائم.. والطلب من إدارة الكلية بالبحث له عن فرصة عمل في مكان آخر.. أي فندق من فنادق أسوان..

لكن في الوقت ذاته شعر بالمعاملة السيئة التي يتلقاها من عدلي شقيق أ/ علوي مدير البنسيون.. والتي معها بدأ طاهر يدرك أن أيامه في هذا المكان قاربت على النهاية.. لكن ما كان يحضه على التحمل هو وجود كارين الحبيبة في هذا المكان.. يراها يوميًا في الصباح.. يجهز لها إفطارها مع زهرة عصفور

الجنة التي صارت تعشقها.. وصارت هذه الزهرة هي الكائن
الرابط بينهما..

بعد جلسة أخوية جمعت (علوي وعدلي) في إحدى غرف
البنسيون بعد أن لاحظ علوي تردد عدلي الدائم على البنسيون
لدرجة أنه أهمل في الاهتمام بعيادته الخاصة وأيضاً العمل
بالمستشفى.. مع ملاحظة تعمد عدلي إساءة معاملة طاهر..

عدلي: لا.. ليس هناك شيء.. مجرد شعرت أنني أريد
مشاركتك في إدارة البنسيون..

ومن طاهر هذا الذي أسيء معاملته؟.. إنه يعمل عندي..
مجرد عامل هنا..

هذا كان رد عدلي على سؤال تلقاه من أخيه علوي..

فهم علوي ما يمر به عدلي بعد صدمته من موقف كارين منه
وإنها لا تبادله حباً بحب..

هي اتخذته مجرد صديق.. لكنه لم يفهم أو يتقبل هذا..
وشعر بالإهانة لتفضيلها طباخ عليه.. مجرد طباخ.. تفضله عليه
وهو الطبيب المرموق..!!!!

دخل زكريا حجرتة التي كان يسكن فيها قبل سجنه والتي
قابعة فوق سطح احدى البنايات.. ولم يدخلها أحد منذ لحظة
القبض عليه بصحبة توحة.. إلى أن دخل السجن.. والآن هو
يدخلها بعد مرور هذه السنين.. الحجرة كما هي.. كما تركها
منذ سنوات.. لكن يعلوها التراب في كل مكان.. كما تتواجد بها
بعض الحشرات التي اتخذت من الحجرة مأوى لها في غياب
أي بشر داخلها..

وما زالت ملابس توحة الخارجية ملقاة على الارض كما
كانت حينما تم القبض عليها واقتيادها بملابس النوم وهي ملتفة
بملاءة.. ولم يسمح لها رجال الشرطة بأخذ أو ارتداء ملابسها..
أمسك بقطع الملابس.. وحذائها.. كان التراب يعلوهم..
نظر حوله.. وشعر أن السجن والزنانه انظف وأفضل حالاً
من هذه الحجرة التي تحتاج إلى مجهود ضخم للغاية لتنظيفها
واعادتها كما كانت..

كانت في السابق وقبل سجنه حجرة متواضعة فوق سطح
احدى البنايات.. الآن وبعد مرور سنوات تدهورت و انحدر بها

الحال وصارت تشبه القبر.. وأنه إذا نام فيها ليلة ربما سيدفن فيها ولن يخرج منها أبداً..

نظر إلى حافظة نقوده.. كان لديه بعض النقود التي لا بأس بها..

ترك حجرته وتوجه للمبيت في فندق رخيص.. لكن بالتأكيد سيكون أفضل حالاً من هذه الحجرة القميئة.. وبعد أن وضع حاجياته في حجرة الفندق المتواضع لم يستطع أن يمنع نفسه من الذهاب للحنانة القديمة.. ليتذوق طعم الخمر الذي حرم منه طيله السنوات الماضية التي قضاها بين جدران الزنزانة.. كم كان يمني نفسه بالذهاب للحنانة وقضاء ولو ليلة واحدة فيها حتي وإن كان ثمن هذا أن تزداد عدد سنوات سجنه.. تذكر شلل المساجين الذين بينهم قانون يحكمهم.. البقاء للأقوى.. القوي ذو النفوذ المادي وعدد الرجال من حوله.. يحكم القوانين وعلى الجميع طاعته وكسب وده.. وإلا سوف يتعرض للإهانة والضرب وكل ما تتخيله.. كان عليه أن يعيش وسط الكبار في

السجن .. كخادم مطيع لهؤلاء الكبار كي يأمن شرهم ويحتمي بهم في السجن اللعين ..

دخل إلى الحانة .. تلفت حوله .. أطال النظر محاولاً تذكر المكان الذي كان آخر ذكرياته بعالم الأحرار قبل أن يتم القبض عليه فور عودته لحجرته ..

ألقى ببصره إلى ناحية البار .. عدد من الزبائن يجلس على البار يتجرعون الخمر في هدوء .. بارمان جديد .. هذا ليس مرجان .. حسناً .. كان يخشى الصدام مع مرجان ومواجهته .. بالطبع لن ينسى ولن يغفر له مرجان .. زواجه وإقامة علاقة مع زوجته .. يالأمير المضحك .. رجلا ن يتزوجا امرأة واحدة .. لعنة الله عليها أخبرتني أنها مطلقة من مرجان .. لكن من سيصدق كلامي .. لم يصدقوني وأنا بلا سوابق، فما بالكم الآن .. خريج سجون وصاحب سوابق ..

لم أعد الشيف .. شيف زكريا .. كم كنت أحب هذا اللقب .. صاروا ينادونني .. يا مسجون .. يا متهم .. يا مذنب .
طلب كأساً من الخمر .. نفس النوع الذي اعتاد على احتساؤه ..

نظر إلى الكأس عاد إليه الحنين القديم.. أمسكه بيده ووضعته
على أنفه ليشتم رائحته..

بدأت تعود إليه ذكرياته ويتناسى ولو لبعض الوقت أنه
المسجون.. السوابق.. زكريا..

أخذ رشفة.. انتعشت معها روحه.. أو هكذا كان يظن.. الظن
الزائف الذي يشعر به كل شارب سكير.. وبعد أن تتلاعب الخمر
برأسه.. لا يشعر بمكان أو زمان أو حتى ما يشرب..

ولكن بعد عدة رشفات وبعد أن تمكن الخمر من حواسه
وعقله.. بدأ يفكر.. فيما يكون السبب الذي منعه من مواصلة
الشرب.. والذي أودعه إلى السجن..

نعم.. نعم.. يحاول التذكر.. يعصر ذهنه ويضغط على رأسه
وفوق حاجبيه.. أنه هذا اللعين.. طاهر هو الذي اكتشف الخطة
التي كنت أؤديها مع توحه.. نعم هو من أبلغ هذا المتكبر علوي
الذي بدوره أبلغ الشرطة.. هما السبب فيما حدث لي وما مررت
به.. ضياع مستقبلي وتدمير حياتي.. وخسارتي لكل ما أملك..
وخسارتي لتوحه التي كانت تهتم بي.. وتفعل كل ما أطلبه منها..

كانت حياتي مستقرة والاموال لا تفارق حافظة نقودي.. هو
هذا الطاهر وهذا العلوي..

لابد وأن يدفع الثمن ويتذوقا بعضاً مما كنت فيه وأكثر من
ذلك.. ألقوا بي إلى السجن وهما ينعمان بحياة هادئة.. مستقرة..
جميلة.. ثمن حرمانى واهانتى كبير.. كبيراً للغاية..

قضت المحكمة ببيع قطعة الأرض التي يمتلكها جعفر حيث
أن تقسيمها بين الورثة صعب للغاية نظراً لان عدد الورثة كثير..
وايضاً لان الجزء الذي سوف يتم تقسيمه هو نصف الأرض
فقط حيث أن النصف الآخر هو ملك خالص لفاطمة.. حسب
وبموجب التنازل الموقع من طاهر لها..

وبعد الحساب والتقسيم حسب الشريعة.. صار المبلغ لكل
منهم قليل للغاية.. مما أثار استياء عبد الهادي ورشيد.. ولم
يقبلا بحكم المحكمة..

مكثا في الأرض واستمرا في العمل فيها.. ولم يكثرثا بالحكم
الصادر من المحكمة.. حتى وبعد أن بيعت الأرض في المزاد..

حضر المشتري والمالك الجديد للأرض لاستلام الأرض.. لكنه فوجئ بعبد الهادي ورشيد ومعهم بعض الأنفار.. يرفعون في وجوههم العصي والفئوس..

وكادت أن تحدث مذبحه بين الطرفين.. المشتري والمالك الجديد ورجاله.. والبائع أو الحائز القديم (عبد الهادي ورشيد) ورجالهم من ناحية أخرى.. لولا تدخل الشرطة والقبض على الجميع.. وبعد تحقيقات النيابة.. كان المدان في القضية هما عبد الهادي ورشيد لرفضهما تسليم الأرض للمالك الجديد ومحاولة التعدي عليه وحتى بعد وصول الشرطة حاولا منع الشرطة والتعدي على الضابط وجنوده..

مما أدى للحكم على كل منهما بالسجن لمدة عام.. وتم ترحيلهم إلى السجن.. ارتدى كل منهما الزي الأزرق للسجن بعد أن كانا ملاكاً لأرض أبيهما..

خرج زكريا من الحانة مترنحاً وفي حالة سكر شديد مصحوبة بالغضب والحقد.. ودعوات الانتقام تحوم حول رأسه ولا يرى

أمامه إلا طاهر وعلوي.. وهما يدفعان ثمن ما تسببا له فيه.. من إهانة وسجن.. وفقدان للوظيفة والمال وفقدان الشرف.. ثم أخيراً.. فقدان توحة.. الزوجة.. ليس له امرأة الآن تقوم على رعايته..

عاد إلى الفندق.. حاول أن ينام.. غفت عيناه لبضع ساعات واستيقظ على ضوء الشمس الذي ملأ الحجرة المتواضعة التي يمكث فيها.. شعر بتعب شديد وكأن هناك هوامير تدق رأسه.. غادر الفندق وقد اتخذ قراره الذي فيه راحة وشفاء من كل ما بداخله من غل..

أعد بعض الزجاجات الممتلئة بالوقود وبعض قطع القماش.. وتوجه إلى بنسيون علوي.. البنسيون الذي كان يعمل فيه كطاهي وشيف.. وكان الجميع يكن له الاحترام.. يأكل ما يشتهي وأيضاً يسرق مخزون الطعام فيجني الكثير من المال بجانب راتبه.. ويعمل مع توحة بالنهار ويقضي الليل في الحانة.. ليشرب ويلعب الأوراق ثم يعود لتوحة مرة أخرى.. ليرتمي في أحضانها إلى اليوم التالي..

دار دورة حول المبنى الذي يقع فيه البنسيون بالطابق الثاني..
وقبع أمام الباب يراقب ما يحدث.. إلى أن شاهد طاهر يدخل
إلى المبنى.. وبعده بساعة تقريباً دخل كلا من علوي وعدلي
سويّاً.. وهذا كل ما كان يتمناه أن يكون الجميع في الداخل في
نفس الوقت.. مالكا البنسيون علوي وعدلي.. والطاهي الشيف
طاهر اللعين.. وجميع النزلاء في غرفهم.. وأيضاً عاملة النظافة
التي حلت محل توحه منذ القبض عليها وسجنها..

صعد ووقف أمام باب البنسيون ووضع القماش في زجاجات
ممتلئة بالوقود.. فصارت فتيلاً.. ثم أشعل الزجاجات.. وطرق
الباب.. وما أن فتحت الخادمة حتى دفع الباب وبدأ في إلقاء
زجاجات الوقود المشتعلة في كل ركن من الصالة الرئيسية
للبنسيون وتحديداً على الستائر والمفروشات وطقم الجلوس
المكسو بالقماش وتحت الاسفنج.. وكل قطع الأثاث هذه قابلة
للاشتعال السريع.. وبعد ثواني.. كان المكان مشتعلاً بالكامل..
اختفى زكريا من المكان في سرعة وخفة..

وبدأ النزلاء يركضون ويهرهون للخروج من حجراتهم والهرب من البنسيون كل على حالته.. بملابس النوم أو بالملابس الداخلية.. خرجت كارين مسرعة إلى الخارج تقفز فوق النيران ووسط الدخان الكثيف وهي تنظر حولها وتنادي على طاهر.. والذي بدوره كان يبحث عنها.. خرج كليهما وسبقهما علوي وعدلي وجميع النزلاء الذين تجمعوا أمام باب البنسيون المشتعل بالحريق.. لم يبق أحداً بالداخل سوى النيران الملتهمة لكل شيء والدخان الكثيف.. وإذا بكارين تصرخ قائلة «دفتر مذكراتي».. أفلتت يد طاهر وأسرعت وركضت إلى داخل البنسيون المشتعل وسط النيران وهي واضعة يدها على أنفها والسعال لم يتوقف من فمها..

ركض وراءها طاهر.. وحاول علوي إيقافه.. يا مجنون.. ابقى هنا.. سوف تموت معها.. لن تستطيع فعل شيء.. لم يسمع له طاهر وركض للداخل لانقاذ كارين التي حاولت إنقاذ دفتر مذكراتها من النيران المشتعلة.. وطاهر يصرخ.. اتركي كل شيء.. ما أهمية هذا الدفتر..

أمسكت بدفترها قبل أن تصل إليه النيران وحاولت الركض والخروج.. وجدت طاهر بجانبها.. وأخذا طريقهما وسط النيران التي تزايدت بشكل مرعب والدخان الكثيف ملاً أنوفهم وأصبح الأكسجين نادراً وجوده في المكان..

بدأ عدلي.. في البكاء والإنهيار الشديد.. وهو يبكي كارين ويبكي أيضاً طاهر قائلاً: أنا السبب أساءت معاملته وأهنته كثيراً وهو لا يستحق ذلك.. ضحى بحياته لانقاذ كارين.. ومات معها حرقاً.. لم يخرج حتى الآن.. وبعد دقائق سمعوا جميعاً أصوات صفارات سيارات عربات الإطفاء ورجال الإطفاء يمدون الأنابيب والخراطيم في محاولة لإطفاء النار.. وسألوا إن كان هناك ضحايا.. قيل لهم رجل وامرأة بالداخل..

جمع غفير من الناس تجمهر حول المبنى وسيارات الاسعاف قامت بنقل النزلاء الا جانب للمستشفى لعمل اللازم.. وحضرت سيارات الشرطة لمعاينة وتأمين المكان.. وأيضاً مندوباً من قطاع السياحة والذي قام بحجز غرف للا جانب في أحد الفنادق..

كان عدلي وعلوي في حالة من الصدمة.. ولا يستطيع أحد
منهم تقبل الأمر.. البنسيون الذي أقامه أبيهم غيريال.. تشتعل
النيران به.. ويحترق ويموت بداخله أطيّب من قابلا (كارين)
السويدية الشقراء.. وطاهر الشيف صاحب الخلق الرفيع..
حضر الأب ميخائيل.. ومن خلفه حضرت الخالة فاطمة
وهي تبكي ولدها الذي لم تنجبه ومعها أسماء وليبية.. الجميع
في حالة ذهول.. صراخ وبكاء يملأ المكان..
وإذا بعم عبد القدوس يبكي بشدة قائلاً: آه يا ولدي.. دمك
الطاهر.. دمك الطاهر يا طاهر يجري في عروقي.. اعطيتني
الحياة لتموت أنت..

دخل رجال الإطفاء داخل البنسيون بعد أن تمت السيطرة
على الحريق.. وانقشعت أبخرة الدخان وصارت الرؤية أفضل..
عاد رجال الإطفاء إلى الخارج.. يخبرون الجميع أنه ليس
هناك آثار لجثث.. لا لرجل ولا امرأة كما قيل لهم.. قال علوي
ربما تفحمت الجثث بالكامل..

أجاب رجل الإطفاء: كان لابد أن يكون هناك أثرًا لذلك.. لا يوجد أحد..

هنا فتح باب جانبي في داخل العمارة.. باب مؤدي إلى المنور.. ليظهر منه طاهر بصحبة كارين.. بدأ يحكي ما حدث لهما وسط فرحة الجميع والتهنئة على سلامتهما وقد تناسى الجميع فاجعة حريق البنسيون.

بعد أن تجاوزت النيران ووصلت إلي حجرتها، استطاعت كارين الإمساك بدفتر مذكراتها.. وحاولت الخروج من الباب لكن مستوى النيران واللهب كان مرتفعًا للغاية في الصالة المؤدية إلى الباب بجانب تساقط النجف وبعض أجزاء من السقف.. فجذب طاهر كارين من يدها واتجهها سويًا إلى المطبخ.. وهنا تذكر طاهر النافذة المؤدية إلى المنور.. وكان الأنبوب البلاستيكي الطويل الواصل بين النافذة وأرضية المنور مازال في مكانه منذ أن كانا زكريا وتوحة يهربان فيه المسروقات من المطبخ..

استطاع طاهر أن يدفع بكارين لتهبط داخل الأنبوب إلى أرض المنور.. وما ساعدها على ذلك صغر حجم جسدها النحيل.. ثم قفز طاهر وراءها.. وأثناء قفزه ارتطم بها.. ومن أثر التعب الشديد.. يبدو أنهما فقدوا الوعي لبعض الوقت.. استيقظا بعد وقت قصير على أصوات الضجيج.. وتذكرا الحريق.. وما حدث وكانا مازال ملقيانا على أرضية المنور.. هنا فتح طاهر الباب الجانبي ليخرجا سويا ويتفاجأ بهم الجميع بعد أن تملك بهم الظن انهما لقيتا حتفهما وسط النيران المشتعلة..

نفس الأنبوب البلاستيكي الأخضر الكبير الذي ثبته زكريا في نافذة المطبخ ليصل إلي أرضية المنور للسرقة، هو نفس الأنبوب الذي كان فيه طريق الخلاص والمهرب لكلا من طاهر و كارين.. هكذا قال الاولون.. رب ضارة نافعة.. آه لو كان زكريا يعلم أن الأنبوب الذي ثبته في نافذة المطبخ بنفسه.. سيكون هو نفسه المهرب والمخرج لنجاة طاهر.. عدوه واكثر من آذاه في هذه الحياة.. على قدر فهمه بالطبع.. لكان ازاله وخلعه من مكانه قبل أن يقدم على حرق البنسيون.

هكذا شرح طاهر ما حدث وهو يتلقى التهاني والقبلات والأحضان الحارة.. التي معها اختلطت دموع الحزن بدموع الفرح والسعادة..

وبدأ الجميع يسمع أصوات الزغاريد وكأن هناك فرحًا وليس حريق مروع بالنسيون..

احتفل الجميع بسلامة كارين التي كانت ممسكة بدفتر مذكراتها إلى صدرها واحتفل الجميع أيضًا بطاهر.. وعودته للحياة وكان أكثرهم فرحًا هو.. (عدلي غبريال).

على ضفاف كورنيش نيل أسوان.. سارا طاهر وكارين بيدان متعانقان والصمت هو عنوان لقاؤهما.. لم يتحدث طاهر بل كان يضغط بلطف على يد كارين وكأن حديثه يخرج من يده لا من لسانه.. فيقول ويحكي ما بداخله مع إلتفاف أصابعه لتعانق أصابع كارين.

حادثة حرق البنسيون.. جمعت بينهما أكثر وأكثر.. رغم أنها تبدو كحادثة مفاجئة.. ففي اللحظة التي دخلت فيها كارين وسط النيران إلى حجرتها لتفتش عن دفتر مذكراتها.. ألقى طاهر نفسه

خلفها ولم يعمل حساباً للعواقب ولم يهتم بحياته أو موته .. كل ما فكر فيه هو مصاحبة كارين في الحياة أو مصاحبته في الموت .. حتى ولو كان الموت حرقاً .. ألهذه الدرجة يحبها؟ .. ألهذه الدرجة يمكن أن يضحي بكل شيء في سبيل إنقاذها والوجود إلى جوارها حياً أو ميتاً؟ ..

طاهر فقد قرر الدخول وسط النيران لأجل كارين .. لكن الغير مفهوم تماماً .. دخولها هي إلى النار ثانية .. فقط لإحضار دفتر!! دفتر مذكرات !! تغامر بحياتها ومن وراءها حياته، فقط لأجل بعض الأوراق في دفتر .. بالتأكيد .. فإن أهمية بقاءها والحفاظ على حياتها حتماً أغلى كثيراً من هذا الدفتر .. لا بد أن هذا الدفتر يشكل لها أهمية خاصة .. ربما يتعلق بأمرها .. أو بأبيها الغائب .. لا أدري ..

أما كارين .. فكان عقلها يتأرجح بين الإفصاح عن ما تخبئه داخل دفتر مذكراتها لكنها كانت تخشى من سخرية طاهر أو لومه وعتابه لها .. إنها تدخل إلى النار فقط لإحضار ريشة !! .. ريشة حمراء سقطت من جناح طائر في السماء .. هل هذا يساوي

قيمة حياتها أو حياته.. بالتأكيد لن يفهم ولن يقدر حتى ولو كان
أعقل الناس أو أعظم الناس على وجه الأرض..

لكن أنا لا أستطيع أن أخفي عنه شيئاً فإن أساس العلاقة
الناجحة هو الصراحة والتصريح في كل الامور..

وهذا أمر خطير.. أن ألقى بنفسي وسط اللهب المستعر ثانية
بعد أن خرجت من النار ووقفت في الأمان مع بقية النزلاء على
الباب الخارجي.. ادخل ثانية من أجل دفتر.. لا بد أن أشرح له
رفقة به ولأزيل عنه الغموض الذي يبدو انه يقلقه ويؤرق حياته..
ولا بد أن أدافع عن نفسي وأشرح له وجهة نظري رفقة به..

توقفت كارين عن السير وجلست على دكة خشبية في أماكن
الإستراحة المنتشرة بطول الكورنيش.. وأشارت في صمت
لظاهر أن يجلس إلى جوارها.. مدت يدها بدفتر مذكراتها..
وأستأذنته في الحديث..

كارين: أريد منك وعداً.. بحق حبي لك وحق حبك لي..
عدني أنك ستحاول أن تفهم ما أقوله.. ولن تسخر مني.. هذا
الامر حساس للغاية بالنسبة لي ولن يتحمل أي تقليل أو تسفيه

لمشاعري تجاه هذا الامر حتى ولو بدا لك أو للجميع أنه أمر صغير للغاية أو دون ذات أهمية..

ظاهر: وهو يتسم.. حبك لي أغلى شيء أرسله لي الله..
وحبي لك لا يسمح لي إطلاقاً إلا احترامك وتقدير كل ماتشعرين به.. كل فرد فينا لديه أموراً مهمة ومقدسة له ربما تبدو للآخرين أموراً عادية.. أنا أتفهم ما تقولينه لأنني ربما أعيش حالة مثل هذه ربما تبدو هي الاخرى ليست ذات قيمة وسوف اطلعك عليها..
يوماً ما..

كارين: قبل أن أدعك ترى ما في داخل مذكراتي هذه.. دعني أقص عليك قصة صغيرة.. عندما كنت صغيرة في حوالي الثامنة أو التاسعة من عمري كنت أعشق الاهتمام بالنباتات في الحديقة الصغيرة الامامية لبيتنا الخشبي الصغير.. وإذ فجأة رفعت رأسي للسماء لأشاهد سرباً من الطيور يطير فوق بيتنا.. وبعد لحظات.. سقطت ريشة من جناح أحد هذه الطيور.. تهادت الريشة ببطء إلى أن استقرت بين أقدامي.. ريشة حمراء اللون.. شكلها مميز

لللغاية.. لونها رائع.. شعرت أنها هدية من السماء قد اختارتني
أنا لتهبط علي..

ومنذ ذلك اليوم.. والريشة لا تفارقني.. وصارت هي
صديقتي.. أتحدث إليها.. لا تظن أنني مجنونة.. لكن هذه هي
الحقيقة.. وأحياناً أسمعها تتجاوب معي.. أبكي لها وأشكو لها
آلامي وأوجاعي.. استمد منها الصبر والقوة والأمل في غد
بالتأكيد أفضل من اليوم..

ثم فتحت دفتر مذكراتها أمام وجه طاهر.. الذي هبط الدمع
من عيناه بشدة وهو غير مصدق.. ولا يزال يقول.. هل هذا
معقول.. أنا.. أنت.. السويد.. أسوان.. هل هذا معقول.. هذا
جنون.. نظر إلى الريشة وشعر بدوار في رأسه..

تعجبت كارين من ردة فعل طاهر أشد العجب.. لم يسخر
منها.. وفي ذات الوقت لم يحترم مشاعرها.. لم يعقب.. فقط
بدت عليه كل علامات الاندهاش والتعجب كأنه أصيب بلوثة..
لماذا.. لماذا لم يبدي أي رد فعل..

لم يقل إلا كلمات قليلة وكأنه يهذي..

نهض طاهر وطلب منها أن تسير معه في هدوء.. سوف
يأخذها إلى مكان ربما يكون فيه الرد المناسب لكلامها..
ولعرض الريشة الحمراء أمامه..

ظنت أنه سيأخذها إلى بيت فاطمة أو عبد القدوس.. لكنه لم
يفعل..

سار بها تجاه شط نهر النيل..

وهناك انحدر بها إلى صخرة كبيرة.. وبدأ كلامه..

عندما كنت طفلاً في التاسعة من عمري تقريباً.. كنت أشعر
برهبة وخوف شديد من بعد أن شاهدت قارب صيد أبيض شديد
الشبه بالقارب الذي كان عليه أبي بصحبة أمي عندما حدثت
لهما حادثة الإصطدام وغرقا في النهر..

وبعد أن أرتميت في حضن الخالة فاطمة لأستمد منها الأمان
وبعض القوة.. جلست خلف هذه الصخرة مختبئاً ومحتمياً بهما
وكأنها السد المنيع الذي يحميني من أي عابر يريد بي سوءاً..

وبعد لحظات نظرت إلى أعلى .. شاهدت سرباً من الطيور ..
يحلّق فوقى .. وبعد لحظة هبطت ريشة من جناح أحد هذه
الطيور .. تتهادى لتسقط بين أقدامى ..
وقبل أن يكمل حديثه ..

ضربته كارين على ذراعه وصرخت بأعلى صوتها .. كنت
أعلم .. كنت أعلم .. أنك لست ملاكاً ولا طاهراً وأنك سوف
تسخر منى تمام السخرية .. كم أنت سخيف كنت تستطيع أن
تسخر منى هناك على الكورنيش .. لماذا أتيت بي إلى هنا .. هل
السخرية هنا لها طعم خاص لديك ..

أنا حذرتك ألا تستخف بي وبمشاعري وأن تحترم ما سأقوله
لك حتى ولو بدا لك غير ذي أهميه أو أمر طفولي للغاية ..
تحرك طاهر فوراً .. وهي تكمل حديثها وتبدي استياءها
الشديد وتسدد له اللكمات بكلماتها اللاذعة وبدأت في البكاء ..
واختتمت كلامها وهي تقول: لقد نجحت في أن تجعلني أندم
على البوح بسرى لك ..

حفر بيده في الصخرة.. وهي تكمل حديثها وتصرخ فيه..
ماذا تفعل؟! .. يجب أن تنصت لي.. من حقي أن أغضب وأعبر
عن غضبي.. كما أنت أعطيت لنفسك الحق في السخرية من
خصوصياتي..

وإذا بطاهر.. يخرج العلبة الخوص الخشبية.. ويقدمها لها..
قائلاً: إذا فتحت هذه العلبة ربما تفهمين ردة فعلي وتفهمين ما
قصصته عليك منذ دقائق..

نظرت كارين إليه.. وإلى العلبة ثم إليه ثانية.. فتحت العلبة
ببطء.. خيم الصمت عليهما وهما يحملقان تارة في الريشة
الحمراء في دفتر المذكرات وتارة أخرى في الريشة الحمراء
داخل العلبة الخشبية..

ظلا هكذا فترة والدمع ينهمر من كل منهما.. ويدهما
متعانقتان بقوة.. إلى أن ارتمت كارين في أحضانه..

بقيا متعانقان خلف الصخرة وبجوارهما الريشتان.. إلى أن
سطعت الشمس..

طوال تلك الليلة.. لم تستطع فاطمة النوم.. خوفًا على طاهر
بعد أن ظن الجميع أنه مات داخل الحريق.. لم تتحمل فكرة أن
تفقدته..

تذكرت الحلم الغريب أو الكابوس الذي رآته في المنام وقت
ظهور الحاج/ بدوي فياض وفكرة القرض.. ثم اختطافه للبيبة..
أي الزواج منها رغمًا عنها.. وانفصال عبد الهادي ورشيد عن
بقية العائلة بعد موت جعفر.. وظنت أن العقد انفرطت حباته..
لكن الآن تشعر أن الامور تسير في أفضل حال وأن الجميع في
تماسك.. وكأن الله أراد لها أن ترى الموت فتعرف وتدرک قيمة
الحياة.. أن تعيش لحظات فقدان طاهر للأبد.. ثم يظهر أمامها
وكان الله لا يريد لقلبها أن ينكسر طوال الوقت.. إنكسر من قبل
ثم إلتأم فلن يتحمل قلبها الضعيف كسرة ثانية أو ثالثة..

ثم رفعت أكفها بالدعاء للجميع فردًا فردًا حتى كارين وجمال
..وعبد القدوس..

ما أجمله صباح.. حين يستيقظ طاهر ليجد بين ذراعيه.. حب
الحياة.. الوجود نفسه.. من أرسلها له الله ليحيا لها وبها..

الريشتان حولهما.. دليل على الإرادة الالهية ومباركة السماء
ليقضيا بقية العمر سوياً.. وضع أصابعه على شعرها.. استيقظت
لترى أجمل وأحن عيان تنظران إليها.. نظرات الحب..
والإخلاص والرباط المقدس.. ذاك الرباط الذي لضمته السماء
ليصل بينهما.. نظرته إلى الريشتان.. والفرحة تملأ قلبهما.. ثم
لمست يد طاهر.. قائلة.. هل هذا حقيقي.. نفس الطائر يترك
لي ريشته في استكهولم في السويد.. ثم يترك لك ريشة من
جناحه الآخر هنا في أسوان.. بمصر.. مهد الحضارات وأرض
الانبياء.. البلد الذي عشقته دون أن أقابلك أو أراك أو أتخيل
أنني سوف أفضي فيها ولو ساعة واحدة.. أخيراً التقتا الريشتان
فالتقينا انا وانت.

نهضاً سوياً وهما يحملان الريشتان..

ذهبا إلى بيت فاطمة.. حيث استأذنها طاهر أن تقيم كارين في
بيتها لحين تدير أمورهما.. أما هو فسوف يمكث لدى عم عبد
القدوس.. عم عبد القدوس.. أكثر الناس فرحاً بنجاة طاهر فقد
صار ولده بعد وفاة ابنه الوحيد في الحرب..

دمه يجري في عروقه.. فلا بد أن يراعه الله بفضل دعائه
المستمر له..

لم ينم طاهر تلك الليلة.. رغم التعب الشديد.. وكذلك
كارين ظلت ساهرة تملأوها السعادة..

كثفت الشرطة من بحثها عن الجاني والمتسبب في الحريق..
بعد أن أدلت عاملة النظافة بأوصافه على قدر رؤيتها له.. فلم
تكن تستطع رؤية الجاني بوضوح ذاك اليوم.. حيث ركل
الباب بقدمه حين فتحت الباب.. ثم سقطت هي على الأرض
وبدأ في إلقاء الزجاجات المشتعلة.. وبدأت النيران في إلتهايم
المفروشات والستائر..

لمحت تفاصيل وجهه لأقل من دقيقة واحدة لذا كان من
الصعب عليها إعطاء وصف دقيق لملامحه..

جمع ضباط المباحث أكبر قدر من المعلومات عن ملابسات
ما حدث وما كان يحدث داخل البنسيون من قبل.. وعند
صدور تقرير المعمل الجنائي ومضاهاة البصمات التي على
الزجاجات.. من تشير إليهم أصابع الإتهام..

ظهر واضحًا جليًا تطابق بصمات زكريا مع البصمات المرفوعة من فوق الزجاجات ومقبض اليد والجرس.. تم عمل عدة أكمنة.. لكنها لم تسفر عن شيء إلى أن راجع أحد الضباط ملف زكريا القديم إبان القبض عليه وعلم أنه يرتاد بعض الاماكن.. ولكنه تحديدًا كان دائم التردد على الحانة المقابلة لمحطة القطار..

وبعد تكثيف المراقبة السرية.. شوهد زكريا وهو يدخل الحانة في إحدى الليالي.. تم الإسراع بتجميع قوة والتوجه إلى الحانة ومحاصرتها من الباب الرئيسي والباب الخلفي.. إلى أن تم القبض عليه وهو في حالة سكر شديد..

قامت فاطمة بدعوة كل أفراد العائلة على مأدبة غداء.. شعرت أنها تريد لم شمل العائلة والاصدقاء المقربين.. يجتمع الكل في بيتها للتألف والتعارف وتناول الطعام سويًا..

العيش والملح له تأثير قوي في توثيق أو اصر الترابط بين الناس.. وزيادة التعارف وإزالة أي خلافات إن وجدت..

طلبت الخالة فاطمة من طاهر توجيه الدعوة لعم عبد القدوس .. علوي .. عدلي .. والأب ميخائيل الذي كان متواجداً وقت حريق البنسيون وكان حزيناً للغاية لموت طاهر وكارين كما كان مفهومًا في ذلك الوقت .. قبل أن يعلم الجميع أنهما أحياء ..

وفي يوم مشمس جميل .. بدأ الجميع في التوافد على بيت فاطمة ورائحة الطعام الشهية تملأ المكان .. وكانت كارين سعيدة للغاية بهذا الجو العائلي .. وسط أناس بسطاء .. طيبون .. لا تفارقهم الابتسامة وروح التعاون حاضرة بين الجميع .. فكل فرد يقوم بعمل ما .. توزعت الأدوار وسط الفرحة والسعادة ..

حضر الأب ميخائيل .. وخلفه أ/ علوي ود/ عدلي .. ويبد كل منهم هدية أو علبة حلوى .. وحضر جمال بصحبة والده عم صبحي ..

وأخيرًا ظهر طاهر وهو ممسكًا عم عبد القدوس بيد وفي اليد الأخرى باقة زهور .. لكارين وتوسطها زهرة عصفور الجنة ..

قام طاهر بعد أن استأذن الخالة فاطمة في استخدام المطبخ..
بعمل حلوى أم علي.. وأشار إلى كارين قائلاً: هي تحبها
ومعجبة بها كثيرًا..

فاطمة: ليست وحدها.. أنا أيضًا أحبها ساخنة بالقشدة
وممتلئة بالمكسرات..

الجميع يأكل في فرح ويتبادلون أطراف الحديث.. وبعد انتهاء
الطعام.. طلبت فاطمة أن يلتفت إليها الجميع.. لديها حديث
هام تريد أن تشاركه مع الحضور الكرام.. أنصت الجميع..
فاطمة: طبعًا انتم شرفتم منزلي المتواضع.. أدخلتم على
قلبي البهجة والسرور.. إن بيتنا هذا لم يعرف طعم الفرحة منذ
زمن بعيد..

هناك أمران في غاية الأهمية أود أن أسأل عن رأيكم فيهما..
الأمر الأول: كما تعلمون نحن جميعًا عاصرنا وقت حريق
البنسيون.. كان وقتًا عصيبًا للغاية وتجربة صعبة.. مرت على
الجميع بسلام والحمد لله.. وبالأخص نجاة طاهر وكارين..
لكن الذي يستحق أن نكون بجانبه وأن نضع يدنا جميعًا في

يده.. هو الأستاذ/ علوي وبالطبع أخيه د/ عدلي.. لا بد وأن
نتشارك جميعًا لإعادة البنسيون لحالته الأولى وربما أفضل..
وإصلاح جميع التلفيات وشراء أثاث جديد لإعادة البنسيون
كما كان في أقرب وقت ممكن.. أنا متبرعة بنصف التكاليف
أيًا كانت.. فلا أخفي عليكم سرًا وربما جميعكم يعلم.. لقد
ورثت مبلغًا ممتازًا.. وصارت لدي الثروة لمعاونة من يحتاج
إلى ذلك.. هذا البنسيون هو غالي على أصحابه لكنه غالي لدي
أيضًا.. فهذا المكان احتضن طاهر وأعطاه الفرصة والثقة ليعمل
فيه كشيء رغم صغر سنه وقتها.. وتلقى هناك أفضل معاملة..
والسبب الآخر.. أن كارين الجميلة كانت تحبه وتشعر بالراحة
والاطمئنان فيه..

ها.. ما رأيكم.. من منكم على إستعداد للمساهمة..

ليبية: أنا يا أمي مستعدة للمساهمة بأي مبلغ..

عم صبحي: أنا أيضًا أساهم بالمال أو بعمل الإصلاحات في

ورشتي..

عم عبد القدوس: أنا أيضاً على استعداد.. أنا مدخر مبلغ لا بأس به.. ممكن تأخذه بالكامل..

كارين: أنا أيضاً على استعداد للمساهمة.. الأموال موجودة في بنك في السويد.. ممكن أطلب من أمي تحويل مبلغ.. بكري: أنا لا أحتاج ميراثي من أبي.. فيمكن أن تأخذه.. الأب ميخائيل: أنا أيضاً استطعت أن أدخر مبلغاً لا بأس به.. يمكن أخذه بالكامل..

جاء الدور على طاهر الذي كان في حالة من الخجل.. أنا لا أملك المال.. أعيش فقط براتبي الشهري.. لكنني على استعداد للعمل مع العمال في إصلاح وتجديد البنسيون.. كنت أتمنى أن أساهم بالمال.. سامحوني فهذا البنسيون اعتبره بيتي الثاني.. له الفضل علي وقضيت فيه أجمل الأيام وتعلمت وتدربت داخله..

وضع علوي منديلاً على عيناه بعد أن فرغ الجميع من الحديث وعرضهم الغالي والنفيس.. للمساعدة في عودة البنسيون لحالته الأولى..

حاول إخفاء دموعه بالمنديل .. تأثر بشدة من حديث الخالة فاطمة ومن موقفهم جميعاً تجاهه .. وربما من الحاضرين من لا يعرفه وربما يقابله للمرة الأولى .. وكذلك عدلي .. الذي حاول أن يلاحق دمه الذي هطل من عينيه فيمسحه قبل أن يلحظ الحاضرين بكاءه الصامت ..

مرت لحظات صمت على الجميع .. وبعد أن استطاع علوي التماسك .. بدأ حديثه بصوت محشرج وكأنه قد كون كلمات كثيرة وجمل أكثر وأغلق عليها فمه .. والآن سيطلق صراحها ليتحدث ويعبر عما تجيش به نفسه ..

علوي: ما سمعته منكم الآن أشعربي بوجود أبي غبريال وأمي تيريزا وأختي ايفون بيننا .. رحمهم الله جميعاً ..

لأول مرة بعد وفاتهم أشعر أن لي عائلة تحبني وتخاف علي وتهتم بشئوني منذ فقدت الأب والأم والأخت .. ونحن أنا وعدلي .. ليس لدينا إلا الخوف الداخلي أن يفقد أحدا الآخر .. لدرجة أنني شعرت أن الموت صار صديقاً للأسرة .. الآن فقط أشعر أننا لسنا وحدنا .. المحبين كثر والمخلصين أكثر ..

أعدتم إيلنا الاحساس بالغبرة في بلدنا.. الآن أشعر بالألفة
بالوطن..

الوطن بدون ناس تكن لك الحب هو ليس بوطن.. أشكركم
جميعاً.. لكن هناك معلومة لا يعرفها الجميع وربما لا يعرفها
عدلي أخي.. نظراً لانه لم يكن يتدخل في إدارة البنسيون وقد
ترك كل هذه الأمور لي وتفرغ لعمله ومرضاه..
حكمة الأباء.. نفذها وهم أحياء ونستفيد بها بعد موتهم
أيضاً..

فلقد قام أبي منذ أن افتتح البنسيون بالتعاون مع شركة تأمين
جيدة السمعة وعمل بوليصة تأمين ضد الحوادث والسرقات
والحرائق والكوارث الطبيعية..

ولقد تواصلت مع الشركة بالفعل وبعد عمل المعاينة
واستيفاء الأوراق المطلوبة قدروا ميزانية محترمة لتجديد
البنسيون بالكامل وبكل التجهيزات الداخلية وربما يفيض معنا
مبلغ من المال بعد عمل اللازم وإعادة البنسيون كأفضل مما كان
وسوف يستغرق هذا في حدود شهرين إلى ثلاثة أشهر..

عمت الراحة المكان.. ساد الجميع روح الود والحب
والألفة.. وجلست فاطمة على ركن من أريكة خشبية تتأمل
الجميع وهم يتحدثون ويتبادلون النكات.. وبكري متابع على
الكرسى المتحرك.. وهو في سعادة وروحه تقبلت ما كتبه الله
له..

وانزوى كلا من أسماء وجمال في احدى الزوايا وهما
يتحدثان بهمس العشاق.. حديث المحيين.. وهما يخطوان
أولى خطواتهم لحياة طويلة.. أهم أعمدها هو التفاهم.. نقاشهم
وحديثهم يقرب وجهات النظر.. مما يخلق التفاهم والتقارب..
وعلى الطرف الآخر من الغرفة تجلس لبيبة وهي تصنع الضفائر
لشعر ابنتها الصغرى في وجود ابنتها الكبرى وتعلمها كيف
تضفر الشعر بشكل جميل ومحكم..

باقي من الزمن اسبوعان.. هكذا بدأت كارين حديثها لطاهر
وهما يسيران سوياً على كورنيش النيل.. والمراكب الشراعية
البيضاء.. والوجوه السمراء تملأ المكان جمالاً وبهجة وحيوية..

طاهر: لا أفهم.. اسبوعان على ماذا..!؟

كارين: على موعد تسليم بيتنا الصغير في السويد للشركة العقارية.. والذي تقيم فيه أُمي الآن..

طاهر: استشعر من حديثك بعض القلق على أمك.. ماذا تريدني أن أفعل ولن أتأخر..

كارين: ضاحكة.. لا.. لا.. لا.. ليس أنت.. شكرًا يا حبيبي.. أنا من يجب أن أفعل.. لا بد أن أسافر لأكون إلى جوار أُمي.. هي وحيدة.. ولن تستطيع تدبير كل شيء بمفردها.. ولا بد أن أطمئن على مكان البيت الجديد وأمور أخرى كثيرة.. فلا بد أن أبحث عن بيت في نفس البلدة وليس بعيدًا عن الكنيسة والمرفأ.. هذان المكانان المقدسان لدى أُمي..

الكنيسة.. هي نفس الكنيسة التي أقامت فيها أُمي مراسم الزواج من أبي

الاكليل والقداس وترديد ميثاق الزواج خلف الكاردينال.. كل هذا تم في هذه الكنيسة.. لذا هي تمثل لأُمي جزء هام من حياتها وذكرياتها لا تستطيع التخلي عنه أو الابتعاد بعيدًا عنه..

أما المرفأ.. فهو المكان الوحيد الذي سوف يعبر منه أبي عند
عودته..

فهو مرفأ الصيد الوحيد في البلدة.. وكل مراكب الصيد تغادر
وتعود منه..

مازالت فاطمة متكئة على ركن في الأريكة تنظر إلى الجميع
وهي في سعادة غامرة..

الحياة الجميلة بدأت تعود إليها.. كم تتمنى لو كان جعفر
حاضراً بينهم ليرى أولاده وأحفاده.. أو حفيداته.. بنات لبيبة..
وأعتلى وجهها مسحة من حزن حيث تذكرت ولداها.. عبد
الهادي ورشيد لماذا انشقا عن الصف.. لماذا هما مختلفان
واتخذنا بعضهما أخلاء وكأنهما أسرة داخل الأسرة.. كادا
يتسبان في تفكك الجميع..

ليتهما مافعلا كل هذا واستمعا لنصيحتي.. اين هما الآن..
قابعان في السجن.. ولا يعلم إلا الله مصيرهما في المستقبل..

بصوت مرتفع أيقظ عم عبد القدوس فاطمة من أفكارها
وشرودها..

عبد القدوس: يا ست فاطمة لقد ذكرت في مبدأ حديثك أن
هناك أمران هامان تودين مشاركتنا في الحديث عنهما.. ذكرتِ
الأمر الأول وهو ترميم وإعادة البنسيون على ما كان عليه..
واعتقد أن هذا الأمر حسم..

فما هو الأمر الثاني.. لم تخبرينا بعد.. يبدو أنك نسيتِ..

انتبهت فاطمة.. وكأنها كانت في سبات عميق..

فاطمة: صحيح.. أنت على حق يا عم عبد القدوس كيف
حدث هذا لم أكمل ما أردت قوله.. تحدثت عن نصف الموضوع
فقط.. سرح بي عقلي بعيداً وأنا سعيدة بوجودكم حولي..

حسنًا.. أعيروني جميعاً انتباهكم.. الأمر الآخر أو الثاني
يتعلق بطاهر.. ولدي..

ثم تلفتت حولها قائلة.. أين طاهر.. أين هو.. وأين كارين..
أجاب عدلي مبتسمًا.. أعتقد أنهما خرجا للتنزه على ضفاف

النيل..

ولم يكمل عدلي جملته حتى دخلا كلاً من كارين و طاهر
ويبدو على طاهر بعض الجدية أو الحزن..

فاطمة: حسناً.. استمعوا لأقتراحي وكل منكم يعطني رأيه أو
اقتراحه..

طاهر.. لديه مشكلة في قبول العمل داخل المركب العائم
أو الفندق العائم وأعتقد أننا نعلم القصة بالكامل فلا داعي
لسردها..

أقترح أن نتكاتف جميعاً ونقيم له مطعماً.. نكون نحن جميعاً
ملاكه وهو يكون الشيف الاول به.. فلقد تجمع لدينا المال..
فلما لا نكون نحن أصحاب الاعمال بدلاً من العمل عند الغير..
استمر النقاش والمقترحات المطروحة من الجميع.. ورفض
بعض الافكار واستحسان البعض الآخر.. وكل تحدث حسب
خبراته وطموحاته وأحلامه في النجاح في المستقبل إلا طاهر لم
يتحدث.. ولم يكن يسمع ما يدور من حديث حتى ولو ارتفعت
الأصوات في بعض الاوقات..

كذلك كانت كارين رغم أنها من اقترح السفر للسويد..
إلا أن الفكرة كانت صعبة للغاية.. كيف لها أن تتعد عن
طاهر اسبوعان.. أكثر أو أقل.. هذا مستحيل.. بعد أن تلاقا..
والريشتان اجتمعتا سوياً.. وأدرك كل منهما أن للسماء دور في
جمعهما مهما بعدت بينهما المسافات.. اختلاف المكان..
اختلاف الدين.. اختلاف اللغة.. اختلاف اللون.. اختلاف
الثقافة.. لكن الله له إرادة في جمعهما.. وما حدث لهما هو
معجزة بكل المقاييس..

أن تختار كارين دراسة النباتات وأمام ثلاثة اختيارات.. تختار
مصر لتجري بها أبحاثها.. ومن بين كل مدن مصر.. تشد الرحال
إلى أسوان.. ومن بين آلاف الفنادق وأماكن الإقامة.. تقيم في
بنسيون صغير.. يعمل به فتى أسمر.. طاهي وشيف بالمطبخ..
تراه.. تنبهر به.. يشد انتباهها.. يدق قلبها بشدة.. تشعر أنها
تريد النظر إليه طيلة الوقت.. سماع صوته.. الحديث إليه..
الوجود بجواره.. حتى ولو صامتة..

طاهر.. كان صامتاً.. كان على استعداد للتنازل عن أي شيء.. لا يريد وظيفة ولا مطعماً.. فقط يريد البقاء بجوار كارين أو ابقاءها بجواره..

يعرف أنه من الصعب أن يسافر معها للسويد.. على قدر علمه بمدى العذاب الذي سيراه ويواجهه في غيابها..

نظر كلا منهما إلى الآخر.. مديده ليتلمس أصابعها وهي جالسة إلى جواره.. نظراتهما تتحدث بما لم يستطع أن ينطقه لسان كل منهما..

صمتها حديث.. أنفاسهما حياة.. تلامس الأيدي عشق.. وجودهما إلى جوار بعضهما يكمل الصورة.. لتكون أجمل تابلوه ممكن أن يرسمه أعظم فناني العالم..

نهضت فاطمة من مكانها.. تهز كتف طاهر.. بعد أن وجهت له الحديث لكنه يبدو لم يسمعها فلم يتجاوب معها.. فكان لا بد من أن تلفت انتباهه..

شرحت له ما قاله الجميع وآخر المقترحات التي اتفق عليها الحضور.. ولا يتبقى إلا رأيه ورأي كارين..

فاطمة: اسمع يا طاهري ولدي.. نحن صرنا عائلة واحدة كبيرة وما ورثته من مال لم أكن انتظره أو أرغب به.. لذا قررنا جميعاً إنشاء ما يسمى شركة مساهمة وأنا طبعاً لا أفهم في هذه الامور.. هذا اقتراح أ/ علوي حيث كل فرد يضع مبلغ من المال يكون مالكا على قدر المال الذي دفعه..

هكذا شرح لي.. ثم نظرت إلى علوي قائلة: هل ما فهمته صحيح يا أ/ علوي..

أو ما علوي برأسه وهو يتسمم..

وقررنا أيضاً أن نبني عوامة على ضفاف هذا النيل.. تكون مكونة من ثلاثة أجزاء.. الجزء الكبير الأوسط سوف يكون مطعماً وسوف تكون أنت وأنا فاطمة وعم عبد القدوس مسئولون عنه.. وأنت الشيف طبعاً.. ويكون بجانبه صيدلية ومركز صحي لبيع الأدوية وعقاقير تعالج بالأعشاب وهذه الصيدلية سوف يكون مسئولاً عنها بالطبع كارين ود/ عدلي وأسماء.. وعلى الجانب الآخر.. سيكون بازاراً لبيع التحف والتمائيل الفرعونية

وأوراق البردي وخلافه.. وسوف يكون مسؤولاً عنه أ/ علوي
ومعه بكري وليبية..

وسنكلف المحامي الذي أنهى لنا إجراءات الميراث
باستخراج التصاريح والموافقات اللازمة لهذا المشروع.. حيث
أنه أبدى همّة ونشاط وأمانة في مسألة ميراثي وميراث لبيبة من
زوجها..

يتبقى الجانب الأخير.. وهو مسألة البناء والإنشاءات..
سوف يقوم بها عم صبحي ومعه جمال بما لديهم من خبرة في
هذا النوع من الإنشاءات.. وكذلك أعمال الصياني التي ستستمر
معنا طوال الوقت..

استمعاً كلا من طاهر وكارين.. ولم يصدقا أن ما سمعاه
يصدر بالشرح من الخالة فاطمة..

امتد الحديث بين الجميع في كل تفاصيل المشروعات الثلاثة
ومع الاوراق والاقلام بدأوا في كتابة كل شيء..

وكان لكارين طلبان.. الأول أن تشارك بالنقود في هذه المشروعات.. وافق الجميع وسوف يكون لها أسهمها على قدر مشاركتها وكذلك الأرباح على قدر مشاركتها..

الطلب الثاني هو أن يكون تصميم المطعم.. مشابه لبيتهم الخشبي الصغير في استكهولم بالسويد..

تحمس طاهر للفكرة.. قائلاً بالطبع.. البيوت الخشبية على الطراز الأوروبي تمثل شكلاً غير مألوف هنا.. مما يعطينا التميز والتفرد هنا في أسوان.. فلا يكون لنا منافساً في الديكورات أو طراز المطعم.. كل ما عليك هو شرح شكل البيت لعم صبحي وجمال ويا حبذا لو معك صور للبيت كي يساعدهم في عمل التصور والتصميمات له..

اكتملت السهرة السعيدة.. وقبل أن يغادر طاهر لبيت في بيت عم عبد القدوس همس في أذن كارين قائلاً.. أنا موافق أن تذهبي للاطمئنان على أمك.. على أن تعود لي سريعاً..

نظرت إليه كارين في سعادة وحزن في آن واحد.. سعيدة
لزيارتها لأمها والاطمئنان عليها وحزينة لفراقه لأيام طويلة..
أطول من الدهر..

صاحب طاهر كارين في ترتيب أمور السفر مع شركة
الطيران..

وذهبا سوياً لحجز تذكرة القطار من أسوان إلى القاهرة.. بناءً
على رغبة كارين.. فقد أحبت قطار النوم للغاية.. مع أنه كان
بإمكانها استقلال طائرة من مطار أسوان إلى مطار القاهرة..
وامام موظف شباك التذاكر وقبل أن يقوم طاهر بحجز تذكرة
لكارين

نظر بحب وشوق إلى كارين قبل أن يطلب شراء التذكرة ثم
نظر تجاه الشباك وقال لموظف حجز التذاكر؟؟

تذكرة إلى القاهرة.. درجة أولى ممتاز.. ثم نظر إلى كارين
مرة اخرى وعيناه تبوحان بحزنهما لقرب لحظة الفراق وبهما
سؤال واحد.. جاءته الإجابة من كارين بعد أن أومأت برأسها
دون أن تسمع سؤاله.. مع ابتسامة انثوية ساحرة..

طاهر: ممكن لو سمحت.. تذكرتين وليس تذكرة واحدة..
نعم كان طاهر يرغب بشدة بمصاحبة كارين إلى القاهرة..
إلى مطار القاهرة.. إلى آخر نقطة من مطار القاهرة.. والتي
بعدها غير مسموح له بالدخول..

وكانت كارين تتمنى أن تطلب من طاهر مصاحبته لكنها
تشعر بالخجل ولا تريد أن تثقل عليه لاصطحابها إلى القاهرة..
محطة رمسيس ثم إلى مطار القاهرة.. ويعود وحيداً إلى أسوان..
أمسك طاهر التذكرتين في يده.. ثم رفع يده إلى فمه وقبل
التذكرتين.. وكأنه يقبل كارين..

طلبت كارين من طاهر أن يحتفظ بريشتها الحمراء معه
ويضعها داخل العلبة الخشبية بجوار ريشته..
لكن طاهر فضل أن تأخذ ريشتها.. فهذه الريشة ستكون
الضامن لعودتها إليه مرة أخرى سريعاً.. وأيضاً لعودة ريشتها
إلى ريشته..

استحسنت كارين الفكرة..

عادت إلى بيت فاطمة لتعد أغراضها وحقيبتها الجديدة التي قامت بشرائها مع بعض الملابس بعد أن احترقت حقيبتها وملابسها مع حريق البنسيون..

في حقيبة يدها الجديدة أيضاً.. وضعت كارين دفتر مذكراتها.. الناجي الوحيد من حريق البنسيون.. وبداخله الريشة الحمراء.. ووضعت الكتاب.. هذا الكتاب الذي اشترته مع طاهر بعد أن غادرا محطة القطار واستطاعا حجز تذكرتين في عربة النوم المتجهة إلى القاهرة..

طلبت وقتها كارين من طاهر الدخول إلى إحدى المكتبات وسألت البائع.. عن كتاب يكون له نسخة عربية وأخرى بالانجليزية..

عرض عليها البائع مجموعة من الكتب باللغتين..

قلبت في الكتب بمساعدة طاهر.. واستقر رأيهما معاً على كتاب معين حاز إعجابهما سوياً.. فقد كانت ترغب في أن تقرأ كتاباً في سفرها ويقرأ طاهر نفس الكتاب أثناء عودته من القاهرة لأسوان.. كانت تحب وترغب أن تجمعهما أشياء مشتركة..

عنوان الكتاب هو (معك) مذكرات سوزان طه حسين .. عن
حياتها مع عميد الأدب العربي ..

علمت (ماتيلدا) بموعد قدوم ابنتها وأغلى ما لديها في
الوجود.. كارين..

لا تدري ماذا تفعل.. لديها خطط متعددة.. تريد أن تطهو
لها الطعام الذي تفضله وتريد أن تتحدث لها لمدة ساعات..
وتسمع منها أيضاً كل ما دار معها في مصر منذ أن غادرت البيت
في استكهولم.. إلى أن وصلت مطار القاهرة وإلى أن استقلت
قطار النوم.. وانطباعها عن كل ما مرت به..

الى أن وصلت أسوان جنوب مصر.. وإقامتها في البنسيون..
كيف هي المدينة وكيف هم الناس.. الطرقات.. المطاعم..
المتاجر..

لديها شغف كبير لتعيش تجربة كارين بكل تفاصيلها..

قامت ماتيلدا بالاتصال بالجامعة حيث تدرس كارين في
استكهولم.. تلك الجامعة التي أرسلتها في بعثة لدراسة وعمل
أبحاث عن النباتات النادرة..

وابلغتهم بموعد قدوم كارين وأن معها نتائج الابحاث
المذهلة التي قامت بها في أسوان وتنفيذاً للبرتوكول الموقع بين
الجامعة ووزارة الزراعة..

كانت ماتيلدا متخوفة من الذهاب لاستقبال وانتظار قدوم
كارين..

فهي لم تسافر بالطائرة من قبل.. لم تدخل مطار.. لم تعش
تلك التجربة.. كل تجاربها كانت مع البحار والمراكب.. ليت
يوهانسن كان هنا معها ليكون في شرف استقبال ابنته بفخر..

بدأ القطار في التحرك.. يتهادى ببطء فوق القضبان.. إلى أن
غادر المحطة.. ازدادت سرعته إلى أن إنطلق في سرعة عالية
للغاية..

يشق المزارع.. ثم يشق الجبال.. المناظر الخلابة بين
الجانبيين..

قضايا طاهر وكارين أمتع الاوقات في عربات القطار
المختلفة..

عربة الطعام لتناول طعام الفطور.. ولم ينسى طاهر أن يحضر
بعض زهور عصفور الجنة وضع الزهرة على الطاولة أمام كارين
بعد أن أحضر النادل طعام الإفطار الساخن الشهي..

تشعر كارين بجوار طاهر أنها تعيش في الجنة.. تشعر بالأمان
التام.. وتشعر بسخونة ولهب المشاعر يتدفق من جوانب
ووجدان طاهر ليحيطها بالنقاء والخير والجمال..

فصارت تحب طاهر حبًا لم يعرفه بشر من قبل.. تحب
ملامحه.. كل تفاصيل ملامحه.. وكأنه تمثال لملك جمال
الكون.. تعشق صوته وضحكته.. تهيم في لمس يده ليدها..
تسعد عندما تراه يسير.. يسير بثقة وشموخ مع كل التواضع
والاحترام.. نظرة عينيه تبعث على الحنان والدفء الذي يذيب
ثلوج القطبين الشمالي والجنوبي..

ينظران عبر النافذة سويًا.. يتحدثان في كل شيء.. ولا تتوقف الضحكات والابتسامات.. هل هذه حقًا الجنة.. هكذا تساءلت كارين وكأنها لا تريد سماع الإجابة..

وصل القطار إلى محطة رمسيس.. بيدان متعانتان.. سارا طاهر وكارين إلى خارج المحطة.. استقلا سيارة أجرة إلى ميدان التحرير.. حيث يقبع المتحف المصري بالطلاء الاحمر القرمزي البديع..

كان هناك مساحة من الوقت قبل موعد الوصول إلى المطار لاستقلال طائرة مصر للطيران المتجهة إلى باريس.. ومن مطار شارل ديغول وعبر بوابة أخرى تقلع طائرة الخطوط الجوية الاسكندنافية (ساس) متجهة إلى استكهولم..

اقترح طاهر استغلال هذا الوقت في زيارة المتحف المصري.. الذي يحتوي على كنوزًا من الحضارة المصرية واليونانية القديمة.. وهناك جناح خاص بالمومياءات الفرعونية (الجثامين المحنطة) ودائمًا ما كانت كارين لديها الشغف لمشاهدة ومعاينة

عظمة المصري القديم في قدرته على الإحتفاظ بالانسجة
والجسد طيلة تلك السنوات الآلاف الماضية..

كان طاهر يطلق العنان لذهنه الذي لا يتوقف عن التفكير
في كيفية إسعاد كارين فكان يستمد سعادته وفرحته من راحتها
وهناها..

دائمًا ما لديه الرغبة الجارفة لتمضية أطول وقت ممكن في
صحبتها قبل أن تستقل الطائرة بمفردها.. وبعد أن أنهيا جولتهما
في المتحف بشكل سريع نظرًا لضيق الوقت.. وخاصة أن
التجول في هذا المتحف يحتاج لزيارات كثيرة تستغرق أيامًا
وأسابيعًا كي تقف على كل قطعة.. لفهمها والاستمتاع بها
والعودة بالتاريخ لآلاف السنين وتخيل حياة هؤلاء العظماء..

الوقت يمر سريعًا عكس وضد رغبتهما.. وهذه هي عادة
الوقت..

الوقت الجميل يمر سريعًا أما من يواجه أوقاتًا صعبة..
فالدقائق والثواني تمر كأنها شهور أو سنين..

أنهت كارين إجراءات السفر.. وجاءت اللحظة التي لا
يتمناها ويخشأها كل منهما..

أخرجت كارين الريشة الحمراء من دفتر مذكراتها.. وطلبت
من طاهر أن يقبلها.. قبلها ودموعه تسبقه.. مسح قطرات الدمع
قبل أن تبلل الريشة.. ثم ابتسم وقبل يد كارين وقال: قبلة الريشة
هي نفس قبلة يدك.. أريد من كلاكما أن يعود إلي سريعاً..

ثم فتح العلبة الخشبية بعد أن أخرجها من حقيبته يده.. وطلب
من كارين نفس الطلب.. أن تقبل ريشته الحمراء..

قبلتها كارين ولكن بالابتسامة.. وقالت:

الابتسامة بالنسبة لي.. تعني العودة سريعاً.. عكس الوداع..
الذي أخشى منه..

ثم أشرأبت بعنقها.. وصار وجهها مقابلاً لوجهه.. قبلت
أنفه..

تعجب طاهر وهو يبتسم قائلاً: شعور رائع.. أول مرة يقبل
أحدًا أنفي.. والجميل أنه منك أنت يا كارين..

كارين: فعلت هذا لأكون الأولى.. وتقبيل الأنف عندي يعني
احترامي وتقديري لقامتك وقيمتك.. اني أحبك يا طاهر..

يجلس طاهر في قطار العودة المتجه إلى أسوان والمقلع
من القاهرة بعد أن اطمئن على كارين وأن الطائرة قد أفلتت
بالفعل..

فتح حقيبة يده.. أخرج العلبة الخشبية.. ونظر إلى الريشة
الحمراء.. وكأنه يرى آثار شفاه كارين على نسج الريشة الدقيق..
وضعها داخل علبتها.. ثم أخرج الكتاب الذي اشتراه بنسخته
العربية مع كارين وبدأ قراءة بعضاً من سطوره..
(معك) هو عنوان الكتاب..

سوزان طه حسين من فرنسا إلى مصر.. قصة حب خارقة)
(١٩١٥ - ١٩٧٣)

مرر طاهر بعض صفحات الكتاب إلى أن توقف عند صفحة
جذبت بعض الجمل فيها انتباهه واسترعت حواسه.. صفحة (٣١)

« أول مرة التقينا فيها كانت في ١٢ مايو ١٩١٥ في مونبليه (جنوب فرنسا) ومنذ زواجنا كنا نحفظ لهذا اليوم بوضع خاص..

لم يكن ثمة شيء في ذلك اليوم ينبئ بأنه مصيري كان يتقرر إذ لم يسبق لي بحياتي أن كلمت أعمى، لقد عدت إليه أزوره بين الحين والآخر في غرفته التي كانت غرفة طالب جامعي، كنا نتحدث وكنت أقرأ له بعض الفصول من كتاب فرنسي، ولعل القدر كان قد أصدر قراره بالفعل..

فقد كان هناك أعمى آخر.. هو الأستاذ الإيطالي الذي كان يدرسه اللغة اللاتينية قد أدرك ذلك وقال له، سيدى هذه الفتاة ستكون زوجتك..»

توقف طاهر عن القراءة للحظات.. ولم يصدق ما قرأه.. هل هذا يحدث أنا لست الوحيد الذي يرسل له القدر نصفه الآخر.. وكأنني كنت أعيش بنصف روح ونصف وجدان في جسد كامل.. منتظرًا النصف الآخر والوجدان في جسد كامل

أيضاً.. وما أن نلتقي فتتلاقى أرواحنا وتندمج أحساسينا وتنصهر
وتذوب داخل جسدنا..

شعر برغبة شديدة في قراءة تلك الجمل مرة أخرى وتمنى
لو كانت كارين بصحبته ليقراً عليها تلك الجمل التي حدثت في
الواقع وليست من نسج خياله.. ما هذا العالم.. وكيف يكون هذا
الشبه.. أن تتلاقى الأرواح وتبحث عن بعضها البعض حتى ولو
كانت روح شمالية والآخرى جنوبية.. شرقية أو غربية..

يقدر الله الأقدار ويكتب لنا حياتنا.. ونحن علينا التنفيذ
والإذعان والسمع والطاعة للخالق القهار.. هنا الإنسان مسير..
ليس له اختيار..

لكن الله سبحانه وتعالى.. ترك لنا مساحات شاسعة من
الاختيار.. وتقبل الآخر.. فنحن من يختار أن نقرب أو نبتعد..
نمضي قدماً أو ندير ظهورنا لنسير في الإتجاه المعاكس..

مع كارين.. أشعر بالحالتين.. أشعر أنني مسير.. ليس لي يد
في اختيار الريشة هي من اختارتني ولكنني أنا اخترت أن أعشق
تلك الفتاة استجابة لنداء قلبي..

في الطائرة المتجهة إلى باريس .. طائرة مصر للطيران وهي
في المقعد الملاصق للنافذة.. تنظر كارين إلى مصر من أعلى ..
من الجو .. كم هي رائعة.. تنظر إلى القاهرة بنظرة مختلفة ..
عما كانت عليه من رحلة الذهاب من باريس إلى القاهرة ..
آنذاك لم تكن مدركة لما هي مقبلة عليه .. داخلها العشرات من
التساؤلات بلا إجابات .. لا تعرف طباع أهل مصر .. الطرقات ..
العادات والتقاليد .. والسؤال الأهم .. هل ستكون سعيدة ..
ولكن الآن وبعد أن قضت وقتاً لا بأس به .. وخاصة هو يعد
أجمل تجارب حياتها ..

التقت بحب عمرها وعشقها .. واستطاعت أن تتقابل و تصل
وبالصدفة وقدر من الله إلى الريشة الحمراء التي سقطت من
الجناح الآخر من نفس الطائرة .. لتكتمل الصورة .. الآن هي تنظر
إلى مصر بحب واشتياق للعودة .. تريد أن تعانق المضيئة الطائرة
وتفتح معها أحاديث بلا توقف لولا أنها تعلم أن المضيئة لا بد
وأن تهتم ببقية الركاب على متن الطائرة .. ذكريات رائعة .. تشعر

أنه تركت وطنها الأم وهي مقبلة على رحلة قصيرة.. إلى أن تعود إلى أصدقائها وأهلها والأهم حبيبها طاهر..

فتحت كتاب (معك).. وقرأت اسم الكاتبة المؤلفة: سوزان طه حسين..

ياله من اسم (طه) وهي تحب طاهر.. ياله من تشابه في الأسماء عجيب..

سوزان من فرنسا.. وكارين الآن متجهة إلى فرنسا.. صحيح أنها فترة توقف في مطار « شارل دي جول ».. ترانزيت.. لكنها ستبقى في باريس مدة لا تقل عن الساعتان قبل أن تستقل الطائرة الأخرى المتجهة إلى استكهولم/ السويد..

قلبت في صفحات الكتاب إلى أن استقرت بعيناها.. فوق مقطع من الجمل والسطور.. خطف قلبها وعقلها.. من صفحة (٣٢-٣٣)

« كنا أمي وأختي وأنا قد أقمنا في باريس وكنا نلتقي، وكانت ثمة غرفة شاغرة في بيتنا وكان طه يبدو مهملاً وضائعاً برغم حضور أخ له لم يكن للأسف معيناً.. وإنما كان مصدر

هم متواصل بحيث أن أمي أقترحت عليه المجمع للسكن
عندنا.. وقبل.. ولكن بعد كثير من التردد.. لأنه وهو الذي لا
يوقفه شيء عند اتخاذ القرارات الهامة.. كان شديد الخجل في
الحياة اليومية ولم يقبل إطلاقاً أن يتناول وجباته معنا.. كان ثمة
قارئة تأتيه بانتظام وكانت هناك سيدة أكبر في العمر تصحبه إلى
السوربون ولكني شيئاً فشيئاً أخذت أتدخل في ذلك وأصحبه
أنا الأخرى إلى الجامعة من وقت إلى آخر.. حتى بت أصحابه
غالبًا وكنت أقرأ له عندما يكون وحيدًا وكنا نتحدث بكثرة وكان
يحقق تقدمًا عظيمًا في اللغة الفرنسية..

و ذات يوم قال لي .. اغفري لي .. لا بد من أن أقول لك ذلك ..
فأنا أحبك ..

وصرخت وقد أذهلتني المفاجأة .. وبفضافة قلت .. ولكني
لا أحبك ..

فقال بحزن .. آه .. إنني أعرف ذلك جيدًا وأعرف جيدًا كذلك
أنه مستحيل ..

ويمضي زمن.. ثم يأتي يوم آخر أقول فيه لأهلي أنني أريد الزواج من هذا الشاب وكان ما كنت أنتظره من ردة فعل: كيف.. من أجنبي.. وفوق ذلك كله أنه مسلم! لا شك أنك جننتي تماماً.. ربما كان الأمر جنوناً ولكني كنت قد اخترت حياة رائعة.. اخترت! من يدري؟

وكان لا بد من النضال بالطبع بسبب ذلك القرار.. وجاءني أكبر عون من عم لي كنت أكن له إعجاباً عظيماً وكان هذا العم قسًا.. فقد حضر ليتعرف بظه.. وتنزه معه وحيداً في حقول البيرنيه مدة ساعتين.. ثم قال لي عند العودة: بوسعك أن تنفذي ما عزمت عليه.. لا تخافي.. بصحبة هذا الرجل يستطيع المرء أن يخلق بالجوار ما استطاع إليه سبيلاً وإنه سيتجاوزك باستمرار.. هذا الرجلان اللذان كان كلا منهما يقدر الآخر وسوف يتحابان عما قريب لكن يد المنون اختطفت منا عمنا مبكراً بعد عدة سنوات من هذا التاريخ وبقي (طه) يردد حتى النهاية: (لقد كان عمك القس أحب رجل إلى نفسي)»

أغلقت كارين الكتاب.. كتاب (معك) عن طه حسين وحيبته
سوزان.. حب استمر ٦٠ عامًا.. رغم الاختلافات بينهما..
اغرورقت عينا كارين بالدموع وسط مشاعر متضاربة من
السعادة والفرح بالمباركة الألهية وعناية الله التي جمعتها ب
(طاهر).. الريشة الحمراء
ظلت في حالة من النشوة وهي تطير قرب السحاب داخل
الطائرة..
وضوء الشمس الهادئ يدخل عبر النافذة ليضيء وجهها
الملائكي..
لم تشعر إلا والمضيفة تسألها.. إن كانت تريد كوبًا من
العصير..
أجابت: شيكولاتة ساخنة باللبن من فضلك..



تعانقتا لفترة طويلة للغاية.. قدمت ماتيلدا الزهور لكارين بعد هذا العناق الحار..

كانت ماتيلدا في أفضل حالاتها على الإطلاق.. لا للوحدة.. لا للخوف.. لا للبرودة.. ومرحّبًا بابنتي الغالية.. شكرًا يا رب أعدتها لي سالمة.. ورددت علي روحي..

لم يتوقف الحديث بينهما لحظة واحدة.. عاشت خلالها ماتيلدا بخيالها مع شرح كارين الوافي.. لحظة بلحظة من كل ما مرت به كارين منذ مغادرتها حتى وصولها.. اطلعتها على كل شيء.. عدا الريشة الحمراء الخاصة بها والخاصة بطاهر.. وكان هذا في مساء يوم السبت.

نما سويًا في سرير ماتيلدا.. التي استطاعت أن تتذوق طعم النوم لساعات طويلة دون أرق.. قلق.. خوف.. أو صقيع يسري في بدنها..

في الصباح استيقظت كارين مبكرًا.. أعدت القهوة والإفطار.. على طريقة الشيف طاهر.. وأحضرتهم في صينية لفراش ماتيلدا

ووضعت زهرة مع طاولة الطعام المتنقلة.. لكن بالطبع لم تكن
عصفور الجنة.. هي خاصة بهما وحدهما.. هي وطاهر..

استيقظت ماتيلدا على تلك المفاجأة السارة.. أول مرة يقوم
أحد بتجهيز القهوة والافطار لها.. وتقديمهم بهذه الطريقة
الرائعة مع الزهور في فراشها.. ثم قالت بابتسامة مأكرة.. يبدو
أنني سوف أحب طاهر للغاية..

ارتدت كارين ملابسها.. وعادت لارتداء ملابسها الثقيلة..
ودعت أسوان بطقسها الدافئ لتواجه برودة الطقس في السويد
التي كانت قد تناستها تماما..

كارين: هيا يا أمي.. اليوم الأحد.. لا بد لنا من الذهاب إلى
الكنيسة ثم بعد ذلك إلى المرفأ في انتظار أبي كالعادة.. لعله
يعود اليوم.. صرت شغوفة وأتمنى عودته أكثر منك الآن.. كم
أتمنى أن يحدث تعارف بين أبي يوهانسن وطاهر.. أعلم أن كلا
منهما سيحب الآخر..

أيضا إيزابيلا أو حشنتي كثيرا.. وأتمنى رؤيتها.. أحضرت لها
هدايا من مصر.. سوف تحبها كثيرا..

ماتيلدا: حسنًا.. أحسنت صنعًا أن اشتريت هدايا لإيزابيلا..
لقد كانت هي وأخيها بوريس دائمي السؤال عني.. أرجو أن
يكون معك من الهدايا الكافي لتعطي لبوريس بعض الهدايا
أيضًا..

كارين: بالتأكيد لم أنساه.. أحضرت له بعض الملابس
المصرية.. مائة بالمائة قطن مصري ومطبوع عليها صور لأسوان
وأخرى بصور فرعونية..

داخل الكنيسة كان اللقاء بين كارين وإيزابيلا حارًا للغاية
أشاع الدفء ونقله لكل المتواجدين بالكنيسة في ذلك الوقت..
تحدثا كثيرًا وأعطت كارين الهدايا لإيزابيلا.. وطلبت منها
إيصال هدايا بوريس له وأيضًا أحضرت هدية للكلب (نوبل)
طوق مكتوب عليه اسمه على لوحة صغيرة من الفضة..

أمام فناء الكنيسة.. وبعد الإنتهاء من الصلوات.. أمسكت
كارين بيد أمها.. وطلبت منها السير بسرعة للذهاب للمرفأ
لإنتظار مراكب الصيد.. عل يوهانسن يكون بينهم هذه المرة..

لكن ماتيلدا أخبرتها أن هناك مكان يجب أن تذهبا إليه سويًا
قبل فعل أي شيء.. تعجبت كارين.. وإنصاعت لطلب أمها..
توجهها في اتجاه المقابر..

دخلت ماتيلدا وخلفها كارين وهي لا تدري لما هما في هذا
المكان..

سارت ماتيلدا عبر الطرقات الضيقة والمقابر تحيطهم من كل
جانب وسط الكثير من الزرع والأشجار في كل مكان..

توقفت ماتيلدا أمام كشك صغير يبيع الورود.. قامت بشراء
باقة من زهر القرنفل.. وإستمرت في السير وكارين خلفها
صامتة ولا تفهم لماذا هما هنا.. في المقابر.. لكنها لم تتسرع
بالقاء الأسئلة.. حيث أخبرتها ماتيلدا: لا تسألني كثيرًا سوف
تفهمين بعد دقائق..

توقفت ماتيلدا أمام مقبرة عليها رخام باللون الأزرق..
وضعت باقة الزهور فوق المقبرة.. ثم وقفت والدمع يزرف من
عينها وهي تقيم الصلوات و تدعو بالدعاء..

نظرت كارين إلى أمها.. وإلى باقة الزهور.. ثم نظرت بعينها
لأسفل على اللوحة الرخامية الزرقاء.. مكتوب عليها.. (هنا
يرقد يوهانسن)..!!!

ياللصاعقة.. جثت كارين على ركبتيها.. غير مصدقة..
هي الآن تقف أمام قبر أبيها.. ومكتوب تاريخ الوفاة.. نفس
سنة ميلادها.. قبل ميلادها بشهر واحد..

ما هذا يا أمي.. لا أفهم.. هل هذا هو نفس يوهانسن.. الذي
ننتظره على رصيف المرفأ طيلة اثنتان وعشرون عامًا..

أبي ميتًا قبل أن أولد.. وتوقظيني من نومي صباح كل أحد
في البرد القارس لنقف أمام حافة البحر.. على رصيف ميناء
الصيد.. ننتظر انسان ميتًا.. ولن يعود.. وأنت تعلمين ذلك..
لماذا تفعلين بي هذا؟ لماذا.. لماذا؟

انهارت كارين تمامًا.. وبعد الصراخ والبكاء.. بدأت في
ضحك.. ضحك بصوت عالي.. ضحك هستيري.. ثم بكاء مرة
ثانية وهي تعيد نفس السؤال على ماتيلدا.. لماذا.. لماذا.. هو

زوجك وأنا ابتك .. لماذا فعلت به ذلك ولماذا تفعلين بي كل هذا ..

هل لديك من إجابة .. صمتك يقتلني ودموعك لم تعد تخمد ما بداخلي من نيران متقدة ...

أبي مدفون هنا وأنا لا أعلم طيلة إثنان وعشرون عامًا .. كنت أظنه تركنا ولن يعود .. صبيت عليه جم غضبي وكم من مرة إتهمته بالأنانية والإهمال حتى كدت أن أكرهه .. أنت فقط من كان يدافع عنه وأنا أرى فيك أكثر امرأة وفيه وأكثر امرأة مخلصة على وجه الارض .. آه .. يا أبي .. رحمك الله ..

ماتيلدا .. معك حق يا بنيتي في كل كلمة نطقت بها ..

لكن عندما تسمعيني بقلبك قبل عقلك .. ربما يعي قلبك ما فعلته لأجلك وبعدها يفهم عقلك أنني كنت أحافظ عليك وأنقذك من مصير لا يعلمه أحد ..

كان أباك أفضل الرجال .. شهم .. حنون .. طيب .. محترم للغاية .. محبوباً من الجميع .. وكان يعاملني كملكة متوجة .. أو ربما أفضل من الملكات وكان يعود إلي بعد كل رحلة صيد

ومعه كل الخير والشوق واللهفة علي.. التي كانت ملئ عيناه
وقلبه وجوارحه..

وفي إحدى المرات.. إحدى رحلات الصيد.. عاد.. لكنه
عاد جثة هامدة.. أعادوه ميتاً هو وبقية طاقم العمل.. غرقت بهم
المركب في يوم سيء وعاصف للغاية.. وبعد أيام استطاعت
فرق خفر السواحل من إنتشال جثثهم جميعاً..
وكنت أنا حاملاً فيك.. في شهري الثامن..

مرت الأيام أمام عيني وأنا أستفيق من غيبوبة لأدخل في
أخرى.. لدرجة أن الأطباء وكل من حولي ظنوا أنني أموت وأني
أرفض الحياة من بعد يوهانسن.. لكنني فكرت فيك قبل أن
تولدي وتخرجي للدنيا.. من يهتم بك بعد موته.. وموتي..

من يعطيك الحنان والحب والرعاية.. سوف يضعونك في
أحد دور رعاية الأيتام وأنتِ بالتأكيد تعلمين كيف الحال في
هذه الدور..

بعد ولادتك.. وضع الله في قلبي حبك مثل أي أم.. وكانت أحوالنا المالية سيئة للغاية.. حيث كان أبيك لا يجيد الإدخار ودائمًا ما كان يصرف ما لديه من نقود لراحتي ومتعتي..

إضطررت للبحث عن عمل بعد ولادتك بإسبوعين لكي أدبر لك إحتياجاتك.. وتنقلت من عمل إلى آخر حتى إستطعت الحصول على العمل في مكتب البريد.. حيث الراتب الثابت بالإضافة إلى الإمتيازات الأخرى وكان من أهمها التأمين الصحي.. الذي يؤمن علاجك لدى أفضل الاطباء..

وعندما صرت في عمر تستطيعين فيه الكلام كان أول سؤالك.. أين أبي.. هل لي أب.. كل الأطفال لديهم أب وينادونه بابا.. إلا أنا.. لماذا؟... أين هو.. مسافر؟

إضطررت في البداية أن أتمسك بكلمتك الأخيرة (مسافر) وظلت هذه الكلمة هي الحصن الحصين ضد إحساسك باليتم أو أنك بدون أب.. وكى لا تشعرين أنك أقل من زملاءك.. وحاولت مرارًا ومرارًا أن أصارحك أنه مات قبل ولادتك.. لكن الأمر كان صعبًا للغاية..

وشعرت أنك تنكرين سماع ذلك ولن تتقبلي الفكرة.. وأن مجرد علمك أنه غير موجود ولن يكون موجوداً سوف يكسرك من الداخل..

من الممكن أن أتقبل أي شيء في الحياة إلا أن طفلي الصغيرة الجميلة.. تهزم وتكسر.. ويتحطم قلبها.. الموت أهون لي.. لذا كان علي أن أزرع الأمل داخلك.. نعم يا بنيتي.. أنه الأمل هو من جعلني أذهب بك إلى المرفأ كل يوم لأنتظر يوهانسن.. أباك.. مع أن مراكب الصيد تغادر الميناء وتصل إليه كل يوم تقريباً وليس يوماً محدداً في الاسبوع.. لكنني إعتدت أن نقيم الصلاة ونحضر القداس الصباحي يوم الاحد في الكنيسة ونذهب في إنتظار يوهانسن.. وأنا لا أكل ولا أمل وأزرع داخلك الصبر والأمل.. وكم كنت أشعر بسخريتك من إخلاصي هذا.. لكنني كنت أتحمل وأشعر أن ما أفعله أفضل بكثير وأهون من أن أراك مكسورة.. مهزومة.. بلا أب.. بلا سند بلا حماية..

حاولت أن أكون لك طيله هذه السنوات.. الأم والأب.. هل نجحت..؟!.. لا أدري.. أنت من يجب أن يرد على هذا

التساؤل.. ربما فشلت.. ممكن.. لكن المؤكد أنني فعلت كل ما
بوسعي وعشت أيامي وشهوري وسنيني في وحدة إنسانية.. كي
أكون لكِ وحدك وتأخذين أنت الحب الذي بداخلي كله لك
وحدك ولا يقاسمك أو يشاركك فيه أحد..
أنا أحبك يا كارين وفعلت ما فعلت لأجلك ..

لم يمر وقت على عودة طاهر إلى أسوان إلا وأرسلت الخالة
فاطمة في طلبه للحضور لبيتها.. وبعد حضوره في الميعاد..
تفاجئ بوجود جمع من الأصدقاء والأسرة..
بدأت فاطمة حديثها بأن اجتماع هذا اليوم لوضع كافة
التفاصيل الدقيقة وتوزيع الأدوار للبدء في العمل.. كل في
مجاله وكل لما هو موكل إليه..
وبعد مرور اسبوعان كان طاهر في مطار أسوان في إنتظار
كارين حيث أخبرته أنها وجدت رحلة طيران تصل إلى مطار
أسوان مباشرة..
وداخل صالة الانتظار.. ظهرت كارين.. بصحبة ماتيلدا..

يا لها من مفاجأة رائعة..

توجهوا إلى فندق الإقامة حيث حجز لهما طاهر غرفة كبيرة
تطل على نهر النيل..

وهنا وفي هذا الوقت شعرت ماتيلدا بالأمان والجو العائلي
التي كانت تبحث عنه طيلة حياتها.. وشعرت أن الله أرسل لهم
طاهر ليحل محل يوهانسن ويصير رجل العائلة وزوج ابنتها..
تعرفت على الجميع وشعرت بالألفة والراحة وسطهم..
وكانت تتجول كل يوم بمفردها أحياناً وأحياناً بصحبة أ/ علوي
لزياره الأماكن الأثرية التي تنتشر في البر الغربي والبر الشرقي
وكذلك مدينة الاقصر..

إلتقى طاهر وكارين.. والريشتان.. إلتقتا سوياً..

أوفت كارين وريشتها الحمراء بالوعد وعادت إلى حبيبها..
نصفها الآخر..

وبعد مرور شهران أعلن عم صبحي وجمال أن البناء تم
وجاهز للافتتاح.. المطعم.. البازار.. الصيدلية..

تحدد موعد الافتتاح.. وكان هو نفس يوم زفاف طاهر إلى كارين..

وزفاف جمال إلى أسماء..

عندما حضر الجميع في انتظار العروسان طاهر وكارين،
والعروسان جمال وأسماء.. وقفت ماتيلدا أمام المبنى الخشبي
فوق مياه النيل.. وإذا بها تصرخ.. يا إلهي.. إنه بيتي.. نفس الشكل..
هل نقلتم بيتي إلى هنا.. كل هذه المسافة.. كيف فعلتم ذلك..

كان التصميم الخارجي هو نفس تصميم البيت الخاص
بماتيلدا ويوهانسن وكارين في استكهولم..

ولكن من الداخل كان مختلفاً تماماً.. فقد كانت هناك لوحة
شرف مدون عليها أسماء الجميع.. طاهر وكارين و فاطمة وعبد
القدوس ويوهانسن وماتيلدا وعلوي وعدلي والأب ميخائيل
ولبية وبكري وأسماء وجمال وصبحي، حتى إيزابيلا وبوريس
ونوبل (الكلب) ..

حيث أعطت إيزابيلا بعض الأموال لكارين للحصول على
أسهم عن نفسها وأخيها بوريس وكلبه نوبل لتشارك معهم في
المطعم والمشروعات الأخرى.. عند لقاءهما في استكهولم قبل
فترة.. على وعد منها بالحضور وأخيها وكلبه لحفل الزفاف..

وفي الداخل أيضًا كان هناك حائط كامل لكل متعلقات
عم عبد القدوس.. صوره في قصر الملك في مطبخ القصر
والحديقة وصوره مع الملك وعائلته.. وأيضًا وضعت جميع
أدوات الطهي والمقتنيات التي أهداها لطاهر ومحفور فيها
حرف (F) نسبة لفاروق..

في برواز زجاجي ضخمة ليشاهده كل مرتادي المطعم..
الحلم تحقق.. الجميع سعداء.. الأمل ما زال قائمًا..
حتى ولو كان الملهم لهذا الأمل هو طائر مهاجر من الشمال
للجنوب يلقي بريشة من أحد أجنحته على فتاة في الشمال ويلقي
ريشة من الجناح الآخر على فتى أسمر من الجنوب..

مَشَّ

2020

Marwan92966@gmail.com

+966554903742

أعمال صدرت للكاتب

عاشقة الظلام.. رواية طويلة.

أسرار بصرية.. رؤية تحليلية



مهندس مصري،

اتجه مؤخرا إلى الأدب،

إلى كتابة الروايات الطويلة والتراجم

